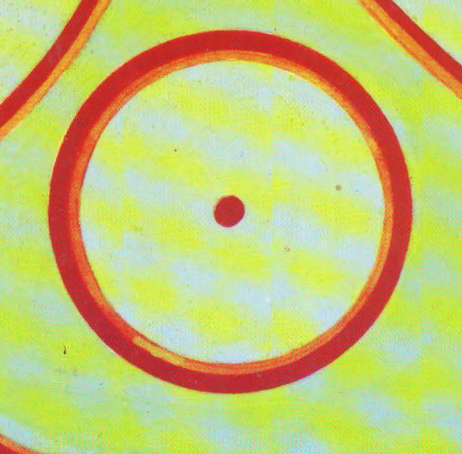
دائرة المعارف

العلامة الشيخ
أحمد محمد حيدر

التكوين و التجلي




الأعمال الكاملة ١

دائرة المعارف

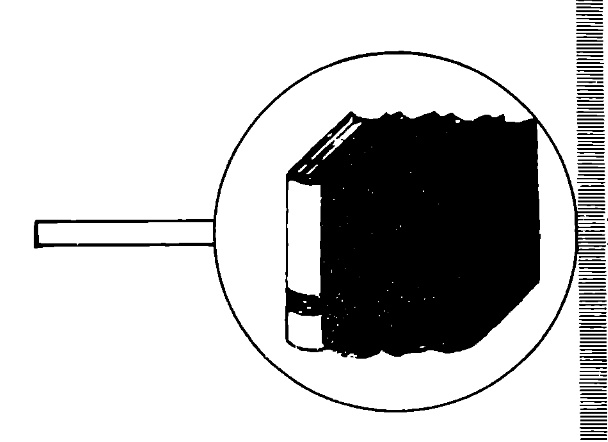
الأعمال الكاملة
١



تأليف
العلّامة الشيخ أحمد محمّد حيدر

قام بكتابة المقدمة واستخراج شواهد الكتاب وتصميم الغلاف
لجنة إحياء تراث العلّامة الشيخ أحمد محمد حيدر.

دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع
طرابلس لبنان: ص.ب ٥٧ - تلفون ٦٢١٩٥٢



دار الشمال
للطباعة والنشر والتوزيع

طرابلس لبنان
ص.ب ٥٧ - تلفون ٦٢١٩٥٢/ ٦٣١٢٨٢
تلكس Issam ٢٣٧٧٨ LE

الطبعة الثانية - ١٤٠٧هـ - /١٩٨٧م

الإهداء

إلىٰ محبي الحقيقة،

وأتباعها،

إلىٰ رجال العلم،

وأنصاره،

وطالبيه،

إلىٰ الثائرين علىٰ الجمود،

والتقوقع،

والجهل،

وإلىٰ روح مؤلف هذا الكتاب،

نقدم

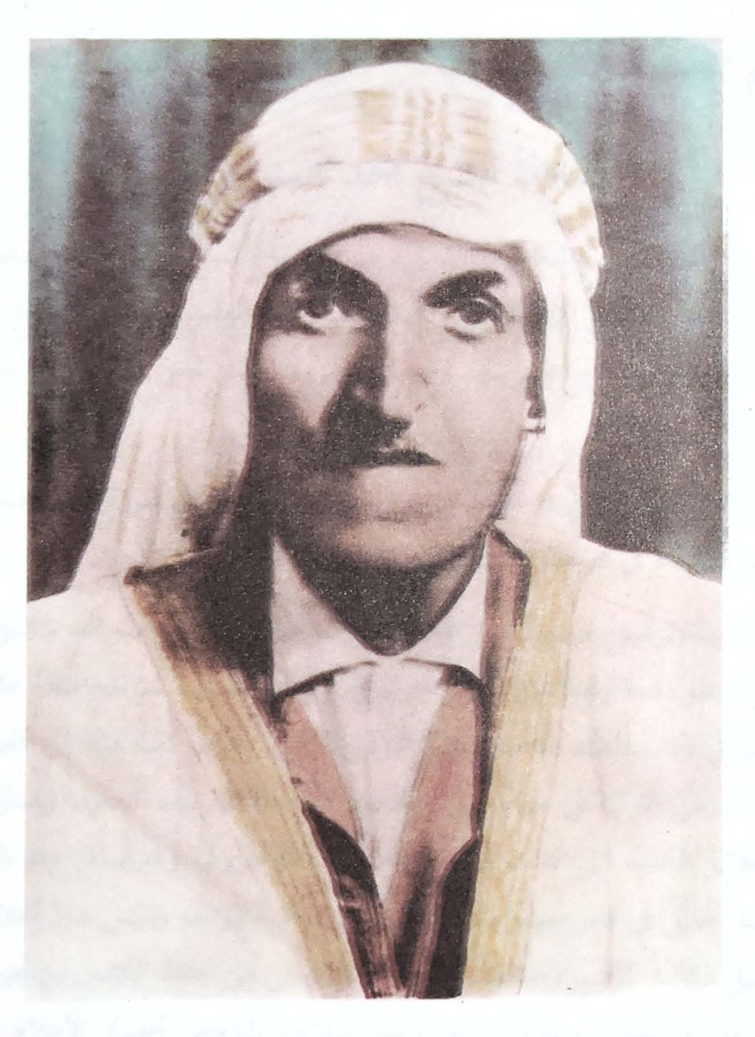
التكوين والتجلي

الساحل السوري، تشرين الأول ١٩٨٦م

لجنة إحيَاء تراث العلاّمة الشيخ أحمد محمد حيدر

المغفور له

العلّامة الشيخ أحمد محمّد حيدر



هذه صورتي وما كنتُ أهوى بعد موتي هذا البقاء الفاني

بما جناحيَّ من ولاً وحنينٍ عجِّلا بي للعالَمِ الروحاني

تلك أمنيَّتي وما خدعةُ العا لَمِ إلَّا تعلّةَ الديدانِ

٤/١١/١٩٧١م أحمد محمد حيدر

العلامةُ الشيخُ أحمد محمد حيدر

مؤلف كتاب: «التكوين والتجلي» هو العلامةُ الشيخ أحمد محمد حيدر - أعلىٰ اللّه مقامَه - وهو الإمامُ العَالِمُ النابغةُ، صاحبُ القلمِ الجريْ، البارعِ في شتىٰ العلوم السلفيةِ والعصريةِ، وحيدُ عصرِه، الذي ليس له نِدٌّ في عِلمِ التصوفِ.

ولد العالمُ الحقانيّ والحكيمُ الربانيّ أحمد محمد حيدر في قرية «حلة عارا» من منطقة جبلة في محافظة اللاذقية عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٨٨م.

نشأَ وترعرعَ في بيتِ تقىً وعلم فورثَ عن والده - رحمه الله - الورعَ والتُّقىٰ وعلو الهمة وشيئاً من ثروةٍ حاولَ في البدايةِ تنميتَها ثم المحافظةَ عليها فلم يوفَّقْ فكانَ ذلك عندَه «أعظَمَ التوفيق»[1] إذ بدأتْ كفةُ ميلِه إلى العلمِ ترجحُ. فدرسَ التركيةَ في صباه حتىٰ أجادَها، كما أجادَ العربيَّةَ، نحوَها وصرفَها من خلالِ الكتبِ التي كانتْ شائعةً في عصره «كالأجرومية وغيرها». وقد ولعَ علاَّمتُنا الجليلُ في فجر حياته بالأدبِ أيَّ ولعٍ، فقرأ روائعَه ودرسَ سيرَ أعلامه. وبفضل ذكائِه الثاقبِ وحافظته القوية فقد تمكَّن من حِفظِ الكثيرِ من عيون الشعر وبديع الخُطَب، وبخاصة خطب نهج البلاغة، كما وعىٰ أخبارَ الأعلامِ من

(١) كان العلامة الشيخ - رحمه الله - يردد هذه العبارة كثيراً في أحاديثه الخاصة. وفي الواقع كان هذا «أعظم التوفيق» ليس له وحده بل لنا جميعاً وللبشرية.

روّادِ الأدب العربيّ والعالميّ، إذ لم يعزلْ نفسَه عن الأدبِ العالمي فقرأه مترجماً. لكن ولعَه بالأدب لم يقللْ من رغبتِه في الفهمِ والعرفانِ،ولم يخففْ من شوقِه إلىٰ البحثِ والتحري، ففي كلِّ كتابٍ يقرؤه ومع كلِّ عالمٍ يلتقيه كان يتطلعُ إلىٰ معنىً وراءَ الكلمات يشبعُ لهفتَه ويروي ظمأَهُ إلىٰ المعرفةِ لكأنَّ لعلامتنا موعداً مع الغيبِ ينتظرُه.وهكذا راح الفتىٰ ينجذبُ رويداً رويداً إلىٰ ميدانِ العلومِ الإلهيَّةِ رغبةً في معرفةِ بواطنها، ووصولاً إلىٰ فهمِ خفايا الأسرارِ.ولم يطلْ بعلامتنا الزمن حتىٰ غدا في طليعةِ العارفين الإلهيين، وشهدَ له بالتقدمِ معاصروه من العلماءِ الأفاضل، وقد آنسَ من نفسه ـ رحمه الله ـ هذه المعرفة الواسعة. . . . فتصدىٰ لواحدٍ[1] من أجلِّ الكتبِ الصوفية المخطوطة فشرحَه وحللَّه وقرَّبه بذلك إلىٰ أفهامِ الناس وسهَّلَ عليهم تناولَه. وأفادَ الشيخُ مما في الكتابِ من عرفان فاتجهَ إلى نفسه يفتشُ في خباياها ليدركَها ويبحثُ في جسدِه ليعلمَ ما هو؟ وكيف وُجِدَ؟ وأخذ يتساءلُ عن العلاقةِ القائمة بين نفسِه وجسدِه، كيف التقيا؟ وما مصيرهما إذا افترقا؟ وهل يصيران إلىٰ الفناء؟ أم إلى الخلود؟ ثم أجال بصرَه فيما حوله فتساءَل عن الموجوداتِ كيف وجدت؟ ومن أَوجدَها وهل تعرفُ موجدَها؟ وكيف تعرَّفت إليهِ؟ ثم ما علاقةُ هذه الموجوداتِ به؟ هذه الأسئلة وغيرها طرحها علاَّمتُنا الشيخُ علىٰ نفسه في رحلتِه للكشفِ عن أسرارِ الحياة والروحِ والخلق والخالق. وكان يجد في طرحها والسعي لإيجاد الإجابة عنها لذةً تفوق عنده كل لذة، وسعادة لا تدانيها في نظره سعادة. وقد اهتدىٰ علاّمتنا الشيخ إلىٰ مكان وجودِ الإجابة عن أسئلته فيمَّمَ شطرها مستسهلاً في سبيلِ ذلك كلَّ أنواع الصعاب، فتوجه إليها والجأ إلىٰ حماها من بابها المشرع في رسالاتِ الأنبياء، تلك الرسالاتُ السماوية التي جاؤوا بها وأذاعوها علىٰ الناس جهاراً أو التي كتموها مكتفينَ بالإشارة إليها، كما وجد شيئاً من الإجابة عن أسئلتِه عند الأئمة

(١) الكتاب هو كتاب التنبيه، لمؤلفه الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي.

المعصومين (عليهم السلام) الـذين لهم وحـدهم تـأويـل القـرآن ـ إذ هم ثقله الثاني ـ وقد أتاهم اللّه ملكَةَ الكشفِ وألهَمهم معرفتَه فأعلنوا بعضَهـا دونَ تحفظٍ واكتفوا بالتلميحِ إلىٰ بعضها الآخر صونـاً للحكمةِ أن تعـطىٰ لغير مستحقيهـا، ووجدَ بعضَ الأجابةِ عن أسئلتهِ عند العلماءِ الإلهيين والفلاسفة الروحانيين فأخذَ عنهم أيضاً. ولم يعرْ سمعاً لأقوال الجـاهلين فقد كـانتِ الحكمةُ ضـالتَه وشعـارُه الدائم:

إن المذاهبَ كلَّها نورُ الهدىٰ كأشعةِ الشمسِ افترقنَ إلى مدىٰ
ولقاؤُها في مصدرِ الأنوار

وهكـذا فإنَّ عـلاَّمتنا الشيـخ في بحثه الـدائبِ عن المعرفـة قرأ القـرآنَ الكـريـم وتفـاسيره المتعـددةَ،وقرأَ الإنجيـلَ والتوراةَ واطَّلَعَ عـلى الفكرِ اليـونـاني وعقـائـدِ المصريين القدماء وأساطـير الهنودِ والعلوم العصريـةِ،ثم حطَّ الرحـالَ في حديقـةِ الأميرِ حسن بن مكزون السنجاري ومزجَ بين ما وجدَ لديه وما هو عند الصـوفي الجليـل حسن بن حمزة الشـيرازي والشيخِ الأكـبر محي الـدين بن عـربي حيث تمكنَ في نهايةِ الأمرِ من الوصول «إلىٰ نظريةٍ في وحدة الوجود، من خلال صياغةٍ شملَتْ كلَّ النظرياتِ السابقـة،محققاً ضربـاً من التزواجِ بـين نظريـةِ الفيضِ أو الصدور ونظريةِ نور الأنوار والتجلي الإلهي. معتمداً بنفس الوقتِ علىٰ معطيـاتِ العلم الحديث،وهنا تبـرزُ عظمتُـه كمفكرٍ عـربي إسلاميٍ من الـدرجة الأولىٰ في العصر الحديث[1]».

قرأ علاَّمتُنا الشيخُ في رحلةِ عرفانهِ التنبيهَ وفصـوصَ الحكم ومفتاحَ الغيب والوجود ورسائلَ إخوان الصفا والجامعة ومفتـاح الغيب لصدر الـدين القـونوي ومشكاة الانوار للغـزالي، وبيان السعـادة لسلطان محمد الجنـابذي وعلومَ الفلكِ

(١) وحـدة الوجـود في الفكر العـربي تأليف: محمـد الراشـد منشورات اتحـاد الكتّاب العـرب دمشق ١٩٨٥ ص ٢٢٨.

والفيزياء. قرأ كل ما وصلتْ إليه يداه قراءةَ المتمعنِ المتبصرِ فحصَّل من المعرفةِ أطايبها. ولما امتلأتْ نفسُه بكنوزِ المعارف طلعَ علىٰ الناس مؤلفاً في العلومِ اللاهوتيةِ فأغنىٰ الفكرَ الإنساني بأعمقِ المعارف وأجلّها ورفَد الحضارةَ البشريةَ بأسمىٰ المفاهيم اللاهوتيةِ وأرفعِها، فكان ذلك صورةً لعقله النيّر وفكرِه الثائر ونظرِه الثاقب. ففي الوقتِ الذي كان فيه العالَمُ يقف متسائلاً في حيرةٍ ودهشةٍ حول صعود السفينةِ إلى القمر كان يرددُ بمنتهىٰ الثقة واليقين: «من زعمَ أن العلمَ يتنافىٰ مع الدين فقد بلغَ من العلمِ مبلغ الرعاع، ونال حصة الأعمىٰ من الشعاع».

لقد كان علاَّمتُنا الشيخُ رجلاً مؤمناً ـ إيمانُه مشيَّد علىٰ قاعدةِ الفهم الحقيقي الراسخِ لأبعادِ العلوم العصريةِ وربطها بما يشيرُ إليها من حقائق أصولِ الدين الاسلامي، وكان يثقُ ثقةً مطلقةً بأن ما يكذبُه بعضُ رجالِ الدينِ اليوم جهلاً به، سيغدو بديهةً لدىٰ شبابِ الغد الذين لهم كتبَ وإياهم خاطبَ وعنىٰ ولأجلِهم ضحَّىٰ، وذلك إيماناً منه بسنَّةِ التطور التي هي سنّةُ الحيَاةِ، وانتصاراً للحق والحقيقةِ رفضَ البدعَ والانغلاقَ والتقوقعَ وأصمَّ سمعَه عن السفاسف، متحلياً بأخلاق العلماء، مترفعاً عن صغائرِ الأمور التي أثارَها الجهلةُ من مدعي التدينِ المتسمينَ ظلماً رجالَ الدين وكان يعلمُ أنَّهم عن مكاسبِهم لا عن الدينِ يدافعون، وكثيراً ما عابَ علىٰ رجال الدينِ (من مختلف المِلَلِ) المفاضلاتِ التي يعقدونَها بين مذاهبهم معلناً أنَّ الدينَ لله وأنَّ هذه المفاضلاتِ تدلُّ علىٰ ضحالةِ الفهم وقلَّةِ المعرفةِ وكان يقولُ: علىٰ أنني اجتهدتُ أن أرىٰ بدعةً كُوِّنَتْ إلاّ عن تحريفِ أصلٍ فلم أجِدْ، وجميعُ من تكلَّم عن الأديانِ القديمة سواءً أرادَ المتكلمُ فهمَ التعرف على الدين فقط، أم أراد إدانته أو مدحه، كلهم نعرف (من تتبعِهم) أن جوهرَ الأديانِ واحدٌ مهما اختلفَ مظهرُها وتباينتْ مشاربُها. على أن مما لا شكَّ فيهِ أن الأصلَ الذي لا يسمحُ متزمتو

رجالِ الدين أن يمسَّ ولو بدَّلُوا في سبيلِه كلَّ أصل، إنَّما هو عوائدُهم اللاأصولية والتي وقفَ علاَّمتُنا الشيخ حياتَه لتهديمها، موطناً نفسَه لكل ما يلقىٰ أمثالُه من أمثالِهم،فكان بين ممحص لمفهومٍ أو موضحٍ لمعضلةٍ. مُدافعاً عن رأي أو نابذاً لمعتقدٍ فاسد بلغةِ الأديب المتمكنِ ولهجةِ العالِم المطمئنِ وسكينةِ العظيم المترفع عن السفاسفِ في القول والعمل. وقد ظلَّتْ هذه سيرتَه طيلَةَ حياتِه حتىٰ وافاه الأجلُ،ولبىٰ داعيَ ربِّه في السابعِ من شهر آذار عام ١٩٧٥م تغمده اللَّه بواسع رحمته وأسكنَهُ فسيحَ جنّتِه.

خلف العلاّمةُ الشيخ أحمد محمد حيدر عدداً من المؤلفاتِ بعضُها كتبٌ طوال، وبعضُها رسائل صغارٌ.منها ما يتناولُ صلبَ عقيدةِ التوحيد، كما جاءت على لسان الشارع العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وآل البيت المعصومين عليهم السلام، وفي القرآن الكريم وبالنقل عن المحدثين الثقاة.ومنها ما يبسطُ فيه المؤلف المشكلات الفلسفيةَ الدقيقةَ كما يراها العقل والفلسفة، محاولاً أنْ يمزجَ بينَ العلوم الإلهيةِ والعلومِ الماديَّةِ والشرعية. إضافةً إلىٰ ديوان شعرٍ صوفي رفيعِ المستوىٰ، وهذه المؤلفاتُ كلُّها تدلُّ علىٰ علوٍّ همةِ علاَّمتِنا الشيخِ ورسوخ قدمه في المعارف الإلهية وتعمقه في استنباط الحقائق الدينية ومعرفة دقائقها. . يضافُ إلىٰ ذلك ما تشيرُ إليهِ من مهارةٍ فائقةٍ علىٰ التأليف وصبر علىٰ أعباءِ جَمْعِ المعلوماتِ وتقصي الحقائقِ وتدقيقها. وقدرةٍ علىٰ جمعِ هذه المتفرقات لتغدو كلاً منسجماً موحداً في غايتِه وأهدافِه كما سنبينُ عندَ الحديث عن كتابِ (التكوين والتجلي) ويكفي أن نشيرَ إشارة سريعةً إلىٰ مؤلفاتِ علامتنا الشيخ،سواءً ما كان منها موجوداً أم ما لا يزالُ مفقوداً.

أ - الآثار المطبوعة:

١ - **ما بعد القمر**: وهو يعالجُ ماديَّةَ الروحِ وروحانيةَ المادة، فالمادةُ لها روحٌ هي وجودها،والروحُ لها مادةٌ هي شكلُها.وكلُّ شيء غنيٌ بذاتِهِ عن أن يصيرَ غيره.ويستعير العلاَّمةُ بعضاً مما توصلَ إليه العلمُ فيزوده بأجنحةِ الوحي والخيال ليقدمهُ للناسِ شراباً يستلذه الواردون ـ وقد طبع هذا

الكتاب القيم مرتين الأولىٰ عام ١٩٧٢م والثانية عام ١٩٨٤م .

٢ - **النغم القدسي**: وهو ديوان شعر صوفي رفيع المستوىٰ. وقد طبع مرتين الأولىٰ عام ١٩٧٢م والثانية عام ١٩٨٦م .

ب - الآثار المخطوطة:

١ - كتاب الهبطة: وفيه يعالجُ المؤلفُ قضيةَ الإنسان من غيبِ الوجود إلىٰ وجود الشهادةِ.

٢ - كتابُ الحيرات: وفيه يبينُ علاَّمتُنا الشيخُ منزلةَ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده.

٣ - كتابُ النفحات واللفحات: ويشرح مسألةَ الخلاف بين علاَّمتِنا ورجال الدين في عصره.

٤ - تناثرُ الأوهام: وفيه يحاولُ العلاَّمةُ ـ نضَّر اللَّهُ وجهَه ـ تبديدَ الأوهامِ المتعلقةِ بقدسيةِ الكواكب وخاصةً القمر.

٥ - الدامغُ: ويشرحُ فيه علاَّمتُنا الشيخُ موضوعَ النورِ والظلمةِ وما أُثيرَ حولها من جدالٍ بين علماء الدين في كلِّ زمان.

٦ - شرحُ التنبيه: وهو دراسةٌ وتحليلٌ للكتاب النفيسِ المعروف «بالتنبيه» لمؤلفه الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي، من أبرز متصوفي القرن السابع الهجري. ويذكر مريدو علامتنا الجليل أنَّ له أثراً آخرَ هو «فلسفةُ العلويين» (وهو مفقود).

هذه جملة الكتب التي ألَّفها العلامةُ الشيخ أحمد محمد حيدر، يُضافُ إليها العديدُ من الرسائلِ الإخوانية التي تعالجُ موضوعاً معيناً أو عدةَ موضوعاتٍ عرضتْ أيامَ المؤلفِ رحمه اللَّه. هذا إلىٰ جانب كتابِ التكوين والتجلي الذي نحن بصدده.

كتاب التكوين والتجلي

كتاب التكوين والتجلي بين كتب علاَّمتِنا الشيخ ككتابٍ «فصوص الحكم» بين مؤلفات الشيخِ الأكبرِ محي الدين بن عربي، فقد جمعَ فيه خلاصةَ فكرهِ وما فرَّقه في سائرِ مصنفاته، فَلِمَنْ أَخَذَ عنهم من الحكماءِ والعلماء والعارفين - رضي الله عنهم - فضلُ السبق والإشارة وله - رحمه الله - فضلُ الإغناءِ والتفصيلِ والشرح والتعليل،مقتبساً من أنوارِ محمدٍ وآلِه صلواتُ اللّٰه وسلامُه عليهم فَهُم معلمو العلماءِ وسادةُ الحكماءِ في كل زمان ومكانٍ.

وقد قسمَ كتابه إلىٰ أربعةَ عشر باباً جعلَ أوَّلَها للحديثِ عن التكوينِ،فأكَّدَ أنَّ جُلَّ العلماءِ الذين كتبوا في هذا الموضوعِ يفتتحونَ كلامَهم - علىٰ اختلافِ مِلَلِهم ونِحَلِهم بما يشيرُ إلى الحديث القدسيّ «كنتُ كنزاً مخفياً فأحببتُ أن أُعرَفَ فخلقتُ الخلقَ فبي عرفوني» فكان بدءُ التكوينِ فيضُ الحقيقةِ المحمديَّة من الذات كفيضِ العلم من العالمِ بلا نقصٍ ولا تجزّؤ،ولا يجوزُ السؤال عن ذلك بأينَ ولا بمتىٰ ولا بلِمَ وإن كانَ لا بد من بدايةٍ. وعن الفيضِ الأولِ بالتسلسل كانَ التكوين بلا نهايةٍ،وبه تقوم المكوناتُ لأنَّه السرُ الساري فيها جميعها.

وإلى ذلك يشيرُ في الباب الثاني(الحركة والسكون)فيقولُ «والموجودُ الأولُ هو المحّرك الذي لا يتحركُ،وتحريكه للغير علىٰ نحو ما تكونُ حركةُ المحبِ للمحبوب.والأمر في ذلك أن المحرِّك المتحرِّك الأول غاية المنبعثين عنه وهو الكمال الثاني» والحقيقةُ المحمديةُ هي موقعُ أسماءِ اللّٰه تعالىٰ وصفاته،وهي مشيئتهُ وقدرتُه وفعلُه الذي فعلَ به المكوناتِ، كما يؤكدُ في الباب الثالث (الأسماء

والصفـات) يقول رفـعَ الله درجَته (فـالذاتُ لا اسم لهـا ولا صفةَ، ولا بـدَّ من اسم وصفـة، اسم لندعـوها بـه ﴿ولله الأسماءُ الحسنى فـادعوه بهـا وذروا الـذين يلحـدون في أسمائـه [(١)]﴾ وصفة لنتعـرّفَ عليه بهـا لأنَّ كلَّ شيءٍ يُعـرَفُ بصفتِـه ولكنَّ صفتَه واسمه شخصٌ قائمٌ بذاته وهو الحقيقة المحمدية).

وفي البـابِ الرابـع (الصورة) يشـرحُ الحـديث «خلقَ اللَّهُ آدمَ عـلىٰ مثـال صورته» فيقول: (وإذا نظرتَ رأيتَ أنْ ليس بهذه الصورِ صورةٌ محسوسـة تراهـا العينُ، والصورةُ الإنسانيةُ البـدنيةُ تـراها العـينُ، إذاً يقصدْ حقيقـةَ الصورة وهي الحياةُ والعلمُ والإرادةُ والقدرة التي خلقَه اللَّهُ بها علىٰ مثالِ صورة اللَّه) وقد كانَ قال: (فالصورةُ المحسوسـةُ تقومُ بـالصورةِ المجـرَّدة لا بذاتهـا، والصورةُ المجـرَّدةُ حقيقـةُ الشيءِ وماهيتُـه التي يقومُ بهـا وجـودُه وليستْ هي شكلُه البـادي للعـين الملموس باليد» ثم يسوقُ من أمثالِ هذا وأشباهِه ما يؤكدُ أنَّ اللَّهَ لا يُعرَفُ حتى يتجلىٰ بصورةٍ كصورِ المتجلّىٰ لهم، ثم يستدلُ علىٰ ربوبيتهِ بأفعالـهِ التي يعجزُ عنهـا المربوبون، وهو يجلُّ عما يَرونَ ويعلمُون ويتوهمُون. فإذا وصل الحديثُ إلى التنزيهِ أتـاكَ بالعجب العجـاب كقولـه: «فالتنـزيهُ هـو سلبُ كل صفـاتِ الذات عنهـا والتنزيهُ عن التنزيه هو إرجاع صفاتِها السلبيـة إليها» ولكي لا يـدعُك في حيـرةٍ وقلقٍ يرسمُ لك سمتَ النجاةِ بقوله «فلذلك كانَ الطريقُ الجَدَدُ هو الوقوفُ دون التنزيه المحدّد والتجسيم المكبِّل». ويبدأ حديثَه عن عالَمِ الغيبِ في الباب الخامس باستغرابٍ شديد لزعمِ الزاعمين، أنَّ عالَمَ الغيبِ هو ما يرىٰ من كواكبَ ونجومٍ منثورةٍ في هذا الفضاء، ثم يلامس في آخر هذا الباب البابَ السابقَ ويمهدُ للاَّحقِ بقوله: «فإنَّ الشيَء غيرَ المنظورِ إذا عُبِّر عنه بصورة كـانت أقرب للعيـان والفهمِ من إخباره عنه نفسه» وهذا معنىٰ قولهم الحسياتُ معابرُ للعقليات وعالَمُ الشهـادةِ صـورةٌ لعالَمِ الغيب، ومـا غابَ عنـا لانعرفـه إلا بمـا حضر لـدينـا، وهـذا معنىٰ

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠.

التشخيص الـذي جعله مدارَ حـديثِه في البـاب السادس الـذي يقـول في آخـره «الخلاصةُ لم يبقَ شيءٌ من الأشياءِ إلا شُخِّصَ بمحمود أو مذموم أو مهمل». وفي الباب السابع يستعرضُ معاني الرحمِ وأنـواعها؛الـروحانيـةِ الإلهيَّةِ،والـروحانيـة الشيطانيّةِ،والطبيعية الإنسانية،وكلُّها وَلود.ثم يبـيّنُ معانيَ التـذكيرِ والتـأنيث محللاً قولَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الكذبُ حيض الرجـال» تحليلاً لا يكـاد يخطر لك علىٰ بال. وقـد خصَّص البابَ الثـامن للحديثِ عن المستقـذرات دفعاً لزعم من يقولُ أنَّها تقوم وتُدارُ بغيرِ الله،فيشرك من حيث يريدُ أن ينزه إذ يجعـلُ قيوماً مـدبراً مـع اللَّهِ واللَّهُ بكلِّ شيءٍ محيط وبكـل شيء عليمٍ،وليس بينه وبـين معلومِه عِلمُ غيره.باينَ الأشياءَ بينونةَ صفةٍ لا بينونةَ عزلةٍ،ليس في الأشياءِ بـوالج ولا عنها بخارج ولا تدنَّسُ الروحُ بـإدارةِ البدن. ويعـودُ للحديث عن الصـدقِ والكذبِ بشيء من التفصيل،فقد يكونُ الكذب محموداً والصدق مذمـوماً.وأشنـعُ الكذبِ ما لبسَ لباسَ الصدق في القول والعمل والأخلاق وهذا مدارُ حديثـه في الباب التاسع وقد تكون كلمتَه الخالدةُ أصدقُ عنوان لهـذا الباب: «والـذي أراه أن الاقتران بالعظمة سفـاحاً بـدون شروطها الشرعيـة أعظم وزراً من تلك التي يقام عليها الحد، وجمع أموال الأمة بـالطرق الملتـوية أقبـحُ جريمـةً من تلك التي يعاقب عليها القانون» وفي الباب العاشر يتحـدث عن كتابي الله سبحـانه، ويعني كتابه التكويني وهو كلُّ ما تراه العينُ ويثبتُه العقلُ،والتـدوينيّ وهو القـرآنُ الكريم الذي (وصل إلينا للمشاكلةِ بلباسِ الحروف والأصواتِ والعبارةِ) فيأتيكَ رحمَهُ اللَّه ـ من خلال ذلك ـ عن التكوين بالغريب العجيب.

وعن الأيـام في الباب الحـادي عشر يحـدِّثُـك عن اليـوم الجسـمانيّ واليـوم الروحاني ثم يقول: (وكما يُفهم أنَّ اليـومَ من الطول بحيثُ يكـادُ أنْ يكونَ بـلا نهاية كذلك يضمه قِصَر حتىٰ يكونَ أقلَّ من الثانية مثل ما بقوله تعالىٰ: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ويستعرض في البابِ الثاني عشر قصَّةَ الشمسِ والقمر عند الأقوامِ

القديمة مروراً بالصابئة،ويؤكد اتفاقَ جميع المفسرين على نفي سيدِنا إبراهيم الخليل لعبادتِها ويرى في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: واللَّهِ لو وضعوا **الشمسَ في يميني والقمرَ في شمالي. . .) الخ. . . إشارة صريحةً إلى تحدي قريشٍ** في معبوديها:الشمسُ والقمرُ المرموزُ لهما بأصنام منحوتة. ويجعلُ البابَ الثالث عشر للحديث عن وحدةِ الوجود،القضيةِ الفلسفيةِ الإلهية الكبرى التي قوبلت باستنكارِ الجهَلَةِ خلال تاريخها الطويل.وهل هي ـ لو علموا ـ إلا إثباتُ الوحدانيةِ لواجبِ الوجودِ سبحانَه،وهو وجودُ كلِّ موجودٍ وهو وحدهُ الوجود المحض الحي القيوم القائم بذاتِه البريء من شوائبِ العدم والإمكان،وكلُّ ما يرى ويعلم مظاهرُ وجوده وتجليات صفاتِه التي لا تعدده بتعددها،فعبارةُ وحدةِ الوجود مرادفةٌ لعبارةِ وحدانيةِ اللَّه،فكيف تُنكَرُ وتُعارَضُ؟!. .

أما الباب الرابع عشر فيفرده للحديثِ عن الباطن والظاهر فيوردُ من كلامِه وكلام الصوفيين ما ملخصه:

المفترضاتُ الشرعيةُ صورٌ للأسرارِ الباطنة وظلالٌ لها. . . والمعقول لا يُعرف إلا بواسطة المحسوسِ،ونهايةُ الحقيقةِ الجمعُ بينَ الشريعةِ والطريقةِ،ولا باطنَ ولا ظاهرَ إلا بالنسبة وبحسبِ الاستعداد،فالبواطنُ والظواهرُ ـ تبعاً لذلك متعددةٌ فما هو ظاهر لكَ باطنٌ عن غيركِ وما هو باطنٌ عنكَ اليوم ظاهرٌ لك غداً. ولأنَّ الأسرارَ الإلهيةَ من المداركِ كالأطعمةِ من المعد كان يعطي الحكماءُ والفلاسفة والدعاة الإلهيونَ الخاصةَ ما يمنعونَ منه العامةَ رعايةً لهم لا بغضاً بهم،فكان الباطن والظاهر.

وبهذا البَاب يختمُ العلامةُ الحكيمُ (قدَّسَ اللَّهُ لطيفَه) كتابَه النفيسَ الذي ربما قرأهُ جَاهلٌ فرماه معذوراً،وطالعَهُ عالِمٌ عارِفٌ فباتَ جذلانَ مسروراً.

لجنة إحيَاء تراث العلامة

الشيخ أحمد محمد حيدر

بعد أن قدمنا ما قدمنا أصبحت أهميةُ هذا الكتابِ واضحةً للقارىءِ المتمعنِ الباحث عن الحقائق الإلهية المتطلعِ إلىٰ بلوغِ ملكوتِ اللّٰه الأعلىٰ،وغدا مفهوماً مقدارُ ما لنشر هذا الكتاب من قيمةٍ خاصةً وهو علىٰ ما هو عليه من أهميةٍ سواءً أكانت من الناحيةِ الفلسفيةِ أم الدينية،وذلك ليكونَ بين أيدي المهتمينَ بقضايا الكونِ المحيطِ بهم وما فيه من موجوداتٍ من جهة،والراغبين بتخليصِ أنفسِهم من الضياعِ في مجاهلِ هذا العصر المادي الذي يضغطُ بثقلِه علىٰ النفوس الإنسانيةِ من كلِّ سبيل من جهة ثانية. لقد ظلَّ هذا الكتابُ طويلاً حبيسَ المخطوطاتِ الخاصة لا يتيسرُ الاطلاع عليه إلاَّ لنفرٍ قليلٍ من الناس شأن باقي كتبِ علاَّمتِنا الشيخ ـ رفع الله مقامه ـ وكانت لجنةُ إحياء تراثِ العلاَّمةِ الشيخ أحمد محمد حيدر قد تنادتْ إلىٰ الاهتمام بآثاره والقيامِ بتحقيقها ونشرِها علىٰ الناس،وفي هذا الوقتِ تناهىٰ إلىٰ سمعنا أنَّ كتاباً قد نُشِرَ في باريس يحمل عنوان: «التكوين والتجلي» بتحقيق... الدكتور صالح عضيمة. فاستقبلت اللجنةُ هذا النبأَ بالفرحِ الشديد خاصةً وأن الدكتور صالح عضيمة هو واحدٌ من تلامذةِ العلاَّمة الشيخ ومن محبيه. لكن هذا الفرح تبدد حالما تم الاطلاعُ علىٰ الكتابِ المذكور،فقد تبين أنَّ الدكتور صالح عضيمة لم يتمكن من الحصول علىٰ نسخةٍ صحيحةٍ للكتاب وبالتالي جاءَ الكتابُ ناقصاً في بعض فصوله... مضطرباً في بعضها الآخر.كما لاحظت اللجنةُ أنَّ المحققَ الدكتور صالح عضيمة لم يتمكن ـ بسببِ ضيقِ الوقت أو قلةِ المراجع المتيسرة لديه في مهجرهِ ـ من تتبع نصوص الكتاب وتحري مَظَانِّه.

ولهذه الأسبابِ فقد قررت اللجنـةُ أنْ تبدأ بتحقيق هـذا الكتاب بـالذات رغبةً منها في وضـع الكتابِ الصحيـح بين أيـدي القراء الكـرام. أما عن تحقيق الكتاب فمن نافلةِ القول أنْ نقولَ أنَّـه كان عمـلاً شاقـاً احتاجَ إلىٰ وقتٍ طـويل وجهد مضنٍ. ومردُّ ذلـك إلىٰ أنَّ شيخَنا العـلامة ـ قـدَّسَ اللَّهُ العليُّ روحـه ـ لم يشر في كتابه إلىٰ المصـادر التي رجَع إليهـا إلا نادراً،ولم يكن السببُ في ذلـك إلاَّ أنَّه قدسه الله كان يكتبُ من حفظه عند قيامه بتأليف كتبه ولا يتحرىٰ شواهـده في مصادرها، وهذا هو السبب الـذي أدىٰ إلىٰ اختلاف في اللفظ ـ أحيـاناًـ بـين رواية شيخنا العلاَّمة وبين ألفاظ المؤلفـين الذين أخـذ عنهم ـ لكن الجوهـر كان محافظاً عليه بعناية بالغة.

وقد قامت اللجنةُ بقراءةِ الكتابِ قراءةً متمعنةً وأرجعتْ فيه كلَّ حديثٍ أو فكرةٍ أو جملة إلىٰ صاحبها،هادفةً من وراء ذلك إلى جعلِ الكتاب مرجعاً قيِّماً لا غنىٰ عنه لكل قـارىءٍ أريب، كما عمـدت اللجنةُ إلى جمـعِ العديـد من النسخِ الخـطية لهـذا الكتاب النفيس فـرأت أنَّها علىٰ كثـرتِها تـرجع إلى نسختـين اثنتين نَقَلَتْ عنهما،وهاتان النسختان هما اللتانِ اعتمدتْهما اللَّجنةُ في عملِها.وقد رمزْنا إلىٰ إحداهما بالحرف (ا) وإلىٰ الأخرىٰ بالحرف (ب).

فأما النسخة الخطية التي رمزنا إليها بـالحرف (ا) فهي بخط العـارف بالله الشَّيـخ حَامـد يوسف ـ وتقـع ضمنَ مجلدٍ عددُ صفحـاتِه ٣٤٠ صفحـة في كـل صفحة ٣١ سطراً،ومتـوسط عددِ الكلمات في السـطر الواحـد ١٣ كلمة، ويقـع كتابُ التكوين في الصفحات من ٢١٤ - ٢٨٩.

وأمـا النسخةُ الخـطية الثـانية فتقـعُ ضمن مجلدٍ. . عـددُ صفحـاتـه ٤٣٢ صفحة في كل صفحة قرابةُ ستَّةَ عشَر سـطراً،وفي كلِّ سطرٍ قرابـة عشر كلماتٍ. ويضم المجلد مجموعةً من الرسائلِ الإخوانية للعلامـة الشيخ أحمـد محمد حيـدر إضافة إلىٰ كتـاب التكوين والتجـلي الذي يقـع في الصفحات من ١٢١ - ٤٣٠

وهي بخط الشيخ الجليل محمد علي بدور وضمن مكتبته، فلهذين الشيخين شكر اللجنة وتقديرها وإكبارها.

هاتان هما النسختان اللتان اعتمدتهما اللجنة في تحقيق هذا الكتاب وقد تمت المقابلة بينهما واستخلصتْ منهما أكثرَ القراءاتِ دقة وملاءمةً للعقل،ثم تناولتْ اللَّجنةُ النصَّ بالتعليقِ عليه وردّه إلىٰ أصوله واستخراجِ ما تضمنه من الأحاديثِ المنسوبةِ إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإلىٰ الأئمة المعصومين عليهم السلام. وقامتْ بتدقيقِ ما يحويه من آياتٍ قرآنية كريمة لتسهيلِ مطالعتها علىٰ الراغبين، ثم اعتمدت له عنوان «التكوين والتجلي».

ولا نريدُ أن نطيلَ علىٰ القارىءِ الكريم بل نريدُ أنْ نتركَه لمطالعةِ الكتاب ثم نتركُ له الحكمَ علىٰ هذا العمل بعد الاطلاعِ عليه.ولا يسعُنا إلَّا توجيهَ الشكرِ إلى كلٍّ أولئك الجنودِ المجهولين الذين بذلوا كل ما في وسعهم من جهود في سبيل إخراجِ هذا السفر الجليل.

والله نسألُ أنْ يجعلَ عملَنا هذا خالصاً لوجهِه، إنَّه سميعٌ مجيب.

الساحلُ السوريّ / تشرين الأول ١٩٨٦م

لجنةُ إحيَاءِ تراثِ العلاَّمةِ الشيخ

أحمد محمّد حيدر

الباب الأول

بدء التكوين

أكثرنا بكتبنا السابقة، من[1] ذكرِ التكوين[2] والتحدث عنه كما في التنبيه والهبطة[3] وغيرهما، علىٰ أنَّه لا بدَّ من ابتداءِ كتابِنا هذا به لأننا نستعرضُ به الكيانَ[4] والتكوينَ وتَعلّقِ عالمِ الغيب بعالم الشهادة[5] وتَمثُّلِ كِلا العَالمين بأخيه.

إنَّ أكثرَ العلماء الذين كتبوا عن التكوين علىٰ اختلاف المِلَلِ والنِّحَل يفتتحون كلامَهم بألفاظٍ مُتَقارِبةٍ وأفكارٍ مُتلاحِمَةٍ بأن اللَّهَ سبحانَه كان ولا كونَ[6] معه ولا خبرَ عنه ولا اسمَ ولا رسم[7]، كما في الحديث القدسي: «كنتُ

---

(١) من سقطت من (ا)

(٢) التكوين: إيجاد شيء مسبوق بالمادة ـ كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني ـ مكتبة لبنان ـ ١٩٧٨ ص ٦٨.

(٣) شرح التنبيه وكتاب الهبطة مخطوطان للمؤلف.

(٤) إن لكل كائن كياناً وكيان كل شيء ما يعينه ويميزه عن غيره فيجعله هذا لا ذاك،فكيان الإنسان مثلاً غير الحيوان وقد اصطلح فلاسفة العرب علىٰ تسمية الكيان ماهية وهوية وذاتاً. «اللجنة».

(٥) الغيب: كلُّ ما سترَه الحقُّ منك لا منه وعالمُ الغيب هو الملكوتُ المختصُّ بالأرواحِ والنفوسِ وعالَمِ الشهادة من المحسوسات الطبيعية كالعرشِ والكرسيِّ وكل جسم متميزٍ بتَصَرُّفِ الخيال المنفصلِ من مجموع الحرارةِ والرطوبة واليبوسة التنزيهيةِ والعنصرية وهي كلُّ جسمٍ مركبٍ من الإستقصات. كتاب التعريفات مصدر سابق ص ٢٤٦

(٦) الكون هو كل ما تكوَّنَ في الوجود من عالَم الغيب وعالم الشهادةِ،والباري تعالىٰ ليسَ بكونٍ ولا يتكوّنُ،وفي القاموس: الكون عالم الوجود. مأخوذاً من التكوين الذي هو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود. «اللجنة».

(٧) الرسمُ في المنطقِ تعريفُ الشيءِ بخصائصِهِ وأعراضِهِ وهو قسمُ الحدِّ. وعن ابن سينا هو قولٌ يُعرِّفُ الشيءَ تعريفاً غيرَ ذاتيّ ولكنهُ خاصٌ أو قولٌ مميِّزٌ للشيء عما سواه لا بالذات. عن: المصطلحات العلمية والفنية ـ إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي ـ ملحق لسان العرب ـ إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي دار لسان العرب ـ بيروت ص (٢٦٢ - ٢٦٣).

كنزاً[١] مخفياً فأحببْتُ أنْ أُعْرَفَ،فخلقتُ الخلقَ لكي أُعرفَ فبي عرفوني» المطابقِ أتمَّ المطابقةِ لِما[٢] وردَ في القرآن الكريم ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنْسَ إلاَّ ليعبدون[٣]﴾. كوّن اللَّهُ سبحانَهُ الكونَ[٤] ليكونَ كنزاً يغنى به ولئلاَّ يبقىٰ كنزاً مخفياً لا نفعَ منه[٥].

ولكن بدءَ التكوين لا يُحَدَّدُ ولا يجوزُ السؤالُ عنه بمتىٰ ولا بأين ولا بِلمَ، غير أنه لا بدَ من ابتداء والابتداءُ يتنافىٰ مع الأزليّة[٦] والأزليةُ والأبديةُ[٧] هما لله سبحانَه لا غير، لأنه قبلَ كلِّ أولٍ ولا بداية،وبعد كل آخرٍ ولا نهاية، فَقِدمُ اللهِ سبحانه ليس[٨] بتطاولِ زمان[٩].

---

(١) الكنزُ الخفيُّ هو الهويَّةُ الأحديَّة المكنونةُ في الغيبِ وهو أبطنُ كلِّ باطنٍ. عن كتاب التعريفاتِ - مصدر سابق ص (١٩٧) وفي المعجم الصوفي: الكنزُ الخفيُّ هو البطونُ وهو ذاتُ الحقّ الأزليةِ القديمةِ المعرَّاةِ عن النسبِ والإضافاتِ،فالحقُّ لا يُعرفُ من حيثُ ذاته فهو دائماً الكنزُ الخفيُّ ولكن يعرفُ من حيثُ صفاتِه وأسماؤه المتجلية في الوجودِ - المعجم الصوفي تأليف الدكتورة سعاد الحكيم. دار ندره - بيروت - لبنان ط ١ ١٩٨١م - ١٤٠١هـ ص ٩٨٣ - ٩٨٤

(٢) سقطت من «ب»

(٣) سورة الذاريات آية (٥٦)

(٤) سقطت من (ب)

(٥) في ب فيه

(٦) الأزلية هي استمرارُ الوجود في أزمنةٍ متعددةٍ غير متناهيةٍ في جانب الماضي. كتاب التعريفات مصدر سابق ص - ١٦.

(٧) الأبدية هي استمرارُ الوجود في أزمنةٍ مقدرةٍ غير متناهية في جانب المستقبل. كتاب التعريفات - مصدر سابق ص (٥ - ١٦) الأزل لا يتسمّىٰ به شيء غير اللَّه جل جلاله - اللمع لأبي نصر السراج الطوسي،تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور. ١٣٨٠هـ ص (٢٤١).

(٨) في أ (لا)

(٩) الزمانُ هو متجددٌ معلوم يقدَّرُ به متجددٌ آخرُ موهومٌ كما يقالُ آتيكَ عند طلوعِ الشمس،فإن طلوعَ الشمسِ معلومٌ ومجيئُهُ موهومٌ فإذا قُرِنَ ذلك الموهومُ بذلكَ المعلوم زالَ الإيهامُ. كتاب التعريفات - مصدر سابق ص (١١٩) والزمانُ عند أرسطو هو: «مقدارُ الحركة من جهةِ المتقدمِ والمتأخرِ» المتقدمُ هو الماضي والمتأخرُ هو المستقبل. الزمان الوجودي تأليف عبد الرحمن بدوي - الطبعة الثانية - مكتبة النهضة المصرية - مطبعة جرينبرغ بالقاهرة ص - ٦١ وص ٨٨.

ولا امتـدادِ دهرٍ[1] وجـوب[2] محضٌ وأزليةٌ صرفـةٌ، ووجـودُ المكـونـاتِ إمكان[3] صرف وعدمٌ إضافي.والقول بأن قِدَمَ الأشياءِ مساوٍ[4] لقـدمِ الله لأنها كانت بعلمهِ قبلَ أن تكونَ، يُعطينا فرضَ افتقارِ الأشياءِ الممكنةِ لموجدٍ أوجـدَها صوراً وذواتاً والمعلومُ ليس هو ذاتُ العالِمِ به[5].

وهذا الذي دعا للقولِ الصادقِ الرائعِ: «بأن المـاهياتِ[6] غـيرُ مجعولـة» ونسبة الله سبحانَه إلىٰ مخلوقاتهِ فعليةٌ لا نسبةُ معيةٍ[7] عـادية من قـوةٍ إلىٰ فعل[8] وهذا يماثلُ القول: «إن البدايةَ ما بالقوة والغايةُ ما بالفعل،وما بالفعـل يدل عـلىٰ ما بالقوة ولا ينعكس[9]».

---

(١) الدهرُ هو: الآن الدائم الـذي هو امتـدادُ الحضرةِ الإلهيـة وهو بـاطنُ الزمـان وبه يتجـدَّدُ الأزلُ والأبـدُ. كتاب التعـريفات ـ مصـدر سابق ص (١١١) وفي الحـديث قال صـلى الله عليه وآلـه وسلم: «لا تسبوا الدهرَ فإنَّ الدهرَ هو اللّه».

(٢) الوجوبُ هو: ضرورةُ اقتضاءِ الذاتِ عينِها وتحققُها في الخارج،كتـاب التعريفـات. مصدر سـابق ص ٢٧٠.

(٣) الإمكانُ هو: عدمُ اقتضـاءِ الذات الوجودَ والعدمَ. كتاب التعريفات مصدر سابق ص ٣٧.
والوجوب هو عالَمُ النور المجرَّدِ ويقابلُه عالَمُ الإمكـانِ وهو مـا يجوزُ أن يكـونَ ويجوز أن لا يكـون كـالحـركـاتِ والألـوانِ والـطعـومِ. كـلُّ شيء ممكنٌ في ذاتـه واجبٌ بغـيره عـدا حضرة الحق. «اللجنة».

(٤) في ـ ا ـ «مساوق» والمساوقةُ: المتابعةُ، تساوقتِ الابلُ تتابعت. لسان العرب مادة سوق.

(٥) سقطت من «ا».

(٦) في (١): الحقائق، والحقائق عنـد ابن عربي لا تنقلبُ ولا تتبدل ولا تتفاضلُ فيها بينها وهي أصلُ ومبدأ التمييز.والحقيقـة هي ما يشـير إليه الفـلاسفة بكلمـة ماهيَّـة و(ذات).
المعجم الصوفي ـ د سعاد الحكيم ـ ط ١ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ص ٣٥٣.

(٧) في (ا) معينة.

(٨) الشيءُ الذي هو بالقوة هو الذي يمكنُ أن يكون وجودُه في الـزمان الآتي المستقبـل كقيامِ القـاعدِ وقعودِ القائم. والشيءُ الذي بالفعلِ هو الموجودُ في الـزمان الحـاضر من سائـرِ الأفعال الكـائنةِ كقعودِ القاعدِ وقيام القائم. الزمان الوجودي ـ مصدر سابق ـ ص ٩١.

(٩) من تقويم الأسماء (جلال الدين بن معمار الصوفي). مخطوط خاص.

ومثل ذلك قول المنتجب[1]:

صهباءُ كانت ونونُ الكاف ما برزتْ والشيءُ مندمجٌ في عِلم باريهِ

إن هذا وأمثالَه مخاطبةٌ[2] لنا بشكل ما يكون الإيجادُ عندنا،وكثيرٌ من هذا في القرآن والحديث وغيرهما. ولا بدَّ[3] من حملِ ذلك على فعليةِ الفيضِ[4] كفيضِ الحرارةِ من النار ونور الشمسِ من الشمس والعلمِ من العالِم وهكذا بدون أن ينقص من الذات شيءٌ.

وعن هذا الفيضِ الأولِ بالتسلسلِ كان التكوينُ بلا نهاية،وبهذا الفيضِ تقوم الكائنات، لأنه سرُّ الله الساري بها[5] ولو انقطعَ هذا المددُ عنها لفنيتْ حالَ انقطاعِهِ كفناءِ نورِ الشمسِ الداخلِ من نافذةٍ اذا ما حِيْلَ بينَهُ وبين النافذة، وبانقطاعِ هذا المددِ تتهافتُ الأملاكُ وتبيدُ الأفلاكُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يمسكُ السماواتِ والأرضَ أن تزولاَ ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده[6]﴾

(١) المنتجب هو أبو الفضل محمد بن الحسن المنتجب العاني الخديجي المضري. شاعر مجيد عاش في القرن الرابع الهجري توفي عام (٤٠٠) هـ. انظر تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار ـ دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٦٩م ص ٣٥٨. وانظر فن المنتجب العاني وعرفانه تأليف د. أسعد أحمد علي. بيروت ـ دار الرائد العربي ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

(٢) في (ا) مخاطباً.

(٣) سقطت من «ب»

(٤) الفيضُ: لغةً جريانُ الشيء بسهولة،وأولُ موجودٍ فاض عن الحقِ الأولِ تعالىٰ هو الحقيقةُ المحمديةُ،ومنها وعنها كانت المكوناتُ بلا نهاية. «اللجنة».

وللتوسع راجع: المعجم الصوفي ـ مصدر سابق من ص ٨٨٨ - ٨٩١.

(٥) السرُّ هو: العمل الذي يزداد عمقاً كلما ازداد الإنسانُ معرفةً وحكمةً. المدخل إلىٰ المبدأ الكلي ـ ندرة اليازجي ـ منشورات دار الغربال ـ دمشق المنشورات الجامعية طرابلس ط ١٩٨٤١م هامش ص (١٤) ـ والسرُّ: خفاءٌ بين العدم والوجود،موجودٌ في معناه.وسرُّ السر ما لا يَحسُّ به السرُّ فإن أَحَس به فلا يقال له سر.

اللمع ـ مصدر سابق ص (٤٣٠) والسرُّ الساري بالأشياء هو الحقيقةُ المحمديةُ،وقد استخدَمَ العلامةُ (المؤلف) تعبيرَ السرّ الساري والفيض والمدد بمعنىً واحد. «اللجنة».

(٦) سورة فاطر آية (٣٥).

وهـذا الفيضُ التكـوينيُّ إشراقُ صفـاتِ اللّٰهِ المؤثـرة بـهِ،وهـذهِ الصفـاتُ إبداعٌ[1] تجتمعُ بصفةٍ،ويستمرُّ هذا التكوينُ بهذا الإبداع بلا نهايةٍ كما تقدم.

الصفات الإبداعية

إنَّ الصفـاتِ الإبداعيـةَ هي مظاهـرُ أفعالِ اللّٰه التي هي الـدليلُ وعليهـا الـدليلُ ومنهـا الدليـلُ وبها الـدليلُ ولهـا الدليـلُ وعنها الـدليلُ ولا قـوامَ لهـا إلّا بمُوجِدِها قال تعَـالى: ﴿ومن آياتِـه أن تقومَ السـماءُ والأرضُ بأمرِه﴾[2]. ولا قوامَ لسلطانِها إلّا بالقوليِّ مشفوعاً بالوجوديِّ وكلُّ ذلـك في قبضتهِ، ويقـول جابـرُ بن حيان تلميذُ الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنه لا مندوحةَ لنا من افتراضِ وجـودِ جوهـرٍ[3] يكون نـواةً للتكوين ويكـون بمثابـة طبيعةٍ خـاصةٍ تُضـاف إلىٰ الطبائعِ الأربعِ[4] وهذا الجوهرُ هو القابلُ لكلِّ شيءٍ، وهو الذي في كلِّ شيء، وكما خلقَه بارِئُه جعله في كل والكل راجع إليه[5].

---

(١) الإبداعُ هو إيجادُ شيءٍ من لا شيءٍ وهو أعمُّ من الخلقِ،أو هـو إيجادُ شيءٍ غـير مسبوقٍ بمـادةٍ ولا زمـان كالعقـول. راجع كتـاب التعريفـات مصدر سـابق ص (٥). والإبداعُ هـو أن لا يتوقفَ صـدورُ المعلولِ عن العلَّة علىٰ تـوسطِ الآلةِ والـزمان والمـادة. شرح الإشـارات للخـواجـة نصر الطوسي وللإمام فخر الدين الرازي ـ ط١ ـ بـالمطبعـة الخيريـة مصر ١٣٢٥ هـ ص ٢٣٤. يقول أحمد بن جابر الغساني الفيلسوف الصوفي المعروف بالشيـخ أحمد قـرفيص في مسـائله المخـطوطة: الإبداع نور كامل وخير شامـل تام لا نقص يعـتريه، وعلة للعـالم بما فيـه. وذلك المعلول واجب بوجوب علته، قابل لإفاضة نوره ورحمتـه، غير متبـدل ولا متغير لأن علتـه لا تتبدل ولا تتغـير، والإبداع هو نوره، ونوره لا ينقطع».

(٢) سورة الروم (٢٥).

(٣) جوهرُ كلِّ شيءٍ خالصُه، والجواهرُ الأصولُ والحقائقُ،ويُرادُ به هنا الحقيقةُ المحمدية «اللجنة».

(٤) الطبائعُ الأربعُ يُرادُ بها (الحرارةُ والرطوبةُ والبرودةُ واليبوسةُ).

(٥) يوردُ دارسو جابر بن حيان نصوصاً كثيرةً له بهذا المعنىٰ، وهذا النص قد أورده العـلامة في كتـابه ما بعد القمر الطبعة الثانية ص (٨١) بتصرف في اللفظ.

الحقيقةُ المحمديةُ واللوحُ والقلمُ

جاء في كتاب الـدين والإسلام[1]: إن الإشـارةَ إليه[2] غـيرُ مجديـةِ البيانِ لـلأغلب ولا ينتفـعُ بهـا العـامَّـةُ بـل ولا يليقُ إلقـاؤهـا إليهم، ولكن عسىٰ أن تصادفَ لها أهلاً يرتاحون إليها ويَصِلُونَ إلى لُبابِ معانيها وهو إشارةٌ إلى الحقيقةِ المصطفويةِ[3] المتحققةِ بتلك المرتبة التي تقاعسَ عنها جبريلُ الروحُ الأمين وقال: «لو دنوت قدر أنملة لاحترقت» ولا ينقص هذا الجوهـر عن الذات في الكـمالات إلاّ بالنقص الإمكاني والتأخير المعلولي اللازم لذات المتعين بالله، وهـو اسم اللّه الأعظم والحق المخلوق به،ولا فرق بينه وبـين مسماه إلاّ أن هذا عبد وهـذا رب، قـال صلى الله عليـه وآله وسلم: (أنـا أصغر من ربي بسنتـين): همـا الحـدوث والإمكان فالاسم الإلهي سواءً أكان في مرتبة الخلق أم مـرتبة الـربوبيـة المطلقـة ليس مـا هو في الأوهـام العامـة من الحروف والكلمات، بـل الحروف والكلمات أسـماء لهذا الاسم لأنها مـوجودات كـونية كسـائر المكـونات، ومن هنـا ظهر أن الأسماء الإلهية التي هي عبارة عن الذات المتعينـة بتعينات كـونية خلقيـة حادثـة بالحدوث الاسمي بمعنىٰ تأخر التعين عن الذات المطلقة بـل هذا جـارٍ في مطلق الأسماء ثم قال «ارخ الستر فقد أوشك أن ينكشف السر»[4].

---

(١) كتاب الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية ـ تأليف محمد الحسين كـاشف الغطاء النجفي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

(٢) الضمير يرجع إلىٰ الجوهر الذي افترضه ابن حيان والذي هو الحقيقة المحمدية.

(٣) الحقيقة المصطفوية: هي الحقيقة المحمدية وهي الذات مـع التعين الأول،وهي الاسم الأعـظم. كتاب التعريفـات مصدر سـابق ص «٩٥» ـ الحقيقة المحمـدية هي أكمـل مجلىٰ خلقي ظهـر فيه الحق وهي مبدأ خلق العالم وأصله، وهي أول موجود ظهر في الكون ومن تجليه ظهر العالم وهي الوجود كله. المعجم الصوفي مصدر سابق ـ ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ـ انظر الحقيقة المحمديـة في كتاب النصـوص في مصطلحـات التصـوف ـ محمـد غـازي عرابي دار قتيبـة دمشق ١٩٨٥م ص ٩٩ - ١٠٠ - وانظر مشارق أنوار اليقين ـ الحافظ رجب البرسي منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت. ط ١٠ ـ ص (٣٤) «لم يذكر تاريخ النشر».

(٤) ما نقله المؤلف من كتاب الدين والإسلام بتصرف. راجع الكتاب مصدر سابق ص «٢٣١».

وبعبارةٍ أدق وأوضح وألصق بالفهمِ عن الحقيقة المحمدية: إنها أصلُ امتدادِ الحقائق ومظهرُ الدقائق[1] قبلةُ كل متوجِّهٍ ورائدُ كلِ قاصدٍ، روحُ صورِ المباني جامعُ مختلفِ المعاني،مظهرُ تجلي اللَّه الذاتي ومجلىٰ الأسماء والصفاتِ وكلِّ الكمالاتِ،وبه تجلىٰ عِلْمُ اللَّهِ في الوجود، وبه كتبَ اللَّهُ الكائناتِ باللوح المحفوظِ[2] فهو إجمالُ الجميعِ واللوحُ تفصيلُها لا بَل هو تفصيلُ العِلْمِ الإلهيِّ وإجمالُهُ واللوحُ محلُ التعينُ فالعقلُ والقلمُ واحدٌ لكن بنسبتِه للعبدِ يسمىٰ العقلُ الأولُ وبنسبتِه إلىٰ الحقِ يُسمىٰ القلمُ الأعلىٰ.وفي مقدمة الإنسان الكامل للجيلي: «إنَّ السيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم منتهىٰ الأسماء والصفاتِ مهبطُ أنوارِ الجبروتِ ومنزلُ أسرارِ الملكوتِ مجمعُ حقائقِ اللاهوتِ منبعُ دقائقِ الناسوتِ، النافخُ بروحِ الجبرلةِ والمانحُ بسر الميكلةِ والسابحُ بقهر العزرلةِ والجانحُ بجمعِ السرفلة»[3] وفي هذا الكتابِ نفسهِ:لَّما خلقَ اللَّهُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم جعلَه مظهراً. لجلالِه[4] وجماله[5] وخلقَ كلَّ حقيقةٍ من حقائقِ أسمائِه[6] وصفاتِه[7] وخلق نفسَه من نفسِه،وليست النفسُ إلاّ ذات الشيءِ.وأنشدَ من

---

(١) الدقائقُ جمع دقيقة، والدقيقةُ هي الحقيقةُ التي تدقُّ علىٰ الفهمِ وذلك لتستُّرَها وخفائِها فلا يتنبهُ إليها إلاّ أكابرُ العلماء. المعجم الصوفي مصدر سابق ص ٤٧٠. وفي اللغة: الأمور الدقيقة هي الأمور الغامضة.

(٢) اللوحُ المحفوظ: هو مرتبةٌ وجوديةٌ تثني القلمَ الأعلىٰ فتكونُ بذلك أولَ مخلوقٍ انبعاثي يتبوأُ مرتبةَ الانفعال في مقابلِ القلمِ (فاعل) - والأنوثةُ في مقابل القلمِ (الذكورة) ومحلُّ التفصيلِ في مقابلِ القلم (محل إجمال). واللوحُ المحفوظ محلُ حصرِ ما في العالَم من العلومِ إلىٰ يوم القيامة وهو موضعُ تنزيل الكتبِ يمدُّ الألواحَ (ألواح المحو والإثباتِ) التي تنزلُ منها الشرائعُ والصحفُ. واللوح المحفوظ هو النفسُ الكليةُ - المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ٩٩٦.

(٣) للتوسع انظر الإنسان الكامل في معرفة الأواخرِ والأوائل، تأليف سَيدي عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني - مطبعة حجازي - مصر ١٩٤٩م - ١٣٦٨هـ خطبة الكتاب الجزء الأول صفحة «٣».

(٤ - ٥) الجمالُ والجلالُ عند الصوفيةِ وصفانِ ذاتيانِ للّه، إلاّ أنَّ الجمالَ علىٰ العمومِ أوصافُه وأسماؤهُ الحسنىٰ، وأما علىٰ الخصوصِ فنحو صفاتِ الرحمةِ واللطفِ والجودِ. وأما الجلالُ فعبارةٌ عن صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ والمجدِ. الخ. شعر ابن الفارض - دراسة في فن الشعر الصوفي - الدكتور عاطف جودة نصر. دار الأندلس طبعة أولىٰ ١٩٨٢م - صفحة ١٨٧. =

قصيدة طويلة[1]:

الكلُّ فيهِ وعنـهُ كانَ وعنـدَهُ	تفنىٰ الدهورُ ولم تَزلْ أزمانُـه
فالخلقُ تحتَ سماعُلاهُ كخردلٍ	والأمـرُ يبرمُـه هنـاكَ لسـانُـه
والكونُ أجمعُه لديهِ كخـاتمٍ	في إصبعٍ منه أَجَلْ، أكوانـه
والملكُ والملكـوتُ في تيَّـارِه	كالقطرِ بل من فوقِ ذاكَ مكانُه
وتطيعهُ الأملاكُ من فوقِ السما	واللوحُ يُنفذُ ما قضـاه بنانُـه

ويجمعُ هذه الأبياتَ وغيرَها قولُ البوصيري [2] في بردتهِ:

دَعْ ما ادَّعتْه النَّصارىٰ في نَبيِّهم	واحكمْ بما شئتَ فضلاً فيهِ واحتكمِ

ويخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

فإنَّ من جودِكَ الدنيـا وضرَّتَها	ومن علومِك علم اللوحِ والقلمِ

(٦ - ٧) تنقل الصفة إلىٰ اسم: إذا بلغَ الكمالُ في الصفةِ مبلغاً بحيثُ إذا أُطلقَ انصرفتْ إلى اللَّه، فإذا قلتَ فلاناً الغني، ورأيتُ زيداً الغني فالعبارتانِ صحيحتان، لكن إذا أفردتَ كلمةَ الغني فقط تنصرفُ إلىٰ الكمالِ المطلقِ في الغنىٰ، وحين تنصرفُ كلمةُ الوصف في إطلاقها إلىٰ الكمالِ المطلقِ يصبحُ مدلولُها (اللَّه) وتكون: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾. ما معنى الأسماء؟: الصفات. ولكنْ من الجائز أن تَصِفَ إنساناً بغنًى وأن تصفَ إنساناً بحياةٍ، وأنْ تصفَهُ بقدرةٍ. أما إذا أُطلقَ اللفظُ فإنه عند ذاك تصبحُ الصفةُ اسماً.
المنتخب من تفسير القرآن - تأليف الشيخ محمد متولي شعراوي - دار العودة - بيروت - الجزء الثالث ١٩٨١م - صفحة ١٨١.

(١) انظر الإنسان الكامل - مصدر سابق - الجزء الثاني صفحة ٤٥.

(٢) هو شرفُ الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي البوصيري - ولد بدَلاص ونشأ ببوصير ثم انتقلَ إلى القاهرة، وتعلَّمَ العربيةَ والأدبَ، فقال الشعرَ البليغَ في جدِّهِ وهزلِهِ وكان متصوفاً، وأشهرُ شعرِهِ البردةُ وقد نظمَها في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومطلعها:

أمن تذكرِ جيرانٍ بذي سَلَمِ	مزجتَ دمعاً جرىٰ من مقلةٍ بدمِ

توفي البوصيري بالإسكندرية سنة ٦٩٥هـ وقيل ٦٩٦، وقبره فيها مشهورٌ يزارُ. عارض البردةَ شعراءُ كثيرون أشهرُهم أميرُ الشعراء أحمد شوقي ومطلع قصيدته:

ريمٌ علىٰ القاعِ بينَ البانِ والعَلَمِ	أحلَّ سفكَ دمي في الأشهرِ الحُرُمِ

وفي كتاب شرح الزيارة [١]: «إن اللَّهَ سبحانَهُ فاعلٌ بالسببِ، وهو أقربُ إلىٰ المسببِ من نفسهِ ومن سببِهِ، لأنَّه جاعلُ السبب سبباً. فإذا هداك اللَّه بالقرآنِ أو بنبيهِ فقد بيَّنَ جهةَ السببِ وهو الفاعلُ لا السببُ، وهو المسببُ بلا سبب». وهذا الكلام عن هذا الجوهر الأول هو كلام أكثر العلماء قبل بعثةِ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها كما في كتاب الخير المحض لأرسطو [٢]«بأن العقل [٣] مدبرٌ لجميعِ الأشياءِ التي تحتَه بالقوةِ الإلهيةِ التي فيه» وبها يُمسكُ الأشياءَ لأنه بها كانَ علة [٤] الأشياء «وهو يُمسِكُ جميعَ الأشياءِ التي تحته ويحيطُ بها»[٥] وبتوسط هذا العقلِ «أبدعْت العلةُ الأولى آنية [٦] النفسِ الكليةِ

(١) شرح الزيارة من كتب الشيخ أحمد الإحسائي زعيمُ فرقةٍ إسلاميةٍ صوفيةٍ حَمَلَتْ اسم الشيخية، ومن كتبهِ كتابُ (الفوائد) وفيه ينتقدُ بحدَّة الفيلسوفَ صدر الدين الشيرازي.

(٢) الخير المحض هو كتابٌ يُنسبُ لأرسطو ولكنهُ في الواقع لأبرقلس.
انظر الأفلاطونية المحدثة عند العرب (١) تحقيق عبد الرحمن بدوي ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ضمن سلسلة دراسات إسلامية «١٩» سنة ١٩٥٥م ص ١١ـ ١٢.

(٣) العقلُ قوةٌ إلهيةٌ أو أكثرُ ما فينا الوهيةً له المحلُّ الأولُ من بين قوانا، يتعقلُ الأمورَ الجميلةَ الإلهية وتعقلهُ هو السعادةُ القصوىٰ. والعقل في اللغة مصدر عقل الشيء فهمه وتدبره، وهو نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه الحواس. ويراد به هنا الحقيقة المحمديّة. العقل والوجود تأليف يوسف كرم ـ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٤م صفحة(٥).

(٤) العلَّة هي ما عنه يحدثُ شيءٌ أو ما من أجلِهِ ينتجُ، وهذه تسمىٰ العلةُ الفاعليةُ، والعللُ أربعٌ ماديةٌ وصوريةٌ وفاعليةٌ وغائيةٌ. فاعليةٌ كالنَّجارِ الذي يصنعُ الكرسيَّ، وماديةٌ وهي الخشبُ والحديدُ الذي يُصنع منه، وصوريةٌ وهي الهيئةُ التي يتم عليها شكلُهُ، وغائيةٌ وهي الجلوسُ عليه. ملحق لسان العرب ـ مصدر سابق ـ صفحة ١٧٤. ومسائل الغساني ـ رسالة مخطوطة ـ ولكن الغساني يسمي العلة المادية (بالعلة الهيولانية) والمادية الفاعلية (إضافية). وفي القاموس: علة الشيء سببه انظر أيضاً: فلسفتنا، لمحمد باقر الصدر.

(٥) انظر الأفلاطونية المحدثة عند العرب ـ مصدر سابق ـ ص ١١ـ ١٢.

(٦) الأنيةُ: إن هذه الكلمةَ تعريبٌ دقيقٌ لمصدرِ فعلِ الكينونةِ باليونانية. يقول أبو البقاءُ في كلياته «طبع بولاق مصر سنة ١٢٨١هـ ط٢ ص ٧٦ تحت لفظ (إنَّ) بالكسر والتشديد هي في لغة العرب تفيد التأكيدَ والقوةَ في الوجود ولهذا أطلقتِ الفلاسفةُ لفظَ الإِنّيةِ علىٰ واجبِ الوجودِ لذاتهِ لكونهِ أكملَ الموجوداتِ في تأكيدِ الوجود» وهذا لفظٌ محدثٌ ليس من كلامِ العرب» تُقرأ الكلمةُ

فصارتْ النفسُ لذلك تفعلُ فعلاً إلهياً، ولكن العلَّةَ الأولىٰ الحق الأول أشدُّ علةً للشيء من علَّتِهِ القريبةِ، لأنها لا تفارقُهُ مفارقةَ علَّتِهِ القريبةِ» [١]

العرش [٢] والكرسي [٣]

إنَّ كلامَ أرسطو هذا هو نفسهُ التكلمُ عن العرش مع ما لكلمةِ العرشِ من أهميةٍ بنظرِ القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريفِ وعند الجميعِ، فالكلامُ عنه مجموعٌ بقِدِيم الاسمِ [٤] مفرّقٌ فيما بين اللَّهِ وبين اسمِهِ. قال اللَّه سبحانه: ﴿الرحمن علىٰ العرش استوىٰ﴾[٥] فهذه الآيةُ تعرِّفُ عن النسبةِ الخاصةِ التي للعرشِ عِنداللَّهِ بأنَّهُ يدّبرُ الأمرَ بواسطتِهِ (يدّبرُ الخلقَ والأمر)[٦]، فليس لكائنٍ

= إنِّيَة بالكسر للهمزة والتشديد للنون مع أنَّ الكلمةَ تُكتَبُ غالباً بالمَدَّة والنون الخفيفة (آنِيَـة) وهذا هو الرسمُ الأقربُ إلىٰ الأصلِ اليوناني ـ الزمان الوجودي ـ مصدر سابق ص (٥).

(١) انظر الأفلاطونية المحدثة عند العرب ـ مصدر سابق ص (٤، ٥) والعبارة بتصرف.

(٢-٣) العرشُ والكرسيُ: الكرسي في اللغة الشيء الذي يُعتَمدُ عليه، والكرسي العلمُ والكرسي القدرةُ. ـ انظر لسان العرب مادة كرس ـ العرش: سرير الملك. والعرش مجلس الرحمن ـ والعرش لا يقدر قدرُهُ. انظر لسان العرب ـ مادة عرش ـ والعرش والكرسي باباِن من أكبر أبوابِ الغيوبِ،وهما جميعاً غيبانِ وهما في الغيب مقرو نانِ لأن الكرسيَّ هو البابُ الظاهرُ من الغيب، منه الأشياءُ كلّها والعرشُ هو الباطنُ . الميزان في تفسير القرآن ـ تأليف العلامة محمد حسين الطباطبائي ـ منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم المقدسة ـ المجلد الثامن ص ١٦٥ . يقول المكزون السنجاري:

عرش علا كرسيّه لما علا   صورته معناه بالذات استقرْ

(٤) قديم الاسم: يراد به الحقيقة المحمدية التي هي التعين الأول للذات الأحدية.

(٥) سورة طه «٥».

(٦) الخلقُ والأمرُ يعبر بهما عن عالم الغيبِ والشهادة والملكُ والملكوتُ والعقلُ والنفسُ.فعالَمُ الخلق ما كانَ من المادة،وعالَمُ الأمرِ ما كان مجرداً عنها. ويشارُ بهما إلى قوله تعالىٰ:﴿ألا لهُ الخلقُ والأمرُ﴾ سورة الأعراف آية «٥٤» شرح ديوان المكزون للشيخ سليمان الأحمد (مخطوط خاص) وقال المكزون في هذا المعنىٰ:

عرفت الخلق والأمر   ومعنىٰ الكل في الكل =

كيانٌ إلا بالعرش ، فالعرشُ هو الحقيقةُ المحمديةُ.وعلىٰ التحقيقِ هو مظهرُ العظمةِ الإلهيةِ ومكانُ التجلي وخصوصيّةُ الذاتِ، وهو جسمُ الحضرةِ الإلهيةِ ومكانُها المنزهُ عن الجهاتِ الشاملُ بقدرتهِ أنواعَ الموجوداتِ، وكلمةُ الكرسيِّ دائماً مرادفةٌ لكلمةِ العرش، فالكرسيُّ عبارةٌ عن تجلي جملةِ الصفاتِ الفعليةِ. فهو مظهر الاقتدار الإلهي ومحل نفوذ الأمر والنهي.

وأولُ توجه الرقائقِ [١] الحقيَّة في إبرازِ الحقائقِ الخلقيَّةِ هو في الكرسيِّ، وهو محلُ الإيجادِ والإعدامِ ومنشأُ التفصيلِ ومركزُ النفعِ والضرِ والفرقِ والجمعِ [٢]، فيه ظهورُ آثارِ الصفاتِ المتضادةِ علىٰ التفصيلِ وهو محلُ القضاءِ، والقلم محلُ التفصيلِ واللوح محلُ التدوين [٣]. وكل هذا التفصيلِ عن حقيقةِ

= فجمعت بلا وصل وفرّقت بلا فصل
فوحدت ولا توحيد إلا لفتىٰ مثلي

معرفة الله والمكزون السنجاري د ـ أسعد علي ـ دار الرائد العربي بيروت ـ ط١ ١٩٧٢ ص «١٨٨».

(١) الرقائق: هي هذه الصلات الممتدة بين الحقائق أو الذوات، تشبه في رقتها أشعة الشمس في امتدادها إلى البصر، فكل حقيقة يشع منها رقائق تربطها بالحقائق الأعلى والأدنى ـ المعجم الصوفي ـ مصدر سابق ـ ص «٥٣٥». وفي نفس المصدر ص ٥٣٦ نقلاً من كتاب الفتوحات المكية ج١ ص «٥٤» ما يلي: «فالحق له تسعة أفلاك للإلقاء، والإنسان له تسعة أفلاك للتلقي فتمتد من كل حقيقة من التسعة الحقية رقائق إلىٰ التسعة الخلقية... (للنزول، للإلقاء) وتنعطف من التسعة الخلقية رقائق علىٰ التسعة الحقية (للعروج، للتلقي).

(٢) الفرق إثبات الخلق والجمع، إثبات الحق ولا بد للإنسان منهما ـ الفرق مقام يشهد فيه صاحبه الكثرة، أما الجمع فهو شهود الوحدة في عين الكثرة بخلاف الفرق الذي هو شهود الكثرة في عين الوحدة. انظر شعر ابن الفارض ـ مصدر سابق ـ ص ١٧٨ و ص ١٧٩. ولا تنس قول المكزون:

فجمعت بلا وصلٍ وفرقت بلا **فصلِ**

(٣) يقول ابن عربي: اللوح هو محل التدوين والتسطير، واللوح هو الكتاب المبين والنفس الكلية، والألواح أربعة:
لوح القضاء: السابق على المحو والإثبات وهو لوح العقل الأول.
لوح القدر: أي لوح النفس الناطقة الكلية التي يفصل فيها كليات اللوح الأول ويتعلق بأسبابها =

التكوين لم يغبْ عن بال علمائِنا فقد ذكروه وأوضحوه في كتبِهم مراراً، وحيثُ علمتَ الآنَ ـ علَّمكَ اللَّهُ الخيرَ وأرشدكـ ـ أنَّ علماءَ المسلمين قد اتفقوا على تباينِ مذاهبهم أنَّ الحقيقةَ المحمديَّةَ أولُ التكوينِ وأنَّها مفاضةٌ عن اللّه وأنَّها العاملةُ بكل منوعِ الأكوان لِكنْ بقوةِ مكوِّنِها فحينئذٍ وجبَ أن نكتبَ ما يحققُ أنَّها كلمةُ اللَّهِ الأمريةُ «كن» (١) كما في قَولِهِ سبحانَه﴿ إنَّما أمرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقولَ لهُ كُنْ فيكون (٢)﴾فكلمةُ كن هذه علىٰ معنىٰ شروحِ الشُّراحِ الإلهيين فاعلُ يقولُ، أَي إذا أرادَ اللَّهُ سبحانَه تكوينَ شيءٍ كَوَّنَهُ بهذه الكلمةِ الأمريةِ وهي الاسمُ الأعظمُ، وليسَ كلامُ اللَّهِ سبحانَه صوتاً يقرَعُ لأذنٍ تسمعُ بل كلامُه إذنهُ للشيءِ أنْ يكونَ فيكونُ، وبالحقيقةِ أَنَّ اللَّهَ لا يفعلُ أفعالَهُ بتوسطِ آلَةٍ فيكونُ لفعلِهِ مقدماتٌ كفعلِ الإنسانِ يحدثُ بعدَ أنْ لم يكنْ وتفنىٰ بعد ما تحدثْ، بل يفعلُ بذاتِهِ لا من واسطةٍ فلذلك كانَ فعلهُ بغايةِ الإحكامِ وتدبيرهُ غايةُ التدبيرِ لأنَّه يدبرُ ما يفعلُ،فمشيئةُ اللَّهِ سبحانَه وإرادتُه وقدرتُه وقضاؤه وإمضاؤه أزليَّةٌ بلا بداية وأبديةٌ بلا نهاية، والمحدثاتُ بالنسبة له سبحانه كنورِ الشمس بالنسبةِ

= وهو المسمىٰ باللوح المحفوظ.

لوح النفس الجزئية السماوية: التي ينقىٰ فيها كل ما في العالم بشكله وهيئته ومقداره وهو بمثابة القلب.

لوح الهيولي: وهو القابل للصور في عالم الشهادة. انظر كتاب التعريفات ـ مصدر سابق ـ ص «٢٠٤».

(١) كن: هي لفظة أمرٍ وجودي لا يكونُ عنها إلا الوجودُ، وهي واحدةٌ تتعددُ بأشخاصِها.يقول ابن عربي في الفتوحاتِ المكية الجزء الثاني ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ «وكن حَرفٌ وجودي فلا يَكون عنهُ إلا الوجودُ، ما يكون عنه عدمٌ لأن العدمَ لا يكونُ لأن الكونَ وجودٌ» انظر المعجم الصوفي ـ مصدر سابق ص ٩٨٩ ـ والكلمة عند محي الدين بن عربي وغيره لها معانٍ اصطلاحية كثيرةٌ ومن معانيها: أ: الكلمةُ: عيسىٰ . قال تعالىٰ﴿إنما المسيحُ عيسىٰ ابن مريم رسولُ اللّه وكلمتُه﴾النساء ١٧١ ـ٢ً : الكلماتُ الموجوداتُ قال تعالىٰ﴿قُلْ لو كانَ البحرُ مداداً لكلماتِ ربي﴾الكهف ١٠٩ ـ «فالموجوداتُ كلُّها كلمات اللّهِ التي لا تنفدُ فإنها عن (كن) وكن كلمةُ اللّه» فصوص الحكم ج ١ ص ١٤٢ـ للتوسع انظر المعجم الصوفي مصدر سابق من ص ٩٧٥ـ ٩٨٠.

(٢) سورة يس آية «٨٢».

للشمسِ فإذا حِيلَ بين نور الشمسِ والشمسِ فنيَ النورُ ولا يبقىٰ آنين، وهـذا نفسُ القولِ بأنَّ الاسمَ العظيمَ هو الفاعلُ كلَّ مفعولٍ ولكن بمكونه لا بـذاتهِ، ويتفقُ هذا وقولَ القائلِ: «القـدرة ذاتيةٌ في اللّه، وفي غيـرهِ مستعارةٌ» فـالحرارةُ أينما كانت، مصدرُها النـار، ويشرحُ جميـعُ ما سبقَ القـولُ الآتي: «إذا أرادَ اللّهُ إحداثَ أمرٍ على يدِ وليٍ من أوليائِهِ أنحلَه [١]. شيئاً من قدرتـهِ وكان هـو الفاعـلُ علىٰ يدِ ذلك الولي». وبهذا كانَ عزرائيلُ ملكُ الموتِ يقبض الأرواح كما في قولهِ سبحانَه﴿قل يتوفاكم ملكُ الموتِ الـذي وُكِّلَ بكم﴾[٢] ولا تتنـاقض هذه الآيـة مع قوله سبحانه: ﴿اللّه يتوفىٰ الأنفسَ حـين موتهـا﴾[٣] فعلىٰ هـذا تكونُ أفعـالُ الملائكةِ التي رتَّبَها اللّهُ للمفاعيلِ كلِّها كالقوىٰ البدنيةِ والنفسِ كما هو في رسالةِ الشيخ [٤]. وردَ في شرح الزيارة: «إنه [٥] تحتَ المرتبِ الأزلي والآخذِ عنـه بغير وسيطٍ والمفيـدِ ما دونـه الشرفَ والنـورَ والحيَاةَ، وذلـك لأن المـلائكـةَ مختلفـةٌ في الجهاتِ والأفعالِ والمفعولاتِ اختلافَ عددِ الذرات في الوجودِ، كلُّ ملكٍ يحملُ بحسبِ قـابليتهِ ومـا يناسبُـهُ وما هـو من جنسِهِ ونـوعِـهِ وشخصِـهِ، وكـلُّ ذلـك الاختـلاف والتمايـزِ والتبّاينِ منحصرٌ في جهـةِ الموالي [٦] عليهم السـلام فلذلـك كـانوا مُختَلَفَ المـلائكةِ والـوحي [٧] في أحكـامِ الـذواتِ والأفعـالِ والأعمـالِ

---

(١) أنحله في «أ» أحل فيه.

(٢) السجدة آية «١١».

(٣) الزمر آية «٤٢»

(٤) الشيخُ هو: أبو عبد اللّه الحسين بن حمدان الخصيبي وهو صوفي من أشهر متصوفي القرن الثالث الهجري ـ انظر تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ـ مصدر سابق الجزء الثالث ص «٣٥٧»

(٥) إنه أي (الاسم العظيم) أو (الحقيقة المحمدية).

(٦) يقصد بالموالي الأئمة الاثني عشر عليهم السَلام. «اللجنة»

(٧) الوحي: إشعاعُ الحقِ وهـو فلسفةٌ وحكمٌ وفنٌ وجمـالٌ، والوحي نـورٌ أبويٌ حنـونٌ عَلَّمَ الإنسـانَ وأنجبَ الأنبياءَ وأنزلَ الأديانَ رفقاً بالناسَ وهدياً لهم ورحمةً بهم، فرحمَ اللّهُ امرأً اصطفاهُ الوحيُ فكانَ المصطفىٰ. انظر كتاب النصوص مصدر سابق ص ٣٤٤- ٣٤٥

والأحوالِ هبطَ عليهم وإذا أريدَ الإلهام [1] وسماعُ الصوتِ ونطقُ الجماداتِ والنباتاتِ والحيواناتِ وما نطقَ من أحوالِ الكلامِ والألفاظِ والأغراضِ فهم محلُّ ذلك، وهذا الهبوطُ هو ظهورُهُ علىٰ حقائقهِم والملائكةُ يأخذون عن أمثلتِهم النورية منهم إليهم».

روىٰ الشيرازي[2] مرفوعاً إلىٰ الإمامِ جعفر الصادق عليه السلام: «إن التفاضلَ بينَ الخلقِ إنما هو بأمرِ الحق المعبرِ عنه بكن، فشخصُ كن أمرانِ: أمرٌ رباني لتحقُّقِهِ يكونُ عنه ما شاءَ، وآخرُ غيرُ متحقِّقٍ ليس له ذلك[3]» وهذا يتفقُ وما جاء في الجَامِعَةِ[4]: «إنَّ كن مبنيةٌ علىٰ حرفين الأولُ: الكاف وهو الوجهُ المتصلُ بالعلو، والثاني النونُ وهي منحطةٌ إلى أسفل ويستمدُّ دائماً من الوجهِ الأول ويمدُّ من دونَهُ، وهذان الحرفانِ هما العقلُ والنفسُ الكليةُ[5] ولقد علمتُ مما تقدم هنا ومن منوعِ المطالعاتِ عن هذين الحرفين اللذين هما الأمرانِ بكلامِ الإمام جعفر عليه السلام واللذان هما العقلُ الفعالُ والكلمةُ الإنفعاليةُ أنهما

---

(١) الإلهامُ: هو مرتبةُ الرشدِ الروحيّ التي يصلُها الوحيُ عند تمامِهِ ـ المصدر السابق ص (٣٤٥) ـ والإلهام في القاموس: مصدر ألهم الله فلاناً كذا: أوحى إليه به ولقنه إياه ووفقه له.

(٢) الشيرازي هو حسن بن حمزة الصوفي الشيرازي عاش في القرن السابع للهجرة صاحب كتابِ التنبيه، له رسالةٌ تسمَّى (تحفةُ الروحِ والأنس في معرفةِ الروحِ والنفس) وهي محفوظةٌ في المكتبة الظاهرية بدمشق، وله رسالة أخرىٰ اسمها (رسالة الأذكار الموصلةُ لحضرةِ نورِ الأنوار) وهي محفوظةٌ في المكتبة الوطنية بباريس، ويُفهَمُ أنَّهُ من أصلٍ مصريٍ رحلَ علىٰ عادةِ الصوفيين إلىٰ زيارةِ الأماكنِ المقدسةِ، ثم طافَ في البلدان حتىٰ استقر مقامُه في شيراز.

(٣) انظر كتاب التنبيه (مخطوط خاص).

(٤) الرسالة الجامعة: هي للحكيمِ المجريطي وهو مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي الأندلسي. ولد في مجريط. توفي عام ٣٩٨هـ قال عنه القاضي (صاعد) في كتاب التعريف بطبقات الأمم ص ٦٩١): «إمام الرياضيين في الأندلس في وقته وأعلَمُ من كان قبلَهُ في علمِ الأفلاكِ وحركاتِ النجومِ، وكانت له عنايةٌ بإرصادِ الكواكبِ». طبع مجمع اللغة العربية بدمشق هذا الكتاب بجزأين سنة ١٩٤٩م بتحقيق الدكتور جميل صليبا.

(٥) النفس الكلية: هي باطن المخلوقات والعالم، شفافة كالماء صافية كالبلور وكل محاولة لتَبَيُّنِ ماهيتها عقيمة. لمزيد من الاطلاع راجع النصوص ـ مصدر سابق ص ٣٣٥.

شيء[1] واحد أو هما جهتانِ يجمعُهما شيءٌ واحدٌ وليسَ بينهما إلا هما . . .

وهذه المعاني كلما تكرَّرتْ أفادتْ أنَّ العقلَ الأولَ[2] الذي هـو (كن) تقومُ بـه كلُّ الكلمـاتِ التي يُكْنَىٰ بها عن كـلِّ واحدٍ من المـاهياتِ والأعيـانِ والحقائقِ والموجوداتِ الخارجيةِ ، وبالجملةِ هو عينُ كلِّ متعـيّنٍ ، وقد تُخَصُّ المعقـولاتُ من الماهياتِ والحقائقِ والأعيانِ بالكلمةِ المعنـويةِ أو الغيبيـةِ ، والخارجيـاتُ بالكلمـةِ الـوجديـةِ ، والمجرداتُ المفـارقاتُ بـالكلمةِ التـامـةِ : وصـورةُ تعلقِ هـذا الأمـرِ الإيجادي بالحقائقِ الإلهيةِ التي أَفـاضَها الله عـلىٰ المكونـاتِ جميعِها وهـذه الحقائقُ هي : أركـانُ البيتِ الإلهيِّ (الحياةُ والعلمُ والإرادةُ والقـدرةُ) وهـذه الأركـانُ لهـا شروطٌ ولوازمُ وهي القولُ والجودُ والأقساطُ فإنَّ التأثـيرَ إنَّما يصـدرُ عن عالمٍ ـ في نفســه صورة يـريد إظهارهاـ هـو قادر عـلى إظهار مـا يتصوره في نفسـه إلى حيز الوجود ، وحينئذ يكونُ كالآمِرِ نفسَهُ بأمرٍ بأنْ يظهرَهُ فأظهَرَهُ فيكونُ القوْلُ صـورةَ الأمرِ لشيء يعلمُ فيُرادُ إيجادُه[3] فبهذا القول الذي هو كن الأمريـة يكونُ وجـودُ الموجوداتِ النورانيةِ المجرّدةِ التي تبادر[4] لقبولِ هذا الأمرِ فيكونُ من حـركاتِهـا بالتسبيحِ والتهليلِ ، حظيـرةُ القدسِ ، يسكنـون بها ثُمَّ كـانَتِ الكثائفُ بتكـثُّرِ

---

(١) في ب شق .

(٢) العقلُ صورةُ لمعقـولٍ أولَ هو اللَّهُ ، وهـو إشراقٌ يفيضُ علىٰ الصـورةِ فهو نـورٌ من نورٍ والعقـلُ جوهرٌ مجرَّدٌ عن المادةِ في ذاتِهِ مقارنٌ لها في فعلِهِ . والعقلُ مفارقٌ بنورانيتِـهِ ظلمةَ الجسـمِ ولـذلك يُدْعىٰ الدرَّة البيضاءَ . انظر كتاب التعريفات ـ مصدر سابق ص (١٥٧) وانظر النصوص مصدر سابق ص (٢٣٠) وانظر (الكافي) كتاب العقل والجهل ج ١ ص (٢١) وفي الأحياء للغزالي ـ دار المعرفة ج ١ ص (٨٣) : «أول ما خلقَ اللَّهُ العقلَ فقالَ له أقبِلْ فأقبَلَ ثم قال له أدبرْ فأدبر فقـالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أكرمَ عليّ منك بك آخـذُ وبك أُعـطي وبك أُثيبُ وبـك أُعاقِبُ» . راجـع بهذا الخصـوص (نهج البلاغـة ـ تحف العقول ـ مشـارق أنـوار اليقـين ـ المعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكيم) .

(٣) انظر التنبيه (كتاب مخطوط خاص) للصوفي حسن بن حمزة الشيرازي ـ انظر شرح التنبيه .

(٤) في «ا» متبادر وفي ب فتبادر .

الأنـوارِ. تكثَّفَتْ بالقـدرةِ وتستَّرتْ بـالحكمةِ، فصـارت هـذه الكثـائفُ أمـاكنَ وأجساداً واللطائفُ ممكناتٍ وأرواحاً ناطقة بتوحيدِ اللَّهِ. وهذا مما يُثْبِتُ لنا أنَّ لا وجـودَ إلا للنورِ ولا مـوجودَ إلا بـالنورِ وبـالتالي لا مـوجودَ إلا النـورُ. والكـونُ والفسادُ[1] الدائبـانِ بهذه الكثـائفِ التي قالَ عنهـا بعضُهم: إنَّ النونَ يـأخذُ من الكافِ حتىٰ يمتلىءَ فيُلقي علىٰ مَنْ دُونَهُ ويَـرجعُ ليـأخذَ فيضـاً آخرَ«ويتـواترُ هـذا الأخذُ والإعطاءُ بتواترِ الكونِ والفسادِ. وهذا الرأيُ علىٰ جمالِـهِ وروعتِهِ أرىٰ أنَّـهُ محاطٌ بالخطإِ لأنَّ الاستمدادَ والإمدادَ دائمانِ متصلانِ لا ينقطعـان وليس من مدةٍ زمنيةٍ بينهما ولكن هذا المشكلَ يتضحُ لك بما في مؤخرةِ التقويم[2] وبما في التنبيـهِ، ونُوجِزُ لـك ما في مؤخـرَةِ التقويم: .«إنَّ الأزلَ القـديمَ أبدعَ شخصـاً كلاميـاً[3] روحـانياً لإظهـارِ آياتِـهِ»وأبدعَ من نـورِ ذلك الشخصِ شخصـاً علميـاً، وجعلَهُ مستقرَّ أسمائِهِ وصفاتِه»وأجرىٰ من هاتينِ الصـورتينِ مصـادرَ أحكامِـهِ ومواردَهـا وجعلَ أحدَهما للدلالةِ والإشـارةِ والآخرَ لتقييـدِ العبارةِ وهـو تعالىٰ يتجـلىٰ بأيِّهـما شاءَ إذا شاءَ فيما شاءَ»وصيَّرَ أحدَهما لإظهارِ العجزِ والآخرَ لإظهارِ المعجزِ وتقدَّسَ الله أن يكونَ في ذاتِه اختلافٌ لأنه لا يُطلقُ عليه أحكـامُ المحدثـين ولا يصحُ أنْ يكونَ قادراً من وجهٍ بإظهارِ العجزِ مقدوراً عليه من وجـهٍ بإظهـار المعجز ولكنَّ الشخصَ الكـلاميَّ والشخصَ العلميَّ هما محـلُّ الصفاتِ والنعـوتِ والاستقـرارِ والثبوتِ، فالشخصُ الكلاميُّ صفةُ العلمِ والشخصُ العلميُّ صفـةُ القدرةِ لأنَّ العلمَ بـالأشياءِ سـابقُ وجودِهـا، والقدرةُ هي العـاملةُ بالإيجـادِ فيكونُ أمـرُ اللَّهِ وإرادتُه جاريينِ بالعلمِ والقدرة في سائرِ الأشياءِ الكونية فصار العلمُ هو الـواحدُ

---

(١) يقصد به ما تكوّن من العناصرِ الماديةِ، فهو دائمُ التجددِ والتغيرِ لا يستقرُ علىٰ حالٍ. «اللجنة»

(٢) التقويم: كتاب مخطوط خاص.

(٣) الشخصُ الكلامي الروحـانيُّ هو الكـائنُ الأولُ الصَادرُ عن الحقِ الأولِ تعـالىٰ وهو العقـلُ الأولُ، والشخصُ العلميُّ هو النفسُ الكليةُ. «اللجنة».

والقدرةُ هي الوحـدانيةُ والغـايةُ العليـا الأحد[1] فكملَتْ دائـرةُ حقائقِ الأشيـاءِ بإظهارِ أحكامِ الأحدِ عن صفةِ الواحدِ علىٰ يد قدرتِهِ (الوحدانية) كالماءِ المتموجِ يخبرُ عن ثَلاثِ أحوالٍ: الماءُ والموجُ والحركةُ وهو في ذاتهِ ماء لَم تُحْدِثْ فيه الحركةُ زيادةً ولا نقصاناً، واختلافُ فـلاسفةِ الإسـلامِ وحكمائِـهِ كَثيرٌ عـلىٰ كيانِ هـذا الجوهرِ الأولِ هل هو بدنٌ طبيعيٌّ؟ أم جسمٌ نوريٌّ؟. غير أن هناك إجماعاً عـلىٰ تجلي جبريل بصورة دحية الكلبي[2] وهذا هو تجلي الجنسِ لـلجنس[3] كالنـاظرِ

(١) الأحد: اسمٌ لمقامِ الغيبِ الذي لا اسمَ له ولا رسمَ ولا صفـةَ له ولا خبرَ عنه، والـواحدُ اسمٌ لمقامِ ظهورِهِ تعالىٰ بأسمائِهِ وصفاتِهِ ففي مقامِ الواحديةِ هو متكثرٌ بكثرةِ الأسماءِ والصفاتِ بحيث لا تنثلمُ وحدتُه بها،وفي مقامِ الأحديةِ لا كثرةَ فيه لا في الـواقعِ ولا في العقـلِ ولا في الاعتبارِ ـ بيان السعادة ـ تأليف الحاج سلطان محمد الجنابذي المجلد الرابع ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة دانكاه طهران ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٢) ذكرَ ابنُ حجرٍ أنَّه (دحيةُ بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن الخزرج بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي ـ صحابي مشهور وكان يضربُ به المثلُ في حسنِ الصورةِ، وكان جبرائيلُ عليه السلام عندما يأتي بالوحي ينزلُ على صورتِهِ، جاءَ ذلك من حديثِ أمِّ سَلَمَة ومن حديثِ عائشة وكثيرونَ رووا مثـلَ هذا. انـظر الاستيعاب ص ٤٧٣ - ٤٧٤ وانـظر هامش الإنسان الكامل ج ٢ ـ ص ٦٢ ـ ويذكر ابن الفارض قصة دحية في تائيته المشهورة فيقول:

وهـا دحـيـةٌ وافىٰ الأمـينَ نـبـيـنـا	بـصـورتِـهِ في بـدءِ وحيِ الـنـبـوةِ
أجـبريـلُ قـل لي: كـان دحيـة إذ بـدا	لمـهـدي الهـدىٰ في هـيئـةٍ بشريـةِ
وفي عـلمِـهِ عـن حـاضريـهِ مـزيّـةٌ	بمـاهيـةِ المـرئـيِّ من غـيرِ مِـريـةِ
يـرىٰ مَـلَكـاً يـوحي إليـهِ، وغـيرُه	رأىٰ رجـلاً يُـرعىٰ لـديـهِ لِصحبـةِ

(٣) قـال الله تعالىٰ: «اللهُ نـورُ السماواتِ والأرضِ...» الآيـة. سـورة النـور آيـة (٣٥) فـالله في صريح القرآن: نور، لكنه نورٌ مجردٌ ورؤيتُهُ لا تكونُ إلا بحسبِ مداركِ الرائي وشكلِه وجنسِه، ولذلك فإنَّ الملائكَـةَ يرونَ اللّهَ نـوراً لأنَّ جنسَهمُ النورُ، أمـا اذا تجلى للبشر فيتجـلىٰ لهم بصورةٍ بشريةٍ لأن جنسَهم بشرٌ، وتجليه نوراً كان أو بشراً لم يحله عن كيانه، بل يبقى كما هو منزهاً عن الصورة والتصويرِ وغيرَ ما رُئِيَ به لأنَّ رؤيتَهُ غيرُهُ وهو غيرُ رؤيتِهِ وقد جـاء عن رسول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسلم في حـديثٍ مرفـوعٍ رواه ابنُ عبـاس مـا نصُّـه: «رأيتُ ربي في هيئـةِ شاب...» وقد رواه الترمذي وقال: حسنٌ صحيح. انظر الحديث في (شرح جوهرة التوحيد) لمؤلفها الشيخ إبراهيم الباجوري مراجعة وتقـديم : عبد الكـريم الرفـاعي ـ مكتبة الغـزالي ـ حماه ١٩٧٢ ص (٢٦٨) وانظر التـوحيد للشيـخ ابن بابـويه القمي ـ دار المعـرفة ـ بـيروت ط ٤ ١٣٨٧ هـ ص (١١٣) «رؤية الله هنا تعني رؤية مظاهره». (اللجنة)

في المرآةِ، قال تعالىٰ: ﴿فأرسلنا إليها روحَنا فتمثَّل لها بشراً سويا[1]﴾

تنزيهُ النبيِّ عن الصورةِ

قال أبو حامد الغـزالي في كتابِـهِ المضنون بـه علىٰ غـيرِ أهلِهِ: «النبي صلى الله عليه وآله وسلم منـزّهٌ عن الشكلِ والصورةِ واللونِ ولكن تنتهي تعـريفاتُـه إلىٰ الأمةِ بواسطةِ مثالٍ صادقٍ ذي شكلٍ ولونٍ وصورةٍ،والذي نراهُ مثالَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا النبي وكذلك تنزيهُ اللَّهِ سبحانَه، وتنتهي تعـريفاتُـهُ إلىٰ العبدِ بواسطةِ مثال محسوس من نورٍ أو غيـرِهِ من الصورِ الجميلةِ التي تصلُحُ لأنْ تكونَ مثالاً للجمالِ المعنويِّ الحقيقيِّ الـذي لا صورةَ لـه ولا لونَ[2]» فـاللَّهُ قد كوّنَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم مرآةً لذاتِهِ فلا يظهرُ الله بـذاته إلا بـهِ،فهو قطب[3] العالمِ الدنيويِّ والأخرويِّ،وقطبُ أهلِ الجنةِ والنار الخ . . .

(١) سورة مريم آية (١٧).

(٢) انظر هامش الإنسان الكامل ـ مصدر سابق ج ٢ من ص (٥٧ - ٥٩)

(٣) القطب في اصطلاحات الصوفيين: هو رأس العارفين وهو صاحب الوقت ومحل المظاهرِ الإلهيـة. للتـوسع انـظر شعر عمـر بن الفارض. دراسـة في فن الشعر الصـوفي ـ مصـدر سـابق ـ من ص (١٩٠ - ٢٢٠).

الباب الثاني

الحركة والسكون



لما كانت الحركةُ(١)* موجودةً (كان لا بدَّ لها(٢)) من موجدٍ مبدئٍ لها، وهذا المبدئ هو محركٌ ومتحركٌ أولُ مثل الحياةِ السارية في عالم الجسمِ من عالم الوحدةِ والكمالِ (الذي هو عالَمُ العقل) ولا بدَّ لها من مبدأٍ(٣) وهو متحركٌ ثانٍ، مثلُ الكمالِ الثاني من(٤) عالَمِ العقلِ الذي هو المحركُ لنوعِ الإنسانِ، والموجود الأولُ(٥) هو المحركُ الذي لا يتحركُ وتحريكُه لغيره(٦) علىٰ نحو ما تكونُ حركةُ المحبِ(٧) إلىٰ محبوبِه. والأمرُ في ذلك أنَّ المحركَ الأولَ هو غايةُ

---

* موضوعُ الحركةِ موضوعٌ شائكٌ ودقيقٌ وقد تناولَهُ العلماءُ الإلهيون في أبحاثِهم منذ أقدمِ العصورِ وقالوا فيه الكثيرَ لذلك فلا غرابةَ في وجودِ تشابهٍ بين ما كتبه علامتُنا وما كتبهُ الآخرون فقد رجعَ في بحثِهِ إلىٰ العديدِ من الكتبِ النفيسة. للمزيد من الاطلاع ـ انظر مثلاً ـ راحة العقل ـ للداعي أحمد حميد الدين الكرماني ـ تحقيق ـ الدكتور محمد مصطفى حلمي والدكتور محمد كامل حسين. منشورات دار الفكر ـ القاهرة ـ ١٩٥٢م ط ١ من ص (٨٩) إلىٰ (٩٤).

(١) الحركة: يُقصَدُ بها الخروجُ من القوة إلىٰ الفعل، أو هي شغلُ حيِّزٍ بعد أن كَانَ في حيّزٍ آخر أو هي كونانِ في آنين في مكانين بينها يعد السكون كونين في آنين في مكانٍ واحدٍ. ويقولُ صاحبُ النصوص، ولا مجالَ لإنكارِ الحركةِ ولا تثبيتِها أيضاً وأربابُ الحقائقِ حائرون في تبيانِ حقيقةِ هذا التنقلِ المعدومِ بحكمِ هويتِهِ الموجودِ بحكم ظهورهِ والحقُّ أنَّ التداخلَ بين العينِ والعيانِ والظهورِ والخفاءِ قد اقتضىٰ هذه الخلخلة ـ المعبَّرَ عنها بالحركةِ، لمزيد من الاطلاع راجع النصوص في مصطلحات التصوف مصدر سابق ص «٩٤».

(٢) العبارة سقطت من ا

(٣) في ا مبدىء

(٤) في ب في

(٥) الموجودُ الأولُ: المحركُ الذي لا يتحركُ يُرادُ به الحقيقةُ المحمديَّةُ. «اللجنة»

(٦) في ا و ب للغير.

(٧) حركةُ المحب إلىٰ المحبوبِ تُسمَّى الحركةُ الشوقيةُ وهي لا تقاسُ بالأمتارِ أو غيرها من المقاييس فهي موجودةٌ بالرغم من عدمِ وجودِ المسافةِ، ولما كانتِ الحركاتُ المعروفةُ تتم لتقصير مسافةٍ فإن

المنبعثُ عنـه وهو الكـمال الثاني وقيـامُـه[1] متعلقٌ بـالتقـديسِ والتمجيـدِ، وفي التسبيحِ والتحميدِ سرورُه وبقاؤُه وبهجتُه، والعلةُ في حركةِ المتحركِ هي صورتُه المعقولةُ عن المبدعِ الذي هو الموجودُ، وهذه الصورةُ كمالُه وهي مصدرُ الفيضِ الإلهيّ الساري في جميعِ المـوجودات. ووجـودُ الموجـوداتِ وبقاؤهـا به، وبهـذه الصورة صارَ المتحركُ الأولُ محركـاً أوَّلَ بغيره والمحـركُ متحركـاً أوَّلَ بذاتِـه فإذا توهمنا فيه حركةً فهي إحاطةُ ذاتِه بذاتِهِ[2] عظمةً وجلالةً وقيامُه بمعـرفتِه وإقـرارُه بالعجزِ عن إدراكِ ما وجد عنـه. وهذا المبـدعُ الأولُ عقلٌ وعـاقلٌ ومعقـولٌ فهو عقلٌ لأنَّ كونَه محضُ العقلِ الكائنِ عن الحقِّ الأولِ، وهو عـاقلٌ فهـو من جهةِ إحاطتِهِ بذاتِهِ وعقلِهِ إياها ولأنَّـهُ لا يحتاجُ في[3] أن يكـونَ إلىٰ شيءٍ غيره بـل ذاتُه معقولةٌ لذاته. فالعاقلُ هو المعقول والمعقولُ هو العاقل ذات واحدةٌ مثل ما عليـه عقولُنا البشريةُ وجلَّ هو وعلا فإنَّ عقولَنا تحيطُ بجوهرها وتعرفُ ذاتَها بأنَّه جوهرٌ حيٌّ ضابط ما تقـدم عليه في الـوجودِ، وليس مـا تقدمَ عليهـا من الجواهـرِ شيءٌ غيرها بل هي هو جنساً ونوعاً وهو هي لا مغايرةً بينهما عالمةٌ بذاتها معلومةٌ لـذاتها والمعلومُ هو العالِم ذاتٌ واحدة لأن الموجودَ عن الله المتعالي جـلَّ جلالُـه تعالىٰ أَن يكونَ معه علةٌ لكلِّ ما سواهُ، فاتضـحَ أَنَّ المحركَ الأولَ هـو اللّٰهُ بذاتِـه فلا بـدَّ لهذه المتحركاتِ من محركٍ آخر متقدمٍ عليها.

وهكذا حتىٰ ينتهي العقلُ إلىٰ محركٍ بذاتِهِ أو محركٍ لا يتحركُ لأنَّ العقلَ لا

= الحركةَ الشـوقيةَ لا تقـاس، وذلك لأن الشـوقَ هو امتـدادُ النفسِ إلىٰ المحبوبِ وفي ذَلـك يقول الأمير حسن بن مكزون السنجاري:

الـشـوقُ أكـبرُ مِـنْ أنْ ... يحـويـهِ مِـنّي كـتـابُ
والحـبُّ أكـبرُ مِـنْ أنْ ... يخـفـيـهِ عـني حـجـابُ

البيتان: من رباعية في الشوقِ. انظر معرفـة الله والمكزون السنجـاري ـ مصدر سـابق ج ٢ ص ٣٥،

(١) في ا وكماله

(٢) في ا و ب ذاتية

(٣) سقطت في ا و ب.

يقبلُ التسلسلَ إلىٰ غير نهاية، وهذا المحركُ الذي لا يتحركُ لا بدَّ أن يكونَ سرمديًّا[١] وأنْ يكونَ كاملًا منزَّهاً عن النقصِ والتركيب والتعددِ، وهو سابقٌ للعالَمِ سبقَ علةٍ لا سبقَ زمانٍ كما تسبق المقدماتُ[٢] نتائجَها في العقل ولكنَّها لا تسبقُها في الترتيبِ الزمنيِّ لأنَّ الزمان[٣] حركةُ العالم فهو لا يسبقُه، أو كما قيل لا يخلقُ في زمانٍ حركتان، والتغيرُ الجبليّ الذاتي في المتحركاتِ لا مِنَ الحركَةِ لأن الحركةَ عبارةٌ عن الخروج من القوةِ إلىٰ الفعل فلا بدَّ من تقويةٍ بذاتٍ من الذوات لتخرجَ من القوة إلىٰ الفعل. والزمانُ مقدارُ الحركةِ تابعٌ لها[٤]. والحركةُ هذه والزمانُ هذا من آثارِ الطبيعةِ، فالطبيعةُ متحركةٌ أبداً. والطبيعةُ إذاً أمرٌ سيَّالُ الذاتِ متجددُ الحقيقةِ ولو لَمْ تكنْ سيَّالةً لم تصدرِ الحركةُ عنها لاستحالةِ صدورِ المتجددِ عن الثابتِ، اللَّهم إلا بتواردِ أحوالٍ عليها تصلحُ لأنْ تكونَ مع أصلِ الحركةِ معدات لأجزائها لسبقها عليها بالزمان، وليس في الطبيعة متغيرٌ فالتغير الذاتي إنما هو الطبيعةُ[٥] من غير تحللٍ جعلَ بينه وبينها،وبهذا يصحُّ ارتباطُ الحادثِ بالقديمِ وذلك لأن تجددَ[٦] الطبيعة عينُ ثباتها كما أن القوةَ في المادةِ عينُ فعليتِها، فالطبيعةُ بما هي ثابتةٌ مرتبطةٌ بالحقِّ تعالىٰ وبما هي متجددةٌ يرتبط[٧] بها تجددُ المتجدداتِ وحدوثُ الحادثاتِ، فالمتحركُ ليس إلا الطبيعةُ الساريةُ في العالَمِ الجسماني بأمرِ اللَّهِ سبحانَه، بل هو الوجودُ الساري في العالَمِ الإمكاني[٨] بإذن اللَّه جلَّ جلالُه وما سوىٰ ذلك فإنَّما يتحركُ بالعرضِ والتبعِ،

(١) السرمديّ: ما لا أولَ له ولا آخر ـ كتاب التعريفات مصدر سابق ص «١٢٣»

(٢) في ب المتقدمات

(٣) في ب ـ للزمان.

(٤) سقطت في ا

(٥) في ا للطبيعة

(٦) في ا تجد

(٧) في ا وب إليها.

(٨) الإمكان: عدمُ اقتضاءِ الذات الوجودَ والعدم ـ كتاب التعريفات مصدر سابق ص «٣٧» والعالمُ الإمكانيُ ـ هو عالمُنا، عالم الوجودُ بأسره «اللجنة».

فالحقُّ سبحانَه أحديّ[1] الإبداعِ والصنعِ أحديّ الأمرِ والتكوينِ والعالَمُ تدريجي الوجودِ وإنَّما كان بأمرِكن فالله سبحانه ﴿إذا قضىٰ أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾[2] فالأشياءُ بطبيعتها ليَستْ كما تحسها إن هي إلاّ تيارٌ من الحركةِ المختلفةِ السرعةِ،فبالنورِ الظاهرِ الخفي ترىٰ حواسُّنا ويُدرِكُ إحساسُنا الذهنيَّ صورةً عنها ثم تصيرُ صورةُ هذه المدركاتِ مدركاتٍ عقلية فالفكر كائنٌ إدراكيّ وله نشاطٌ معنويّ محضٌ ثبتَ أنَّه نورٌ لا يُرىٰ بالعينِ وعرفنا أنَّ الفكرَ شعاع[3] من العقل، وهناك نورٌ آخرُ كونيّ متشيِّءٌ[4] منظورٌ بالعين وبينهما رتبةٌ هي التي تعملُ بصورة خفائيةٍ[5] بين النورِ الفكريّ المجرَّد وبين النورِ الكونيّ المنظورِ أو لعلَّه المسمىٰ بالخيالِ الذي يَرِدُ ذكرُه في مسائلِ العماد[6] وكل معنويّ لا ينقسمُ ولا يتحيز ولا يتعدد وإنْ اختلَفَتْ مفاهيمُهُ، وكلُّ محسوسٍ متعددٌ مختلف الصورِ، والاختلاف شديد بين الحكماءِ[8] والفلاسفةِ[9] في هل اللَّهُ سبحانَه ساكنٌ أم متحركٌ. فمنهم من يقول: «إن الباري تكلم بنوع حركة وسكون»[10] يعني متحرك بنوع سكون وهو علة كل متحرك وساكن. ومنهم من يقول: «إنه ساكن لا يتحرك لأن الحركة لا تكون إلاّ محدثة إلاّ أن تكون

---

(١) سقطت في (١) و (ب).

(٢) الآية «١١٧» سورة البقرة.

(٣) شعاع سقطت في (١) و (ب).

(٤) في ب منشيٌ.

(٥) خفائيةٌ: مصدرٌ صناعي من خفاء ويعني ضد الظهور.

(٦) العماد: هو العمادُ الغساني (الشيخ أحمد بن جابر) وقد سبق الحديث عنه.

(٧) في (١) و (ب): مُحَسّ.

(٨) الحكماءُ: جمعُ مفردُه حكيم: وهو صاحبُ الحكمةِ أي الكلام الموافق للحقّ، أي العالِم

(٩) الفلاسفةُ: جمع مفرده فيلسوف: والكلمة يونانية تعني المشتغلين في المسائل العلمية المتفننين في ذلك، الذين يشتغلونَ بعلم الأشياءِ من خلال مبادئِها وعللِها الأولىٰ.

(١٠) هذا قول أرباب الحقائق الذين حاروا في تبيان حقيقة هذا التنقل المعدوم بحكم هويته الموجود بحكم ظهوره. النصوص في مصطلحات التصوف ـ مصدر سابق ص «٩٤».

حركة فوق هذه الحركة: كما أن ذلك السكون فوق هذا السكون»[1] ولكن[2] أحداً منهم لم يعْن بالحركة والسكون اللبث[3] في مكان دون مكان ولا بالحركة التغير والاستحالة وبالسكون الجوهر والدوام، وإنما عنوا[4] بالحركة والسكون في العقل والنفس ـ الفعل والانفعال ـ وذلك أن العقل لما كان واحداً كاملاً بالفعل قالوا «هو ساكن واحد مستغنٍ عن حركةٍ يصير بها فاعلاً» والنفس لما كانت ناقصة متوجهة إلىٰ الكمال قالوا: «هي متحركة طالبة درجة العقل» ثم قالوا عن العقل: «هو ساكن بنوع حركة» أي هو بذاته كاملٌ بالفعل فاعل مخرج نفسَهُ من القوة الى الفعل والفعل نوع حركة في سكون، والكمال نوع سكون في حركة. أي هو كامل ومكمل لغيره.

---

(١) من هؤلاء زينون الأيلي «حوالى ٤٩٠ - ٤٣٠ ق.م» الذي قال بالطبيعة الجدلية للحركة وكان يعتقد بأن الوجود غير متناقض ومن ثم فإن الوجوْد المتناقض وجود ظاهري«وأشهر المعترضين عليه في قوله هذا الفيلسوف الالماني هيغل. الموسوعة الفلسفية ـ ترجمة سمير كرم ـ دار الطليعة بيروت ط ٤ ١٩٨١م ص ٢٣٧.

(٢) سقطت في أ و هي في ب ولكم.

(٣) اللبث في المكان الإقامة فيه لغةً ـ القاموس.

(٤) سقطت في أ و ب.

الباب الثالث

الاسم

الاسمُ هـو ما دلَّ عـلىٰ مسماه سـواءٌ أكانَ بـاللفظِ الصوتي أم بـالكتابـةِ أم بالمفهومِ الذهنيّ أم الموجودِ الذاتيّ تحتَ نظرِ العينِ أو نـظرِ العقلِ . وأدلُّ أنـواعِ هذه الأسماءِ الموجودُ العينيّ الـدالُ علىٰ غيـرهِ، ومن تقيَّدَ نـظرُهُ بالمحسـوسِ لا يعرفُ من الاسمِ إلاّ اللفظَ والنقشَ كأكثرِ الناسِ لاحتجابهم عن دلالةِ الأشياءِ علىٰ غيرِها وعن كونِها مجلىٰ مفاعيلِ قدرةِ اللَّهِ. وأسـماءُ اللَّه الحسنىٰ لا جهةَ لهـا إلاّ أنها مرأى أفعالِ اللَّه لأنها مختصةٌ باللَّهِ ليس لها دلالةٌ علىٰ غيره وإن رُئِيَ بهـا فهي اسمٌ لمسمّىٰ واحدٍ هو نفسُه اسمُ اللهِ لأنَّه دالٌ عليه ففي كلِّ شيءٍ اسمٌ من حضرتِه[1] تعالىٰ، واسمُ كلِّ شيءٍ حسنٍ هـو من أسمائـه الحسنىٰ فالجميـلُ فيضُ جمالِهِ واللطيفُ في الكلِّ مفاعيلُ لطفِهِ وفيضِهِ، والقهارُ مجلىٰ اسمه القاهرِ وهكذا فكـلُّ ما في التكـوينِ من إفاضـاتِ أسمائِـه. فأنتَ دائـماً بين أسمـائِه وصفـاتِـه وأفعالِهِ، ظهرَ بقدرتِهِ وبطنَ بحكمتِه وحجبَ الذاتَ بالصفاتِ وحجبَ الصفاتِ بـالأفعالِ وكشفَ العلمَ بـالإرادةِ والإرادةَ بالحـركاتِ وأخفىٰ الصنـعَ بـالـذواتِ فكـانتْ المكوّنـاتُ. ولكنَّ الأسماءَ تختلفُ بحسب الاعتبـارات، فـالفيضُ الأولُ

(١) الحضرةُ الألهيةُ هي الذاتُ الإلهيةُ مع صفاتِها وأفعالِها، وكلُّ حقيقةٍ من الحقائقِ الإلهيةِ أو الكونيةِ مع جميعِ مظاهرِها في كلِّ العوالمِ تشكلُ حضـرةً فيقالُ حضـرةُ الغيبِ المطلقِ، وحضـرةُ الشهادةِ المطلقةَ، وحضـرةُ القدرةِ، وحضـرةُ الخيالِ . . . الـخ . . . فـالحضراتُ الإلهيـةُ لا تنحصرُ لأنها نسبٌ، وكلُّ اسمٍ إلهيّ هو حضرةٌ، ومن أسمائِه ما نعلمُ ومنها ما لا نعلمُ،وكلُّ ما يفتقر إليهِ هو اسمٌ من أسمـائِه تعـالى، والحضرةُ الجـامعةُ وعـالمها الإنسـانُ الجـامعُ بجميـعِ العـوالمِ (الملكُ والملكـوتُ والجـبروتُ) الملكُ عـالمِ الشـهـادةِ، والملكـوتُ عـالم المثـالِ المـطلقِ، والجـبروتُ عـالم المجرداتِ. وكلُّ عالمٍ مظهرٌ لما فوقَه وعالَمُ الجبروتِ هو مظهرُ الأعيانِ الثـابتة وهـو مظهـرُ الأسماءِ الإلهيةِ.والحضرةُ الواحديةُ، وهي مظهر الحضرةِ الأحـديَّة، انـظر المعجم الصوفي ـ مصـدر سـابق ص ٣٢٣ ـ ٣٢٧ وانظر كتاب التعريفات مصدر سابق ص (٩٣).

يسمىٰ العقلُ لتعقلِهِ كما يسمى بعقلِ الكلِّ لأنَّـه ممد جميعِ العوالمِ الجزئيةِ المفرَّقةِ بالمخلوقاتِ. وبالعقلِ الكليّ لأنَّه هو الكلُّ أي قائمٌ بالكلِ، وبالقلمِ لنقشِه المعلوماتِ في قوابلِ ألواحِ النفوسِ، ويسمىٰ كلمةَ اللَّهِ العليا. خلقَ اللَّهُ العالَمَ بالكلمةِ ﴿وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم﴾(١) وما الكتابةُ سوىٰ تصويرِ الحقائقِ علىٰ أيةِ صورةٍ كانتْ وما اللوحُ سوىٰ الجوهرِ القابلِ لذلك سواءً أكانَ محسوساً أو معقولاً،وكمْ وردَ عن المعصومين عليهم السلام:(٢) «نحن الأسماء الحسنىٰ»(٣) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا اسمَ أعظمُ مني»(٤) «أنا اسمُ اللَّهِ الأعظمُ»(٥) وقد وردَ في دعاءٍ لأميرِ المؤمنين عليه السلام «بأسمائِكَ التي ملأتْ أركانَ كلِّ شيء»(٦) وله أيضاً:بالاسمِ الذي خلقتَ به العرشَ.. بالاسمِ الذي خلقتَ به الكرسيَّ..وبمفاعيلِ هذه الأسماء التي يجمعها الاسمُ العظيمُ كانتِ الأخبارُ الدالةُ على أنَّ عابدَ الاسمِ والمعنىٰ مشركٌ،وعابدَ المعنىٰ ـ بإيقاعِ الأسماءِ عليه بصفاتِهِ التي وصفَ بها نفسَه ناظرةً إلىٰ الأسماءِ العينيةِ بأنَّها دلالةٌ علىٰ المسمىٰ ـ مُوَحِّدٌ.

---

(١) سورة النساء آية (١٧١).

(٢) المعصومُ هو الذي لا ينوي الشرَّ ولا يفعله، ويُرادُ بالمعصومين محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطاهرون عليهم السلام.

(٣) الحديث يورده صاحبُ بيان السعادة دونَ نسبتِهِ لأحدٍ.
انظر بيان السعادة. مصدر سابق ط٢ مجلد ١ صفحة (٧٥).
- وفي شرح دعاء السحر نُسِبَ الحديث إلىٰ أبي عبد اللَّه جعفر الصادق عليه السلام.
انظر شرح دعاء السحر: الأمام آية الله الخميني ـ مؤسسة الوفاء ـ بيروت ط٢ ١٩٨٤م صفحة (٨٤).

(٤) الحديث يرد في بيان السعادة دون نسبته لأحد.
انظر بيان السعادة ـ مصدر سابق ـ مجلد أول ص (٧٥).

(٥) الاسم الأعظمُ: هو ما يُجاب به الدعاء (وهو الحقيقةُ المحمديةُ)
انظر مشارق أنوار اليقين ـ مصدر سابق ص (١٥٧).

(٦) من دعاء متداولٍ مشهورٍ لأميرِ المؤمنين عليه السلام رواهُ تلميذُه كميلُ بن زيادٍ النخعي.
انظر مثلاً: دعاء وابتهال لأميرِ المؤمنين عليه السلام توزيع دار التعارف ـ بيروت ص (٣).

ومن جملةِ أدعيـةِ رسولِ اللَّهِ صـلى الله عليه وآلـه وسلم «أسألُـكَ بكـلِّ اسمٍ هو لك سميتَ بهِ نفسَك أو أنزلتَهُ في كتابِك أو علَّمتَهُ أحداً من خلقِـكَ أو استأثرتَ به في علم الغيبِ عندك. . . الـخ»[1] وفي تقويم الأسـماء[2] ما يشـرحُ هذا كلَّه بكلماتٍ موجَزَةٍ وهو قولُـه: «لا تكونُ المعـرفةُ تـامةً إلّا بمعـرفةِ الاسمِ واسمِ الاسمِ واسمِ اسمِ الاسمِ»[3] وكلُّ واحد منهـا اسمٌ لما فـوقَه لأنَّـه يعبرُ عنه. قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ولِلَّه الأسماءُ الحسنىٰ فادعوهُ بها وذروا الذين يلحدونَ في أسمائِه﴾[4] فـالاسمُ الحسَنُ الذي ليس بـإطلاقِـه علىٰ الحقِّ سبحـانَـه ولا في دلالتِه عليهِ نقصٌ أو عدمٌ، وتقديم اللام في (لله)، أي تقديم لفظة الجلالة على لفظِ الأسماءِ يدلُّ علىٰ حصرِ الأسماءِ فيـه وذلك لحصرِ الصفـاتِ العليا فيـه وهذا يفيـدُ عدمَ جـوازِ إطلاقِ الأسـماءِ السَّوْءاء عليـه لأنها تستلزمُ الحدَّ والنقصَ قـال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ما تعبدونَ من دونه إلّا أسماءً سميتموها أنتمْ وآباؤكم مـا أنزلَ اللَّهُ بها من سلطان﴾[5] والأسـماءُ التي علَّمَهـا اللَّهُ سبحـانـه لآدمَ إذا أُريـدَ آدمُ المسجودُ له من قِبَلِ الملائكةِ فهي عِلمُ الموجوداتِ جميعها مجرَّدِها ومحسوسِها ومن حيثُ إنَّها دالاتٌ علىٰ مسمياتٍ فـالأشياءُ كلُّهـا دقائقُ للحقـائقِ التي أودعَها اللَّهُ

---

(١) الفتوحات المكية ـ محي الدين بن عربي ـ تحقيق دكتور عثمان يحيىٰ ج٤ من ص ١٧٦ - ١٧٨

(٢) تقويم الأسماء (مخطوط)

(٣) إن الاسم هـو اللفظة الموضـوعـة للتعـريف عن ذات الشخص أو أي شيء كـان ليـدعى بـه. وللصوفيين اصطلاحاتهم الخاصة بهذه الاسماء: إن اسمَ الاسمِ هو اللفظُ الموضوعُ للدلالةِ عـلى الاسم، ويلاحظُ أن الاسمَ هنا يقومُ مقامَ المسمىٰ «واسم الاسم» هو اللفظُ كما تفهم اللغة معنىٰ الاسم يقول ابن عربي: «هذه الأسماءُ اللفظيةُ والمرقومـةُ التي عندنـا أسمَاءُ تلك الأسـماءِ (الإلهيةِ) انـظر المعجم الصـوفي ـ مصـدر سـابق ـ ص ٦٠٧ ـ يُـرادُ بـالاسم رتبـة الأحـدِ، واسم الاسم الواحدُ، واسم اسم الاسم الوحدانيةُ. فالواحدُ صفةُ الأحدِ والوحدانيـةُ صفةُ الـواحدِ وإذا نـزّه اللَّه عن الاسمِ والصفةِ كان الاسمُ (الحقيقةُ المحمديَّة) واسم الاسم النفسُ الكليةُ ـ واسم اسم الاسم الطبيعةُ الكليةُ أو الهيولىٰ التي كان منها عالَمُ النورِ المجرد «اللجنة».

(٤) الأعراف آية (١٨٠).

(٥) سورة يوسف آية (٤٠).

آدمَ، ولذا كانتْ هذه الأسماءُ بمجموعِها، مشتقـة أسماؤُهـا من أسماءِ اسم الله وهم محمد وعليٰ وفاطمة والحسن والحسين. وإذا أُريدَ آدمُ النـوع أو آدمُ الجنسِ عالَمُ الإنسانِ المركَّبِ فالمـرادُ بالأسـماءِ ما أودعَ اللَّهُ بـه بحيث لا يشذ عن حيـطةِ وجودهِ شيءٌ، ونسبَ إلىٰ أميرِ المؤمنين[1] عليه السلام:

دواؤُكَ فيـكَ ومـا تشـعـرُ وداؤك مـنـكَ ومـا تُـبصِرُ
وأنتَ الكتـابُ المبـين الـذي بأحرفِهِ يظهـرُ المُضمَرُ....
وتـزعمُ أنَّـك جـرمٌ صغـيرٌ وفيـك انطوىٰ العـالَمُ الأكـبرُ

الاسمُ الجَامع «اللَّه»

وحيثُ علمتَ ـ زادَك اللَّهُ علماً ـ أنَّ الأشياءَ جميعَها أسماءُ الله لأنَّها جميعَها دالةٌ علىٰ اللَّه وتختلفُ باختلافِ دلالاتِها،فلفظة الجلالةِ «اللَّه» دلَّت علىٰ اللَّه الحقِّ الأولِ وهي غيرُهُ،قال اللَّهُ سبحانَه: ﴿ولئنْ سألَتهم من خلقَ السماواتِ والأرضَ ليقـولنَّ اللَّهُ قل الحمـدُ للهِ بل أكثرُهم لا يعلمون﴾[2]. فلفـظة الجـلالـة «الله» تكتب ويشار بها إليه تعالى، والله أعلى من هذا الاسم المقيد بهذه الحروف، غير أنَّ هذا الاسمَ فيه معنىٰ الألوهيةِ ومعنىٰ التصرفِ بل فيه جميعُ الإضافاتِ الممكنةِ من الخالقِ بالنسبةِ للمخلوقِ، فهو الاسمُ الجامعُ وإمامُ أئمةِ الأسـماءِ الذي لا اسمَ أعظمُ منه، وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال: «لا اسمَ أعظمُ مني» وليس من اسمٍ للَّهِ سبحـانـه إلاّ وهـو ظـلٌ لهـذا الاسمِ، وللَّه أسـماءٌ مخصوصةٌ لا تشتركُ بالخلقِ والتكوينِ كلفظةِ (هو) مثلاً فإنَّه ضميرٌ يُشارُ بـهِ إلىٰ مقامِ الغيبِ مجرداً من جميعِ الاعتباراتِ حتىٰ اعتبارِ التعينِ بخلافِ لفظة الجلالَةِ فإنَّها اسمٌ للذاتِ باعتبارِ جميعِ الصفـاتِ. «فالهـاءُ تنبيهٌ عـلى معنىٰ ثابتٍ والـواو

(١) نُسبتِ الأبياتُ إلىٰ الأمامِ علي عليه السلام، انظر مقدمةَ مصباح الهداية إلىٰ الخلافة والولاية ـ تأليف سماحة آية اللَّه العظمىٰ ـ الإمام الخميني ـ تقديم السيد أحمد الفهري مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ط١ ١٩٨٣م - ١٤٠٣ هـ وقد أورد البيتين الثاني والثالث بتقديم وتأخير.

(٢) سورة لقمان آية (٢٥).

إشارةٌ إلىٰ الغائبِ عن الحواسِ »[1] ولقد أبدعَ العماد[2] بتعريفهِ وجوبَ وقوعِ الأسماءِ بأنَّها تقعُ علىٰ الصورةِ، والصورةُ[3] من لوازمِ الهيولىٰ. فالهيولىٰ لا تتبدلُ والصورةُ تتبدلُ بالهيولىٰ كالشمعِ قابلُ التصور تارةً بصورةِ إنسان وتارةً بصورةِ حيوان وتارةً بصورةِ نبات وغير ذلك، فكلما تنوعتْ وقعَ عليها اسمُ ذلك النوعِ من غير أنْ تتبدلَ ذاتُ الشمعِ، وكما يحدث اسمُ البيت عند بنائهِ والثوبُ عند تمامِهِ.

الاسم الأحد

إنَّ الله سبحانَه لا يُشاركُ باسم الأحدِ شيئاً ويُرادُ به - من تسميةِ اللّه به - ما هو واحدٌ من جميعِ الوجوه [4]، لأنَّ الأحديةَ هي البساطةُ الصرفةُ الممتنعةُ عن التعددِ والتركيبِ والتحليلِ إلىٰ استهلاكِ الكثرةِ النسبيةِ الوجوديةِ في أحديةِ الذاتِ، ولذا رجحَ الأحدُ علىٰ الواحدِ في مقامِ التنزيهِ، فالواحدُ انتفاءُ التعددِ [5] والكثرةِ العينية وإنْ تعلَّقَتْ فيه الكثرةُ النسبيةُ، والواحديةُ عبارةٌ عن مجلىٰ ظهورٍ إلهيٍّ، الذاتُ فيه صفةٌ والصفةُ فيه ذاتٌ فبهذا الاعتبارِ ظهرَ. كلٌّ مِنَ الأوصافِ عَينَ الآخرِ فالمنتقمُ فيها عينُ اللّهِ واللّهُ عينُ المنتقمِ وهكذا. . . وهذا باعتبار الذاتِ بالصفاتِ وفي آثارِها وفي كلِّ شيءٍ مما ظهرتْ فيه الذاتُ بحكمِ الواحديةِ عينُ الآخرِ، ولكلٍّ من الأسماءِ غير [6] المتناهيةِ مظهرٌ في الخارجِ يظهرُ

---

(١) انظر التوحيد للشيخ الصدوق القمي المتوفي ٣٨١هـ - تصحيح وتعليق السيد هاشم الحسني الطهراني - دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت لبنان - ص «٨٨».

(٢) العمادُ هو«العمادُ الغساني صاحب الرسالة المعروفة بمسائل الخرفي الجبلاوي»والعماد هذا هو الشيخ أحمد بن جابر له مقامٌ يُزارُ في قرية قرفيص من أعمال جبلة - سورية وقد عاش في القرنين السادس والسابع الهجري وقد ألف رسالته عام ٥٩٨ هـ وهي مخطوط «خاص»

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب الوجود.

(٥) في ب التعداد.

(٦) في ب الغير.

فيها أثرُ ذلك الاسمِ ومعناهُ في كلِّ نوعٍ من الأنواعِ لكلِّ اسمٍ منوّعٍ بها، فإذا نظرنا متعقلين [1] في مفاعيلِ الاسمِ «اللّه» وجدنا أنَّ جميعَ الأسماءِ منضوية [2] تحتَهُ من محسوسٍ ومعقولٍ. فهذا الاسمُ شخصٌ قائمٌ بذاتِهِ مظهرٌ لجميعِ أفعالِ اللّهِ وهو الحقيقةُ المحمديةُ كما تقدم، ولأنَّ الاسمَ العظيمَ مظهر مفاعيلِ اللّه باللّه قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: الاسمانِ الأعليانِ اللذانِ إذا جمعا اجتمعا لا يكونانِ إلا معاً، يُسمَّيانِ فيفترقان ويُوصفانِ فيجتمعان، تمامُهما في تمامِ أحدِهما، لهما نجومٌ وعلىٰ نجومِهما نجومٌ. قال بعض العلماء هما محمدٌ وعلي. وقال أهلُ الفضلِ خاصةً هما اللّهُ. وفي كتاب الخير المحض[3] لأرسطو: إنَّ العلةَ الأولىٰ فوق الأشياء كلِّها لأنَّها علةٌ لها ولذلك صارتْ لا تقعُ تحتَ الحسِّ والوهمِ والفكرِ والعقلِ والمنطقِ، فليستْ إذاً بموصوفةٍ يُستدلُ عليها من العلّةِ الثانية وهي العقلُ وإنما تسمىٰ باسمِ معلولِها بنوعٍ أرفعَ وأفضلَ لأنَّ الذي للمعلولِ هو للعلّةِ أيضاً إلا أنه بنوعٍ أفضلَ وأكرمَ، فأنواعُ الأسماءِ الكثيرةِ الدالةِ علىٰ الكمالاتِ الكثيرةِ لا تعطينا أنَّ أنواعَ كمالاتٍ كثيرةٍ منوعة ينقسمُ إليها ويتجوهرُ بجميعها، بل هي دالةٌ علىٰ جوهرٍ واحدٍ ووجودٍ واحدٍ غير منقسمٍ أصلاً[4].

الاسم (الفعل) [5]

إنَّ الذاتَ لا اسمَ لها ولا صفةَ، ولكن لا بدَّ لنا نحن من اسمٍ للذاتِ وصفةٍ، وأسماؤُها متعددةٌ وصفاتُها متباينةٌ متنوعةٌ، فقد سُمِّيَ الخالقُ لأنَّه خلقَ،

(١) في ب متعلقين.
(٢) في (ا وب) منطوية
(٣) كتاب الخير المحض ـ سبق الحديث عنه .
(٤) انظر الأفلاطونية المحدثة عند العرب من ص (١ - ٣٤).
(٥) الفعلُ هو إيجادَ شيءٍ يمكنُ إيجادُه، أما العملُ هو إيجادُ الأثرِ في الشيءِ الموجودِ بالفعلِ لا إيجاده هو ذاتهُ . مبادىء الفلسفة ـ مشكلة العمل ـ الثالث الثانوي الأدبي تأليف تيسير شيخ الأرض. مطابع دار البعث ـ ١٤٠٤م ـ ١٩٨٤ م ص ٣ .

والرازقُ لأنّه رزقَ وهكذا. . . وفعلُ اللَّه سبحانه هو الجوهرُ (الحقيقةُ المحمديةُ) فعـلَ اللَّه سبحانَـه هذا الاسم [1] وفعـلَ به الأشيـاءَ كلَّهـا فسُمِّيَ حضرة الحقِّ الفاعلُ وسُمِّيَ الاسمُ الفعلُ وما دونَه مفعولاتٌ ولكنَّ هذا الفعلَ فاعلٌ بباريهِ لا بذاتِهِ، وليس من فاعلٍ إلا هذا الفعل قال الأمير: [2]

وتُنسَبُ الأفعالُ للفعلِ الذي عنه صدَرْ.

وسُمِّيَ هذا الجوهرُ الذي هو الفعلُ بأسماءٍ مختلفـةٍ لاعدادَ لهـا فهو مشيئـةُ اللّهِ وإرادة اللّه وقـدرةُ اللّه، [3] ومن هـذا القبيـلِ أسمـاؤه الأخـرىٰ يـدُ اللّه الباسطةُ العليا وأذنُه السَامعةُ للنجوىٰ وكرسيـه الشامـخُ الذُرا وعـرشهُ الـذي لا يبلغُ له مدىٰ،وقد سُمِّيَ صلى الله عليـه وآله وسلم بهـذه الأعضاءِ لأنَّـه من اللّهِ سبحانَه بنسبةِ هذه الأعضاءِ للنفسِ فهي تعملُ بقوىٰ النفسِ لا بذاتِهـا، ويبلغُ اللســانُ عن النفسِ بقوةِ النفسِ[4] ومـا نراه في الآيـات القرآنيـة في مثل قـوله سبحانه:

---

(١) يقصد بالاسم هنا ذاتُ السيد محمد عليه السلام الكائنُ الأولُ الصادرُ عن اللّه عزَّ وجلَّ (اللجنة).

(٢) الأمير هو المكزونُ السنجاري الشـاعرُ الصـوفي المعروف ـ عـاشَ في القرنـين السادسِ والسـابعِ الهجري (اللجنة) لمزيد من المعرفة عن المكزون انظر ـ معرفة الله والمكزون السنجاري ـ تأليف: أسعد علي ـ دار الرائد العـربي ـ بيروت ـ لبنـان ١٩٧٢م وانظر المكـزون السنجاري تـأليف ـ حامد حسن ـ منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق ج١ ١٩٧٠م.

(٣) القدرة لها اعتبـاران اعتبار تكـونُ به ذاتُ القـادرِ واعتبار تكـونُ به صـادرة عن القادر والحقيقـةُ المحمديةُ أولُ نورٍ صدَر عن باريه فهو قدرتُه المضافة إليه «اللجنة».

(٤) النفسُ والقلبُ والروحُ والعقلُ والسرُ عند الصوفيين شيءٌ واحد وما هي إلا أرواحٌ تتطورُ بحسبِ التصفيةِ والترقيةِ فما دامتْ مشغولةً بشهواتِها الجسميـةِ فهي نفسٌ، فإذا انـزجرَتْ وعقلتْ بعقـالِ الشرعِ إلا أنَّها تعصي مرةً وتتوبُ أخرىٰ فهي عقـلٌ لأنَّها معقولـةٌ بالـدليلِ والـبرهانِ محبـوسةٌ في سجنِ الأكـوانِ،فإذا سكنَتْ عن المعـاصي إلا أنها تتقلَّبُ بـين الغفلةِ وبـين الاهتمـامِ بـالـطاعـةِ والمعصيةِ سُمِّيَتْ قلباً،وهو أولُ مطالعِ الأنوارِ فتشرقُ عليه أنـوارُ التوجـهِ فلا تـزالُ تترادفُ عليـهِ الـوارداتُ حتىٰ يـسكنَ إلىٰ اللّه ويطمئنَّ بـذكرِ اللّه فحينئـذٍ تُسمَّىٰ روحاً،وهـو أولُ مطالـعِ أنوارِ المواجهةِ فبهذه الأنوارِ ينكشفُ الحجابُ وينفتحُ البابُ وتدخـلُ في حضرةِ الأحبـابِ فإذا تصفَّتْ من غَبَشِ الحسِّ وتطهرتْ من كدرِ الأغيار سُمِّيَتْ سراً،وهو أولُ أنوارِ المشاهدةِ فإذا تـزكَّتْ من =

﴿يا حسرتىٰ علىٰ ما فـرَّطتُ في جنبِ اللَّه﴾[1]، ﴿ولِتُصْنَعَ عـلىٰ عيني﴾[2]، ﴿يداهُ مبسوطتانِ﴾[3] وهكذا فـإن جميعَ مـا في الكتابِ الكـريمِ من هذا القبيـل وغيره مما [4] يُنسَبُ للّه من أقوالٍ مثل الحمـدُ للّهِ والشكرُ للّهِ، نـورُ اللَّه، روحُ اللَّه، كليمُ اللَّه، وهكـذا من كل مـا يمتُّ إلىٰ اللّه بصلةٍ وثيقةٍ، ولعلّهُ تبـيَّنَ من خلالِ هذه الأسماءِ أنها معنويةٌ لاماديـةٌ، وبالـذي عرفتُـه لم يكن اسمٌ من أسماءِ اللَّه (تقـدسَتْ أسماؤه) أجمـعَ للمعاني من هـذا الاسمِ (الفعـل) مـا عـدا لفـظة الجلالةِ «اللّه» لأن أسمَاءَ اللَّه تبعٌ لأفعالهِ ككلِ أسماءِ المسمياتِ كالشاعرِ والعَـالمِ والصانعِ وما أشبَه هـذا بخلافِ أسـماء الأعلامِ فـأفعالُـه سبحانَـه ـ كما تقـدمَ ـ لاعدادَ لها وأسماؤه لاعدادَ لها، فإذا قلنا الجوهـرُ الأولُ فعلُ اللَّه فكـأننا قلنـا هو الـوجودُ[5] بهـويةِ الـوجودِ، فهـل الاخـتراعُ إلا فعـلٌ وهـل الإبتـداعُ إلا فعـلٌ وهل. . . وهل. . . ومفهومٌ عند من يعرفُ عن الحقائقِ شيئـاً أنَّ الجوهـرَ الأولَ لا خالقٌ ولا مخلوقٌ ولا فاعلٌ ولا مفعولٌ، لا خالقٌ لكونِ ذاتهِ ولا مخلوقٌ كخلقِ الحدوثِ (ولا فاعلٌ بذاتـه)[6] ولا مفعولٌ كغـيره من المفاعيـل لأنَّ بينَ كـلِّ علةٍ

= لوثِ الأنوارِ وهو الوقوفُ مع المقاماتِ أو الالتفات إلىٰ الكرامـاتِ سُمِّيَتْ سِرُّ السر ـ انظر إيقـاظ الهمم وشرح الحكم للعارف باللَّه الصـوفي الجليل أحمـد بن محمد بن عجيبـة الحسني ـ تصحيح فضيلة الأستاذ محمد محيسن ج ٢ ط١ صفحة «٤٠» ويقول صـاحبُ التنبيهِ عن النفسِ وكـما أنَّه ليـس في الوجودِ إلهانِ ولا في السمَاءِ شمسان فكذلك ليس في الإنسـانِ نفسـان، وإنما سُمِّيَتْ نفساً لأنها أنفسُ مـا في الإنسانِ وقـد نطقَ القـرآنُ الكريم في مـوضعِ المدح فقـال﴿يـا أيَّتُهـا النفسُ المطمئنةُ ارجعي إلىٰ ربِّك راضيةً﴾سورة الفجر آية (٢٨) وقال في موضعِ الذمِّ﴿إن النفسَ لأمارة بالسوءِ إلا ما رحمَ ربي﴾سورة يوسف آية (٥٣) وقال في حالتِهـا المتوسـطةِ المسماة بلسـانِ القرآن المجيدِ اللَّوامة﴿ولا أقسم بالنفس اللوامّة﴾سورة القيامة آية «٢» والكلُّ نفسٌ واحدة، واختـلافُ أسمائِها باختلافِ أحوالِها وأفعالِها وأوصافِها«التنبيه ـ مخطوط خاص ـ

(١) الزمر « ٥٦».
(٢) طه آية «٣٩»
(٣) المائدة «٦٤».
(٤) في (ا وب) ما
(٥) في ب الموجود.
(٦) في ب (ولا فاعل لكون ذاته).

ومعلولٍ معلوليةً وبين كلّ فاعلٍ ومفعولٍ فعلاً، فالفعل ما يصدرُ ويقع على ذات، وهذا معنىٰ قولهم: «نحن آلتُه، وبنا أشرقَتْ شمسُه[1]» وكم قيلَ إنَّهم آلةُ التكوينِ، ومنه قولُ السَيد الحسين بن حمدان الخصيبي[2] آلةُ لا كالآلاتِ.

السر المستسر

أتىٰ في شرح الزيارة، للشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي وفي بصائر الدرجات[3] وغيرهما عن الإمام جعفر عليه السلام: «إن أمَرنا حقٌّ وحقُّ الحقِ، وهو الظاهرُ وباطنُ الظاهر،وهو السرُّ وسرُّ السّرِ، والسرُّ المستسرُّ، وسرٌّ مقنعٌ بسر وقال: أمرُنا سرٌّ مستسرٌّ، وسرٌّ لا نقيدُه إلا بسرّ، وسرٌّ علىٰ سرّ، وسرٌّ مقنعٌ بسر[4]» ثم بالكتابِ نفسِهِ يقولُ لجَابر « يا جابرُ عليكَ بالبيانِ والمعاني قالَ: فقلتُ: [ما البيانُ والمعاني[5]] قال: أما البيانُ فهو أنْ تعرفَ أنَّ اللهَ سبحانَه ﴿ليسَ كمثلهِ شيء[6]﴾فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأما المعاني «فنحنُ معانيه

---

(١) لم نتمكن من العثور علىٰ هذه العبَارة بألفاظهـا في كتاب مطبوع ولكن الشيخ «المؤلف» يوردهـا كثيراً في مؤلفاته.

(٢) صوفي سبق الحديث عنه بأنه من رجال الصوفيّة الأعلام.

(٣) بصائرُ الدرجات: مؤلفه محمد بن الحسن الصفار أحد المحدثين الثقات، وهو من أصحاب أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام توفي بقم عام ٢٩٠هـ.

(٤) السر ما يكتمُهُ الإنسانُ في نفسِه والأسرارُ الخفيةُ هي التي لا تدركُها الأوهَامُ ولا تؤخذُ بالقياسِ والتمثيلِ ولا بالظنِّ والتأويل، ولا تدركُ غايتُها ولا تعرف نهايتُها: قال المنتجب:

سرٌ خفيٌّ جليلٌ لا يحاطُ به ... ولا يقاسُ بتمثيلٍ وتحديدِ

ومهما عرفنا من الأسرارِ يبقىٰ أمرُهم عليهم السلام سراً مقنعاً بسر «اللجنة».

جاء في كتاب إيقاظ الهمم: قلوبُ الأحرارِ قبورُ الأسرار. قال الشاعر:

لا يكتم السرَّ إلا كلُّ ذي ثقةٍ ... فالسرُّ عندَ خيارِ الناسِ مكتومُ

وقال أبو مدين رضي اللّه عنه:

وفي السر أسرارٌ دقاقٌ لطيفةٌ ... تراقُ دمانا جهرةً لو بها بُحنا

انظر إيقاظ الهمم، مصدر سابق ج ١ ص ١١٢ وص (٣٩).

(٥) [العبارة سقطت من «ا»]

(٦) سورة الشورىٰ آية (١١)

ونحنُ جنبُه وأمرُه وحكمُه وكلمتُه وعلمُه وحقُه، وإذا شئنا شاءَ اللهُ، ويـريدُ اللّهُ ما نريدُهُ، فنحنُ المثاني أعطاها الله نبيَّنا صلى الله عليـه وآله وسلم ونحنُ وجـهُ اللّه نتقلبُ في الأرضِ بـين أظهرِكم، فمن عـرفَنا فـأمامـهُ اليقـينُ ومن جهلَنـا فأمامه سجين، ولـو شئنا خـرقْنا الأرضَ وصعـدْنا السـماءَ، وإنّ إلينا إيـاب هذا الخلقِ﴿ثم إنَّ علينـا حسابَهم[1]﴾[2] ومثـل هذا كثـير في هـذا الكتـاب وغـيره، وأغربُ ما ورد في هذا الكتابِ عن الإمام الصادق عليـه السلام: «لنـا مع اللّهِ حالاتٌ نحن فيها هو، وهو نحنُ، ونحنُ نحنُ، وهـو هو» وكثيـراً ما أتتْ هـذه الروايةُ مختلفةً بتركيبِ الألفَاظِ فقد ورد: إن لنا من الله منزلةً إذا كنّـا بها كنّـا كهو، وإذا لم نكن بها، كنا نحن كما نحن وهو هو[3].

الصّفةُ

في كتـاب (شرح الزيـارة) للشيـخ الأحسـائي قـول أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) معرفـاً أن الأئمة (عليهم السـلام) هم الصفةُ الفـاعلَةُ قال: التـوحيدُ معـرفةُ اللّهِ بصفتِـهِ التي وصفَ بها نَفسَـه لعبادِهِ الـذين أرادَ أنْ يعرفـوه بها وهي صفةٌ محدثـةٌ لا تشبهُ صفـةَ شيءٍ من المخلوقاتِ وهي مقـاماتُـهُ وعلامـاتُهُ التي لا تعطيلَ لها، فمَن عرفَها عرفَ اللّهَ لأنها مثـالُه[4] ﴿ليس كمثلِهِ شيء[5]﴾ والـذي يروعُك ويجعلُكَ مستأنساً في حيرةٍ أنَّهم أيضاً إرادةُ اللّهِ ومشيئتُـه ومعرفتـهُ وعلمُه لا بـل هم نفسُ[6] اللّهِ وعرشُـه و. . . و. . . وقد وردَ كثـيرٌ من الروايـاتِ مما

---

(١) الغاشية آية (٢٦)

(٢) انظر مشارق أنوار اليقين تأليف الحافظ رجب البرسي ـ مكتبة النعمان ـ بيروت ط ١٣، ١٩٧٩م ص ١٨١.

(٣) انظر مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية مصدر سَابق ص ١١٤.

(٤) المثالُ غيرَ المثلِ فالمثلُ عبارةٌ عن المساوي في جميعِ الصفاتِ، والمثالُ لا يحتاجُ فيهِ إلىٰ المساواةِ فإن للعقلِ معنىً لا يماثلُه غيرُه. انظر المضنون به علىٰ غير أهله ـ حاشية لـلإنسان الكـامل ـ مصـدر سابق ص (٥٩). والمثال في المعجم: المقدارُ والشبه.

(٥) الشورىٰ آية (١١)

(٦) ليس المقصود من نفس اللّه هنا ذاته بل مـظاهره لأن محمـداً صلى الله عليـه وآله وسلم والأئمـة

يختص بهم صعبُ تعبيرُها مثـل: «خلقَ اللَّه المشيئةَ بنفسهـا[1]» هم معاني اللَّه، مع أنه ورد «إنَّ المشيئةَ لا يخلقُ منها المخلوق بل يخلق بها[2]»» ومثل هذا الكلام تلوح عليه بلاغة المعصوم في حـديثه مما يجعل البـاحث المتعقل كـأنـه في بحـر أمواجه كثيرة وهو يستخرج درَره.ثم من كلامِهم مـا تجدُ عليـه الطلاوةَ النضيـرةَ والحلاوةَ المستمرئةَ كالذاتِ والصفةِ والموصوفِ، فالذاتُ لا اسمَ لها ولا صفةَ ولا بدَّ من اسمٍ وصفة، اسم لندعوه به﴿ولِلهِ الأسماءُ الحُسْنىٰ فادعوه بها وذروا الذينَ يلحدونَ في أسمائِه[3]﴾وصفةٍ لنتعرفَ عليه بهـا لأنَّ كلَّ شيءٍ يعـرفُ بصفتِه[4] ولكنَّ صفتَـه واسمُه شخصٌ قـائمٌ بذاتِـه وهو الحقيقـةُ المحمديـةُ، وتعـالتْ هذه الصفةُ أن تكونَ موصوفةً فالموصوفُ بهـا هو النفسُ الكليـةُ لأنَّ الذاتَ لا تكـونُ موصوفـةً فتكونُ مفعـولةً تحتـاجُ لفاعـلٍ أو لمعرفٍ عنهـا وهذا بخـلافِ ما عليـه الأشياءُ فكلُّ ذاتٍ محسـوسةٌ صفتُهـا عرضيـةٌ وهي غيرُهـا وموصـوفُها ذاتُهـا التي تحملُ الصفةَ فالمعنىٰ القديمُ الـذي هو الـذاتُ وصفته العقـلُ وهو شخصٌ تفـرَّدَ عن معناه بدونِ فصلٍ والموصوفُ بهذه الصفةِ هو النفسُ الكليةُ ثلاثةٌ متلازماتٌ تلازم الصفة والموصوف حتىٰ قيـل: «لا تحسبنْ ما قـد رأيتَ ثلاثـةً[5]». وإذا لم يكنْ ما أتىٰ في شرحِ الزيارة تفسيراً لهذا فإنَّه ينبّـهُ ويشيرُ إليـه قال: "(أمـا البيانُ فهـو أنْ تعرفَ أن اللَّهَ سبحـانَـه﴿ليس كمثلِهِ شيء[6]﴾فلئن وصفَ الحقُّ نفسَـهُ للعبادِ فهو لا يشابِهُ شيئاً من الخلقِ، وأما أنَّك تعبدُه فإنَّك تعبدُ اللَّه الظاهـرَ لك

= الإثنيعشر عليهم السلام هم المظاهر التامة للّه، بهم يظهر الله وبهم يعرف وبهم يعبد، فهم أنْفَسُ المخلوقين عند الله وأقربهم إليه تعالىٰ «اللجنة».

(١) انـظر مصباح الهداية ـ مصـدر سابق ص «١٠٥» حيث يـورده حديثـاً شريفـاً نصـه «خلق اللَّه الأشياءَ بالمشيئةِ والمشيئَةَ بنفسِها».

(٢) انظر بيان السعادة مصدر سابق مجلد أول ـ مقدمة التفسير ص «٢٠»

(٣) سورة الأعراف الآية «١٨٠».

(٤) عن أحد المعصومين عليهم السلام: إذا كانت أسماؤه لا تدعو إليه، وصفاته لا تدل عليـه، كان المعبود غيره.

(٥) هذا القول من قصيدة لابن محور الفـارقي وهو صـوفيٌ لا نعرفُ لـه آثاراً مـطبوعـةً لكن أشعارَهُ مبثوثةٌ في الكثير من الكتبِ المخطوطةِ الخاصة «اللجنة».

(٦) الشورى آية «١١»

حتىٰ أنَّهُ يُغيِّبُ العابدَ عن نفسِهِ وعن غيرِهِ فلا يتوجَّهُ العابدُ إلاَّ إلى الذاتِ مع أنَّهُ أبداً لا يجدُها ولا يفقدُها حيثُ لا يجدها أبداً فهذا مقامُ السر المقنَّعِ بالسر، وهذا المقامُ لهم حيث لا يجدونَ أنفسَهم شيئاً ووجدوا اللَّهَ ظاهراً في كلِّ شيءٍ وقد﴿جعلَه دكّاً﴾[1] ﴿ودخلَ المدينةَ علىٰ حين غفلةٍ من أهلِها[2]﴾ وكلُّه أتىٰ في الحقائقِ[3] في شرحِ قوله سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء[4]﴾قال ما معناه مثلُ اللَّهِ الاسمُ العظيمُ وليس كالاسمِ العظيمِ شيء[5] وأمَّا قولُهم فنحنُ معانيهِ فإنَّ هذه المعاني بالنسبةِ للذاتِ ليستْ شيئاً إلا بالذاتِ فلا تحقيقَ لها إلا بالذاتِ وإنَّما نعرفها[6] بالنسبةِ لآثارِها وأعراضِها فهي بالنسبةِ للذاتِ أسماءُ معانٍ بهذا المعنى وبالنسبةِ لآثارِها أسماءُ أعيانٍ وذواتٌ قائمةٌ علىٰ آثارِها وأعراضِها بما قبلتْ من إمداداتِها،ولا نعني[7] بالذاتِ والعينِ إلا هذا فهم في هذا المقامِ أعلىٰ مقاماتِ موضعِ الرسالةِ وليس[8] إلا الاعتبارُ الأولُ لأنَّه مطارحُ إرسالاتِ موادِ الحيَاة الوجوديةِ والنفسِ الرحماني الثانوي وإيجادِ الشرعياتِ الوجوديةِ وإيجادِ الوجوداتِ الشرعية[9] وهذا هو الدواةُ الأولىٰ وهو﴿ن. والقلم وما يسطرون[10]﴾ والماءُ الذي جعلَ منه حيَاةَ كلِّ شيءٍ والكتابُ الأولُ﴿وعندَهُ مفاتحُ الغيبِ لا يعلمها إلا هو ويعلمُ ما في البرِّ والبحرِ وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمها ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ[11]﴾ وهو «الأرضُ

---

(١) سورة الأعراف آية «١٤٣»

(٢) سورة القصص «١٥»

(٣) الحقائق كتاب مخطوط خاص.

(٤) الشورى آية «١١»

(٥) انظر مشارق أنوار اليقين ـ مصدر سابق ـ ص «١٩٥».

(٦) في «ا» تفرقها وفي «ب» تذوقها.

(٧) في «ا» يفنىٰ

(٨) سقطت من «ب»

(٩) سقطت من ا

(١٠) سورة القلم آية «١» و«٢»

(١١) سورة الأنعام الآية «٥٩»

الجُرُز[1]» والزيت الذي يضيء، ﴿ولو لم تمسَسْهُ نار[2]﴾وأصدقُ تعبيرٍ وأعمقُه هو أنَّ كلَّ مخلوقٍ خلقه اللَّهُ ليعـرفه ولا يُعـرف اللَّهُ إلا بما وصفَ بـه نفسَه لمخلوقـهِ وما وصفَ نفسَه لمخلوقِـه إلا بنفسِه ولهـذا قال أمـيرُ المؤمنين: (من عـرفَ نفسه عرف ربّه[3]) وهم عليهم السلام حقيقة كلٍّ ما وصفَ اللَّهُ بـه نفسَه لخلقـهِ من الذّرة إلى الذرّة وهم كل شيء لأن فطرته حقيقـة صفتهم، وكذلـك وجودُهم علة لـوجودِ الموجوداتِ ووجودُ الموجوداتِ قائمٌ بوجودِهم قيامَ صدورٍ لأنَّ الشيءَ يقوم بمادتِـهِ وصورتِه ونفسِهِ، فاللَّهُ سبحانهُ لا يوصَف[4] لأنَّه أعلىٰ من الصفةِ والنعت، إنَّمـا وُصفت العللُ[5] الثـواني التي استنـارتْ من العلةِ الأولىٰ، وتلك[6] العلةُ تنـيرُ معلولَها وهي لا تستنيرُ من نورٍ آخرَ لأنَّها هي النورُ المحضُ الذي ليسَ فوقَه نـورٌ فمن ذلك صار الأولُ وحدَه يفوت الصفةَ وإنَّما كانَ كذلـك لإنَّه ليس فـوقَه علةٌ يعرّف بها وكلُّ شيء إنَّما يوصفُ ويعرّف من تلقاءِ علتِه.

الذات والصفات. . .

ولكنَّ تحقيقَ وجودِ الذات يتعلقُ بالصفاتِ، وتحقيقُ وجودِ الصفاتِ بـآثارِ الذاتِ وأفعالِها، وتلك الصفاتُ والأفعـالُ والآثارُ ليستْ إلا مجـردَ نعوت للذاتِ ولا كينـونةَ لهـا بنفسِها ولا استقـلالَ لها عن الـذاتِ التي تقوِّمُهـا بـلْ هي قـوىٰ الوجودِ الخفيةُ غيرُ[7] متشيئة ولا مُحسَّة، والقـوىٰ الطبيعيـةُ هي مجرد قـوىٰ للقوةِ

(١) السجدة آية «٢٧» والآية هي: ﴿أو لَم يروا أنَّا نسوقُ الماءَ إلىٰ الأرض الجُرُز فنخرج به زرعاً تأكلُ منه أنعامُهم وأنفسُهم أفلا يبصرون﴾ جاء في تفسير «الأرض الجُرُز» أنَّها أرضُ اليمن، وأرضٌ لا نباتَ بها كأنَّه انقطع عنها أو انقطع عنها المطر ـ لسان العرب مادة جرز.

(٢) سورة النور آية «٣٥».

(٣) انظر مشارق أنوار اليقين ـ مصدر سابق ص ١٨٨ ـ وانـظر العلوم الطبيعيـة في القرآن ـ تـأليف يـوسف مروة ـ منشـورات مـروة العلميـة ـ الـطبعـة الأولىٰ ـ بـيروت ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م. ص «٢٤١»

(٤) سقطت من «ا»

(٥) في ب العلة

(٦) في ب وذلك

(٧) في ب الغير

التي لا تحُس أو هي فاعلةٌ مطلقةٌ بفاعـلٍ مطلقٍ، والكـلُّ مما لا يـرىٰ من أفعالٍ منوعةٍ أثرٌ لتلك الصفاتِ الإلهيةِ، وليستِ الصفاتُ بكـائناتٍ أخـرىٰ مضافـةٍ إلىٰ الذاتِ بل هي مجردُ معانٍ وشؤون لهـا[1] قائمـةٌ بها ونشـاطُ هذه الصفـاتِ قديمٌ بقـدمِ الصفاتِ وإنْ تيقنتْ آثـارُه ومظاهـرُه وتوقتَتْ ببدءٍ ونهايةٍ يتعلّقـانِ بإرادةِ الذات. وكما ترىٰ فإنَّ هذا الكلام يرمي إلى أنَّ الصفاتِ هي الذاتُ أو انتُزعتْ من حاقِّ حقيقةِ الذاتِ، ولستَ تقدُر أنْ ترىٰ تحققاً ملموساً بهذا القول. وردَ في تنبيـه الشيرازي[2]: «فـالأَولى لأصحابِ العقـولِ الوقـوف عنـد أسـماء الـذاتِ وأحكامِ الصفاتِ ولا سبيلَ للتعرضِ إلىٰ نفيها ولا إلى إثباتِها فإن العقـلَ أعجزُ من أنْ يقفَ علىٰ مثلِ هذا بل علىٰ أقلِّ شيءٍ منه، فما كان إلا حيرةٌ في حيرةٍ فلو كانَ (الهو)[3] ظاهراً لما صحَّ هذا الخلافُ ولو كان (الهو) ظاهراً ما كانَ الـهو ومـا كـان إلا أنا ولا بـدَّ من الخـلاف والله أحكم وأعلم». وفي الأسس[4] الكتـاب العظيم: «يقول السائل أخبرني عن هذه الصفاتِ المحدثاتِ القائماتِ بالله هـل هُنَّ خالقاتٌ أو مخلوقاتٌ؟ قال العـالم: لو كنَّ خـالقاتٍ لكنَّ قـديماتٍ، ولـو كنَّ قديماتٍ لشاركْنَ[5] القديمَ، ولـو شاركْنَ القـديمَ لكُنَّ مثلَه ولم تكنْ صفاتِـه وقد تحتاج إليه من بابِ لا خالقاتٍ ولا مخلوقاتٍ.

قالَ السائلُ:فهنَّ إذاً مخلوقاتٌ أو هنَّ منفرداتٌ مقطوعاتٌ عن الخالقات فما هنَّ؟ الخلقُ؟! قـال العالمُ يجـري مجـراهنَّ وهنَّ كـأسمـائِهنّ وهن من صفـاتِ

---

(١) سقطت من «ب».

(٢) كتاب التنبيه (مخطوط خاص) تأليف حسن بن حمزة الصوفي الشيرازي ـ سبق الحديث عنه.

(٣) الهو. اسم مكنّى مشار إلىٰ غـائب، فالهـاء تنبيه عـلى معنى ثابت، والـواو إشارة إلىٰ الغـائب عن الحواس. انظر التوحيد للشيـخ الصدوق ـ مصـدر سابق ص «٨٨» الهـو: هو الله رب العَـالمين الغيب المنيع والمسكوت عنه «اللجنة».

(٤) الأسس: هـو كتاب معـرفة حكمـة سليمان بن داود، وسمي بـالأسس لأنـه أسـاس كـل شيء. وبمعرفة هذا الكتاب وهب الله لسليـمان ملكاً لا ينبغي لأحـدٍ من بعده، وهـو مخطوط مـوجود في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٤٤٩ «اللجنة».

(٥) في «ا و ب» لشركن.

الخالقِ وليس هنَّ من صفاتِ الخلقِ ولا يقال لهن خالقاتٌ ولا مخلوقاتٌ ولسنَ بمنفرداتٍ لأنَّه لا صفةَ إلاّ لموصوفٍ ولا موصوفَ إلاّ بصفةٍ، فصفةُ الخالقِ لا خالقةٌ ولا مخلوقةٌ، قال السَائلُ: فما هنَّ؟ قال العالمُ: هنَّ صفاتٌ. قال السَائل: ففيم يدخلَن؟ ومِمَ يخرجْنَ؟ قال العَالمُ:يدخلنَ من بابِ الصفاتِ ويخرجنْ من بابِ الموصوفاتِ وذلك أن الموصوفَ له صفةٌ وليس للصفةِ صفةٌ فلا يجري عليها أنَّها مخلوقةٌ لأنَّ المخلوقَ جسمٌ بذاتِه وبهيئتِه وبصفاتِه. قال السَائلُ:فالصفاتُ إن لم يقعْ عليها حدُّ الموصوفاتِ فَلِمَ نسَمْيهـا باسم الموصوفاتِ؟ قال العَالمُ:لأنَّ الاسمَ علىٰ جهتين: اسمٌ للشيء هو الشيءُ وهو الجوهرُ، واسمٌ للشيء غيرُ الشيءِ لا هو الشيءُ ولا هو غيرُه»[1].

(١) انظر الأسس (كتاب مخطوط) سبق الحديث عنه.
اختلفوا في الأسماء فقال بعضُهم أسماءُ اللَّه ليستْ هي اللَّهُ ولا غيرُه كما قالوا في الصفاتِ، وقال بعضُهم أسمَاءُ اللَّه هي اللَّهُ.
انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ـ تأليف تاج الإسلام أبو بكر محمد الكلاباذي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٠هـ - ١٩٨١ م ص«٣٩». وجاء عن الصادق، عليه السلام قوله: اسم اللَّه غير اللَّه. والله يسمى بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره.
انظر توحيد الصدوق ـ مصدر سابق ص «١٩٢».

الباب الرابع

الوجود والصورة

من قديمِ الزمانِ والاختلافُ بالغٌ أشـدَّه بين الأممِ عـلىٰ اختلافِ أديـانها ومعتقداتها ومناهجها، بـل بين أبنـاءِ الأمةِ الـواحدة عـلىٰ إثباتِ الصـورةِ[1] لله سبحانه. وبـين هذا. . . الاختـلافِ الشديـدِ والتباينِ البعيـد شيءٌ من التقاربِ الرشيدِ علىٰ تحقيقِ الحقيقةِ،ولكنَّ بعضَ رجالِ الدين في كلِّ زمان ومكان يملؤونَ الصدورَ غِلاً والقلوبَ حقـداً بمختلفِ الروايـاتِ وبمختلف التأويـلاتِ حتىٰ لم أكـد أرىٰ شخصاً واحـداً يتقمصُ التدينَ إلاّ ولَـهُ بالصـورةِ الشغلُ الشـاغـلُ، ومجملُ ما قيلَ هو ما سأنقلُه إليك.

---

(١) الصورة: انطباعٌ في الذهنِ بلا سابقِ معرفةٍ ولدىٰ مثولها في الذهنِ تتركُ انطباعاً ذاتيـاً فهي نقشٌ في لوحةِ الذهنِ بلا سابقِ تصميم. والصورةُ حسيةٌ من طرفٍ، نوريةٌ من طرفٍ مظلمةٌ من جهةِ المادةِ مضيئةٌ من جهةِ الموضوعِ لا يمكنُ حصرُها ولا تمييزُها بذاتِها فهي مـوجودةٌ مفقـودةٌ كالـظلِّ تمـاماً،والصـورةُ ملَك يخدمُ الـربَّ سبحانَـه وبه يتمُ نقـلُ الإنسـانِ من العـالَمِ الحـيّ إلىٰ العـالَمِ المعقولِ أو عالَمِ المعاني، والصورةُ كـوةُ الغيبِ لدىٰ العَـارفِ ودابةُ الفيلسـوفِ الرامي إلىٰ طلبِ التجريدِ وهي تختلُف قوةً وتأثيراً في الناسِ بتفـاوتِ طبقاتِهم فهي عنـد العوامِ عـامَّةٌ وهي عنـد الخواصِ خاصةٌ وهي عندَ العَارفينَ صورةُ اللَّه عزَّ وجلَّ باعتبارِ معطياته الفـائضة عنـه والصورةُ مقدسةٌ فافهم هذا تسلم ـ النصوص ـ مصدر سابق ص «١٩٨».

- صورةُ الشيء ما يحصل به الشيء بالفعل ـ كتاب التعريفات ـ مصدر سابق ـ ص «١٤١».

- صورة الحق أو (صورة الله) لا يُقصَدُ بها اللَّهُ من حيثُ ذاته بل الحَقّ كـما هو في الاعتقـادات المعجم الصوفي ـ مصدر سابق ص «٧٠٧».

- (إنَّ الله خلق آدم علىٰ صورتِه) أراد الصورةَ الباطنَة المعنويَّة لا الظاهرةَ التي تكـونُ للأجسـام تعالىٰ اللَّه عن ذلك ـ مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب ـ تأليف عبد الرحمن بن محمـد الأنصاري المعروف بابن الدباغ ـ تحقيق هـ. ريتر ـ دار صادر بيروت ١٩٥٩م - ص ٥٧ -

- الصورة هي تجلي الخالقِ للمخلوقِ بصفة المخلوقِ. «اللجنة».

معَاني الصورة

«الصورةُ اسمٌ مشتركٌ قد يُطلَقُ ويُرادُ به الهيئةُ الحَاصلةُ في أجسـامٍ مؤلفةٍ مرتَّبةٍ ترتيباً مخصوصاً مثلُ الأنفِ والعينِ والفمِ والخـدِ التي هي أجسَامٌ، وقد يرادُ به ما ليسَ بجسمٍ ولا هيئـةٍ في جسمٍ، ولا هو تـرتيبُ أجسامٍ كقـولك: عـرفتُ صورتَه وما يجري مجراه»[1] فأنت لا تريد أن تقول: عرفت أجـزاء جسم منفردة أو مجتمعة، وانما هذا المعنى الذي عبَّرتْ عنه في اجتماعها وتأليفها أجـزاء الجسم الواحد، فهذه الصورة اذاً تجمع بين صورتين: صورةٍ مجردةٍ وصـورةٍ محسوسـةٍ، فالصورةُ المحسوسةُ تقـومُ بالصـورة المجرّدةِ لا بـذاتِها والصـورةُ المجرّدةُ هي حقيقـةُ الشيء ومـاهيتُه التي يقـومُ بها وجـودُه وليستْ هي شكله البادي للعـين الملموس باليد فصورةُ العصفورِ هي حقيقتُه التي يكون بهـا عصفوراً لا غـيرَ العصفورِ من الطيورِ، فلا يخلو موجودٌ في العالَم من الصورةِ. وكلُّ موجودٍ هو صورةٌ أو مـادةٌ أو هيولىٰ. وكلما ترقَّتِ الموجوداتُ يَقلُّ نصيبُها من الهيولىٰ حتىٰ تكادُ تكون هيولىٰ خاليةً من كلِّ صورةٍ. وكلما ترقَّتْ في سُلَّمِ الوجودَ زادَ نصيبُها من الصورةِ المميِّزةِ وقلَّ نصيبُها من الهيولىٰ وربما أصبحتْ صورةُ جسمٍ مادةً لجسمٍ آخر كالورق الـذي هو صـورةٌ مميِّزةٌ لبعض المـوجوداتِ فـإنَّه في الـوقتِ نفسِه مـادةُ الكتـابِ. وأخسُّ الموجوداتِ هو الهيولىٰ التي لا توجدُ منعزلةً عن الصورةِ وإذا انعزلتْ فهو

---

(١) انظر شرح جوهرة التوحيد للإمام العلاّمة الشيخ إبراهيم الباجوري ـ تنسيق وتخريج محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتان ومراجعة الأستاذ عبد الكريم الرفاعي مكتبة الغزالي ـ حماه ـ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ص «١٦٠».

وجودٌ بالقـوةِ أي وجودٌ لم يتحقق بـالفعل ولا يـزال ينتظرُ التحققَ كـالنواةِ فـإنّها شجـرةٌ بـالقـوةِ ومتىٰ زُرِعَتْ تـرتقي من صـورةٍ إلىٰ صـورةٍ حتىٰ تصـير شجـرةً بالفعل، والحركة هي التي تحقق انتقالَها من القوةِ إلىٰ الفعل»[1] فمما تقدمَ يتبـيَّنُ لنـا أنَّ الصورةَ اسمٌ مشتـركٌ يُطلقُ عـلى ترتيبِ الأشكـالِ ووضعِ بعضِهـا مـع بعضٍ وفق لـوازم تركيبهـا المراد، وهـذه هي الصورةُ المحسـوسةُ. ويُـطلَقُ هذا الاسمُ المشتركُ (الصورة) علىٰ ترتيبِ المعاني التي ليستْ بمحسوسةٍ مع أنَّ للمعاني تـرتيباً وتـركيباً وتنـاسباً ويسمىٰ صـورة أيضـاً فيقـال صـورةُ الحـالِ[2] وصـورةُ القضيةِ وصورةُ المطلوبِ. فاللهُ سبحانَه صورةٌ محضٌ لا تشوبهُ المادةُ، ومعنىً مجردٌ لا يقومُ بجسدٍ فهو صورةُ الصورِ كما أنَّه سبحانَه نورُ الأنوارِ ومعنىٰ المعاني وغـايةُ الغاياتِ وهو قولُ الشيخ[3] صورةٌ لا كالصورِ.وفي الأسس[4]صـورةٌلا مُصوِّرلهـا وصورةٌ لها مُصَوِّر ومن هذا القبيلِ قولُ العالم[5] «إنَّ اللهَ خلقَ من كلامِه صورةً ومن روحـهِ صورةً ومن نورِه صورةً، ومن إرادتِـه صورةً ومن علمِـه صـورةً ومن قـدرتِه صـورةً ومن قضائِـه صورةً.وكلُّهـا على صـورةِ الإنسانيـةِ»[6] وإذا نظرتَ رأيتَ أنَّـه ليس بهذه الصـورِ صورةٌ محسـوسةٌ تراها العـينُ، والصورةُ الإنسـانيـةُ البـدنيةُ تـراها العـينُ. إذاً يقصد حقيقـةَ الصورةِ الإنسـانيةِ وهي الحيـاةُ والعلمُ والإرادةُ والقـدرةُ التي خلقهُ اللّه بهـا عـلىٰ مثـالِ صـورة اللّه. ويقـول صـاحبُ التقويم[7]: «إنّ الكثيرَ من الحكماءِ الإلهيين قد أرسوا بنيانَ عقيدتهم علىٰ معرفـةِ الصورة، ولم يزالوا في التدقيقِ والتحقيقِ حتىٰ فصلوا حضـرةَ الذاتِ عن حضـرةِ

(١) انظر اللّه نشأة العقيدة الإلهية تأليف عباس محمود العقاد ص «١٤١ - ١٤٢».
(٢) في «أ» الحالة
(٣) هو الحسين بن حمدان الخصيبي «سبق الحديث عنه».
(٤) كتاب مخطوط «سبق الحديث عنه».
(٥) العالم هو أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وأكثر ما يراد به البَاقر عليه السلام.
(٦) انظر الحقائق «كتاب مخطوط».
(٧) هو جلال الدين بن معمار الصوفي «سبق الحديث عنه».

الأسماءِ والصفاتِ وألقوا علىٰ كلِّ ذاتٍ معنويةٍ صورةً تكونُ علامـةً عليها ودليـلاً إليها،فصارَ عندهم للروحِ صورةٌ وللعقلِ صورةٌ وللإيمانِ صـورةٌ وللكفرِ صـورةٌ وللحقِّ صورةٌ وللباطلِ صورةٌ وللجنَّةِ صورةٌ وللنارِ صورةٌ، وهكذا في كليَّاتِ ما يُعلَمُ وجزئياتِ ما يُرىٰ.وأنَّه متىٰ أشارَ المشـيرُ إلىٰ معنى وهميّ أو حدسيّ في كـلامٍ لفـظيّ أو حسيّ فإنَّـه لا حقيقةَ لـه عند أهـلِ المعـرفـةِ حتىٰ يتصـورَ ويجـري في التصـديقِ وتكيفُه الحـدودُ وتتمُ مـاهيتُـه في الذهنِ، فهنـاكَ يُحكَمُ عليـه بنفيٍ أو إثباتٍ[1].

الرؤيةُ والنورُ

الـرؤيةُ[2] المشروطـةُ بمقابلةِ المـرئي للرائي لا تختصُّ بالبصرِ كـالرؤيـةِ في

---

(١) التقويم «كتاب مخطوط» لصاحبه جلال الدين بن معمار الصوفي، سبق ذكره.

(٢) الرؤية هي: المشاهدةُ بالبصر حيث كان في الدنيا والآخرة ـ كتاب التعـريفات ـ مصـدر سابق ـ ص «١١٤»

- العارفونَ يشاهدونَ معروفَهم على الـدوام في جميع الـذواتِ ويتجلىٰ لهم في جميـعِ الموجـودات وعلى جميعِ الحـالات فلا يـرونَ سواهُ ولا يـلاحظون في الكـون حاشـاه ـ مشارق أنـوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب ـ تأليف عبد الرحمن بن محمـد الأنصاري المعـروف بالـدباغ، دار صـادر بيروت ١٩٥٩ ص ٩٠ - ٩١.

- الـرؤيةُ ظهـورُ سرِّ الغيب رموزاً عـلى شاشـةِ الخيالِ، والـرؤيةُ هي الخـطوةُ الثانيـة من رحلةِ الصوفي صاحبِ الذوق ـ راجع النصوص مصدر سابق ص «١٤٥».

- إنَّ رؤيةَ الحقِّ في مرتبةِ الألوهيةِ لا تحصلُ للعبد بل في قمةِ عرفانِ العبد لحظةَ يتهيأُ لرؤيةِ الحقّ لا يرىٰ إلاَّ حقيقتَهُ وصورتَه هو(صورة العبد)ولذلك يقولُابنعربي: إنَّ الحَقَ مرآةُ العبد في رؤيةِ نفسه وقمةَ رؤيةِ الحقِّ هي رؤيتُه بالرؤيةِ المحمدَّية ـ المعجم الصوفي ـ مصدر سابق ص «٥٠١».

- يقول المكزون الشـاعر الصوفي المعروف: كل يراك كعينه إذ كنتَ مرآةَ الوجود. (ويـرویٰ هذا البيت بإبدال: إذ كنت بإذ أنت) ـ ويقول هذا الصوفي أيضاً:

وهــو لي فــوق وتحــت و ورا وأمــام وجــليسٌ عَــنْ يــدي

انظر بخصوص الرؤية:

- كلمة حول الرؤية ـ تأليف عبد الحسين شرف الدين الموسوي ـ ١٣٧١ هـ ص ص ١ - ١١٦

- وانظر شرح جوهرة التوحيد ـ مصدر سابق ـ من ص ٢٤٦ - ٢٦٨

المرآةِ أو بتوسطِ جسمٍ شفاف[1] والإدراكُ البصري صفةُ النفسِ في مقامِها النازلِ، فمنها الرؤيةُ الصادقةُ والكاذبةُ.ولكنَّ الرؤيةَ في الإدراكاتِ المتعددةِ الجزئيةِ عبارةٌ عن قوةِ الإدراكِ التامِ وشدتِه سواءً أكانت القوةُ بالآلةِ المخصوصةِ (العين) أم بغيرها،وسواءً أكانَ المَدرَكُ مصاحباً للمادة أم لا فقد صح بهذا إطلاق الرؤية علىٰ المتقدر المجرّد أي بالعقل، والمادي يرىٰ بالعين. وهذا المدركُ لا بدَّ أنْ يكونَ بذاتِه أو وسائطِ إدراكِه من سنخِ[2] العالَم الذي يراهُ، فبإدراكِ العقولِ المجرَّدةِ إمّا أنْ يرتفعَ المدركُ ويصيرَ عقلاً مجرداً أو تتمثلَ العقولُ متقدرةً كتجلي الملائكةِ[3] وإلّا فلا، وفي رسالة الشيخ[4] «وكيف يطيقُ العبادُ وبنو إسرائيلَ أنْ يتجلىٰ لهم بالنورانيةِ ولا طاقةَ لهم بذلك» سُئلَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزولِهِ من المعراجِ «هل رأيتَ ربَّكَ؟ فقال: نور أنّى أراه»[5] أي النور المجرَّد لا تمكن رؤيته ولكن به تُدركُ الأشياءُ وهو لا يُدرَكُ ولا يُرىٰ، وهذا النورُ المرئيّ بالعينِ يُدرَكُ به ويُدركُ. والكثائف بأجمعِها تُدرَكُ ولا يُدرَكُ بها، وهذه الثلاثةُ النورُ المجرَّدُ والنورُ العرضيُّ المرئيُّ والكثائف هي الموجوداتُ أجمعها.ولكلٍّ من هذه الثلاثِ شرفٌ يخصُّه وشرفٌ يمتازُ به، فالنورُ المجرَّدُ لهُ الأصالةُ والأوليَّةُ وبه انكشافُ كلِّ مستورٍ، وشرفُ الكثائفِ أن هذا النور العرضيَّ المرئيَّ بالعين مركبٌ منها ومن النورِ المجردِ ولهذا أمكنتْ رؤيته ولأنَّ هذا النورَ العرضيَّ جمعَ بينَ المجرَّد والكثيفِ. . . استحقَ حيازةَ الشرفين شرفِ النورِ المجرّد وشرفِ الكثيفِ المحسوس.ولهذا النورِ الحقيقيّ المجرّد ثلاثُ مراتبَ (الوجودُ والعلمُ

---

(١) في «أ و ب» مشف

(٢) السنخ لغة الأصل والمنبت. وقد استخدمها الشيخ المؤلف بمعنىٰ الشبه والنوع والشاكلة «اللجنة»

(٣) مثل تجلي جبريل بصورة دحية ـ سبق الحديث عنه وكتجليه للعذراء.

(٤) هو الحسينُ بن حمدانَ الخصيبي ـ سبق الحديث عنه.

(٥) سأل أبو الذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هل رأيتَ ربَّك؟ قال «نورٌ أنى أراه».
انظر رسائل ابن سبعين لأبي محمد عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي ـ تراثنا ـ تحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوي ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ ١٩٦٥م ص «١٨٥».

والنورُ) فلولا النورُ المجردُ لم يدركِ الوجودُ المحضُ الحقيقيُّ من حيثُ إطلاقه من جهةٍ، ومن حيثُ تعينه مع كلِّ ذاتٍ في الموجوداتِ مع تنزيهه[1] عن التعينِ في شيء من سائرِ الأشياء القائمة به من جهةٍ أخرىٰ، ومن الجلال المتناهي أنَّ العلمَ والوجودَ والنورَ في اللّهِ سبحانَه شيءٌ واحدٌ لأنَّه جلّ جلالُه وجودٌ كلُّه علمٌ كلُّه [نورٌ كلُّه][2] لا تعدّد لذاته ولو تعددَتْ مفاعيلُه في الذواتِ المكونات.ومن شأن كلٍّ من العلمِ والوجودِ والنورِ كشفُ المستورِ، فجميعُ أنواعِ التكوينِ بالوجودِ ظهرتْ من كتمِ الغيب وبالنور رُئيتْ من محضِ الخفاء الذي كانَ سيبقىٰ أبدياً[3] لولا النور، وبالعلم عُرفتْ مع شدة غموضِها[4]، والذي يخصُّ الوجودَ دون العلمِ والنورِ،هو أن الوجودَ قبلَ التكوينِ كانَ واحداً غيرَ متعددٍ وعرضتْ له التعدداتُ في تعددِ التكوينِ لأنَّ هذه الموجوداتِ به كانتْ وفيه تنوعتْ وتعددتْ،وقد تنوعَ ظاهراً بتنوعِها متعدداً بتعددِها إلىٰ معقولٍ ومحسوسٍ وغيبٍ وشهادةٍ بحَسبِ تنزلِ الوجودِ بالإفاضات رتبةً فرتبةً ونوعاً فنوعاً مع شدةِ توحدِه وأصالتِه.والذي يجعلُنا نعرفُ هذا معرفةً تامة مفاعيلُ الجسمِ والنفسِ، فالنفس[5] بالعينِ ذاتُ البصرِ وبالأذنِ ذاتُ السمع وباللسانِ ذاتُ النطقِ وهكذا تنوعتْ مفاعيلُها وتعددتْ مع توحدها والنفسُ في أفعالِها كلُّ القوىٰ، وأما ما يختصُّ بالعلمِ دونَ الوجود والنور هو أن العلمَ يكشفُ الماهياتِ قبلَ كشفِها تكويناً، أي يعرفُها قبلَ أنْ توجدَ ويعرفُ ما ينتابُها من بقَاء وفناء وتركيب وبساطةٍ مثل عرفانِنا أنَّ الحيَّ سيموتُ والسحابُ يمطرُ والأرضُ تنبتُ وهكذا. . . والعلمُ يختلفُ شدةً وضعفاً باختلافِ القوابلِ والأفهام لا بذاته ويتعددُ بتعددِ الموجوداتِ لأن كل نوع من أنواع التكوين لا بل كلّ شيء من كل

---

(١) في أ تنزهه

(٢) العَبارة سقطت من ب

(٣) في ب أبدي

(٤) في أ غموضه

(٥) سقطت من أ.

نوعٍ له علمٌ خاص بخلافِ الوجود فإنَ الموجودات تعددتْ به والعلمُ تعددَ بها والذي يختصُّ به النورُ العرضيُّ هو أنَّه يكشفُ الأشياءَ بعدَ وجودِها أي أنها تُرىٰ بواسطِته . . . وهذا الكشفُ يتأخرُ عن الكشفِ الوجوديّ والتكوينيّ ولكنَّه يشتركُ مع الوجودِ والعلمِ ويتميّزُ عنهما في أنَّه يُدرَكُ ويُدرِكُ به،والفرقُ بين النورِ المجرَّدِ الحقيقيّ وبين مسمى الوجود المحض هو أن مسمى الوجود المحض يظهر علىٰ المداركِ بالمعلومات التي سبقَ تعينُها في علم اللّه قبلَ وجودِها وتكوينها، والنورُ المجرّد لا يمكنُ إدراكُه إلاّ متجلياً في مظهرٍ موجودٍ ولا يغايرُ وجود اللّه سبحانَه، فهذا الكلامُ الجليلُ الجَامعُ عن العلمِ والوجودِ والنور بتغايرِها في الأشياءِ وتغايرِ مفاعيلها وتوحدِها في اللّه سبحانه يحومُ[1] حولَ التجلي الإلهي بالصورة، لا بل هو التمهيدُ الجَامعُ للتكلمِ عن منوعِ الصورةِ.

التجلي

نقل الشيرازي[2] عن الصادق وقد سُئلَ من أين يظهرُ الحقُّ؟ قال «من بين الخلق، ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون»[3] فإنه متىٰ اشتدَّ ظهورُه بنوره بحيثُ تضعفُ الإدراكاتُ عنه يسمىٰ ذلك الظهورُ حجاباً[4] وقد وردَ: «إنَّ اللّه لا يرىٰ بذاتِه كشفاً»[5] وورَدَ أيضاً «إنّ اللّهَ يُرىٰ ولكنَّ رؤيتَه لا تتعلقُ بجهةِ زمانٍ

---

(١) في أ يحول

(٢) هو حسن بن حمزة الصوفي الشيرازي ـ سبق الحديث عنه.

(٣) يقول أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المعنىٰ: «الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه» انظر نهج البلاغة ـ شرح الشيخ محمد عبده ـ منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ـ ج١ ص «٢٠٦».

(٤) يعرف الكاشاني الحجاب فيقول: هو الوقوفُ مع الشيء كائناً ما كان.
انظر شعر عمر بن الفارض ـ مصدر سابق ص «٢٦٧».
- إنَّ لله تباركَ وتعالىٰ سبعين ألف حجابٍ من نور وظلمة لو كُشِفَتْ لأحرقتْ سُبحاتُ وجهِه من دونه انظر الآداب المعنوية للصلاة ـ تأليف آية الله العظمىٰ الإمام الخميني.
تعريب وشرح وتعليق العلامة أحمد الفهري ـ دار طلاس ـ دمشق ـ ط١ ١٩٨٤م ص «٣٢٠».

(٥) إنَّ اللّهَ جلَّ جلالُه في مرتبتِه التي هو بها لا يراهُ بها أحدٌ، ومن تخيَّلَ أنَّه رأى اللهَ فما عرفَ الله، =

ومكانٍ إلّا بالتجلي» فالتجلي الإلهي تجليان: تجلٍ معنويّ وتجلٍ صوريّ. فالتجلي المعنوي ظهورُه بأسمائِه وصفاتِه في مخلوقاتِه كما تقدَّم من تقسيم مفاعيلِ العلمِ والوجودِ والنورِ على مقتضى القانونِ الخلقي التشبيهي[1] وما حواه المخلوقُ من أنواعِ النقصِ، فإذا ظهرَ في خلقٍ من مخلوقاتِه على ما استحقَّه ذلك المظهرُ من التشبيه[2] فإنَّه على ما هو عليه من التنزيهِ، والأمرُ بين صوريٍّ ملحقٍ بالتشبيهِ، ومعنويّ ملحق بالتنزيه، فإن ظهرَ الصوريّ فالمعنويّ مُظهِرٌ له، وإن ظهر المعنويُّ فالصوريُّ مَظهَرٌ له. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

ومن عرفَ أنَّه رأى نفسَه فهو العارف، ورؤيتُه موقوفةٌ على التجلي، ولا يكونُ التجلي الإلهي لشيءٍ إلّا بحسبِ استعدادِ المتجلَّى له ولهذا لا يرى إنسانٌ إلّا صورتَه في مرآة الحقِّ، أما الحقُّ في ذاتِه فلا يُرى ولا يُعلم لأنَّه لا يتجلى في صورةٍ مطلقةٍ فالناظرُ إلى نفسه في المرآة يرى صورتَه، يقول الشاعر الصوفي الحسن بن مكزون:

تجلى لي فجلّاني لعيني كما لي صورتي المرآة تجلو

ويقول بلسان صوفيته:

كلٌّ يراك كعينه إذ أنت مرآةُ الوجود
وسواك ما يبدو له فيغيب في حالِ الشهود

(١) القانون: أمرٌ كليٌّ منطبق على جميع جزئياتِه التي يتعرفُ على أحكامها منه. كتاب التعريفات مصدر سابق ص «١٧٧». الخلق: هيئةٌ للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية. كتاب التعريفات - مصدر سابق ص «١٠٦» والخَلْقُ هو الفطرة وهكذا فالقانونُ الخلقيُّ التشبيهيّ: هو انطباق الأمرِ الكليّ على هيئة النفوسِ مع الدلالةِ على المشاركة في الصفات، فهو فطرةُ اللّه أو سنةُ اللّهِ التي لا تبديلَ لها. «اللجنة».

(٢) التشبيه: وجد قاعدةً ليدلَّ على أثرٍ ما. فاليدُ للقوةِ والرجلُ للأساسِ، والعينُ للنفاذِ والوجهُ للظهورِ، والباطنُ للخفاءِ، والقربُ للحضورِ، والحضورُ للصدورِ، والصدورُ بلا كيفٍ، وكيفُهُ منَزَّهٌ أصلاً، والتشبيهُ ضروريٌّ لتقريبِ فكرةِ التجريد الكليّ إلى الأذهان، وإلّا لما استطاعَ العقلُ الإنسانيُّ أن يرقى إلى سماءِ التجريدِ الكلي ولا الكلام بشيء عن صفاتِ اللّهِ دونَ استخدام شيءٍ مما يستعمل في عالمِ الحسّ للإشارةِ إلى المعنى، فالفكرةُ في رأسِ المهندسِ موجودةٌ مفقودةٌ حتى تخرجَ من الوجودِ بالقوةِ إلى الوجودِ بالفعل واللّه ما كان أصلاً مهندساً، أفكارُه في رأسِهِ موجودةٌ بالقوةِ تنتظرُ زماناً لتنتقل إلى الوجود بالفعل. فبين المرحلتين هناك الوجودُ الإلهيّ الدائمُ النشاطِ. وبين وجودِ الفكرةِ وخروجِها . . . ثمَّةَ صيرورةٌ إلهيةٌ، بمعنى نشاطٍ إلهيّ، منطلقةٌ ضمنَ إطارِ ديمومةٍ حركيةٍ أولُها آخرُها وآخرُها أولُها،ففصلُ المحسَّاتِ عن المعنوياتِ مستحيلٌ =

«بها تجلىٰ صانعها للعقولِ وبها امتنعَ عن نظرِ العيون» وقال: «الظاهرُ لا يقال مِم ؟ والباطنُ لا يقال فيمَ؟» [1] وقال: «بل ظهرَ للعيونِ بما أرانا من علامات التدبيرِ المتقنِ والقضاءِ المبرم» [2] وقال: «اللهم إني أشهد أنَّك تجليتَ لخلقِك في كتابِك من غير أن يكونوا رأوك» [3] وتجلي اللّٰه سبحانه هذا هو ما بالقرآنِ الكريم من آياتٍ تشيرُ موضحةً إلىٰ أنه محقَ مَنْ محقَ بالمثلاتِ واختصَّ من اختص بالنفحات، إذاً وقائعهُ سبحانه تجلياتٌ له أيضاً. وقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: «تجلىٰ لعبادهِ من غيرِ أنْ يَرَوه، وأراهم نفسَه من غيرِ أنْ يتجلىٰ لهم» [4] فإذا نظرنا إلىٰ الأشياءِ من جهةِ أنَّ لكلِّ شيء ماهية هو بها هو وهي وجهُه [5] الذي إلىٰ ذاتهِ كذلك لكلِ شيءٍ حقيقةٌ محيطة به، بها قوامُ ذاتهِ وبها ظهورُ آثارهِ وصفاتهِ وبها قوّتهُ علىٰ إظهارِ ما يريدُه ويضمرُه وعلىٰ ما ينفعُه ويسرُّه، وهي

= وفصلُ التنزيهِ عن التشبيهِ مستحيل، وفصلُ التشبيهِ عن التنزيهِ مستحيل. فإذا تصورتَ أنَّ للّٰه يداً فيدُك يدُه من بابِ القدرةِ، أو أن له عيناً فعينُك عينُه من بابِ البصيرةِ، وبصيرتُك المرآةُ التي عكسَتْ بصيرَته الحيةَ، وبين بصيرتِك وبصيرةِ اللّٰه توجدُ علاقةُ التشبيهِ والتنزيهِ، فأنتَ هو قدرةً ومثالاً وحركةً ودواماً وظهوراً ومحلَّ انفعالٍ. فأينَ هو إنْ لم تكن؟ وما فائدةُ الوجودِ بلا موجودٍ؟ وما قيمةُ المخترعِ بلا مخترعات؟ فيا أيها السائلُ المحتارُ قف أمامَ الواحدِ الجبار وقل ظهرتَ فأفصحتَ وتكلمتَ فنطقتِ الألسنةُ بما أوحيتَ، فسبحان من اتخذَ عبادَه صوراً ومرائيَ، فنزِّهْ نزِّهْ وشَبِّه شَبِّه واجمعْ وفرِّقْ، ووحِّدْ وكثِّر فليس ثمَّ موجودٌ إلاّ هو. انظر النصوص ـ مصدر سابق ص «٦١ - ٦٢».

(١) من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: انظر نهج البلاغة ـ تحقيق الدكتور صبحي الصالح ـ طبع بالأوفست بإشراف انتشارات الهجرة ـ إيران ـ قم ـ ١٣٩٥هـ ص «٣٧»

(٢) انظر نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ـ مصدر سابق ج ٢ ص «٦٥»

(٣) انظر نهج البلاغة تحقيق د. صبحي الصالح ـ مصدر سابق ص «٣٩».

(٤) وردت العبارة بشكل آخر «تجلىٰ سبحانه لخلقه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه» انظر نهج البلاغة تحقيق الدكتور: صبحي الصالح ـ مصدر سابق.

(٥) إن كل ذرة في العالم لها وجهان وجه إلىٰ ذاتها ووجه إلىٰ ربها، فالذي لها من ذاتها هو وجهها الهالك وهو محض العدم. والذي لها من خالقها هو الباقي لأنه وجه الحق قال تعالىٰ﴿كل شيء هالك إلاّ وجهه﴾ آية «٨٨» سورة القصص. انظر مشارق أنوار القلوب ـ مصدر سابق ص «١٠٢».

وجههُ إلىٰ اللَّه عزّ وجل وإلىٰ هذا أُشيرَ بقوله سبحانَه ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [1] وبقوله: ﴿ونحن أقربُ إليه من حبلِ الوريد﴾ [2] إلىٰ كثيرٍ من أمثالِ ذلك. فإذا نظرنا إلىٰ هذه الأشياءِ بهذا التأملِ الصادقِ فقد عرفنا اللَّهَ بالله لا بالواسطة لا بل عرفنا الأشياءَ باللَّه، قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: «اعرفوا اللَّه بالله» [3] أي انظروا في الأشياء إلى وجوهها التي إلىٰ اللَّه لكي تعرفوا أنَّ لها رباً هو صانعُها، ثم اطلبوا اللَّه بآثارهِ فيها من حيثُ تدبيرهُ لها، ولا تنظروا إلى الأشياءِ التي إلىٰ أنفسِها من حيث أنَّها أشياءُ لها ماهياتٌ لا يمكن أن توجدَ لذاتِها بل مفتقرةً إلى موجدٍ يوجدها فتعرفوه بالأشياءِ وليسَ حق المعرفة (فسبحان من لا يعلم ما هو إلا هو) [4].

التشبيه والتحول

التشبيهُ هو مرادفٌ للتجلي وشرحوه وأجادوا بأن التشبيهَ عبارةٌ عن صورةِ الجمالِ لأنَّ الجمالَ الإلهيَّ له معانٍ وهي الأسماءُ والصفات الإلهيةَ وله صورةٌ وهي تجلياتُ تلك المعَاني فيما يقعُ عليهِ المحسوسُ أو المعقولُ فالمحسوسُ كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيتُ ربي في أحسن صورةٍ شاباً أمردَ» [5] والمعقول.. كالحديث القدسي: «أنا عندَ ظنِّ عبدي المؤمن فليظن بي ما شاءَ» [6] فهذه الصورةُ هي المرادةُ بالتشبيهِ ولا شكَّ بأنه سبحانَه في صورِ جماله باقٍ

(١) سورة الحديد، الآية ٤.

(٢) سورة ق آية «١٦».

(٣) جاء في كتاب الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعرفوا اللّه بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان ـ انظر الأصول من الكافي تأليف ثقة الإسلام أبي جعفر محمد يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي ـ تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري ـ دار الكتب الإسلامية ج١ ط ٣ ص «٨٥»

(٤) العبَارة سقطت من «ا».

(٥) انظر شرح جوهرة التوحيد ـ مصدر سابق.

(٦) انظر فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ـ تعليق أبو العلا عفيفي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ج١ طبعة ثانية ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ص ٢٢٦.

علىٰ ما هوَ بِهِ من التنزيهِ. فهـو سبحانَـه لا يقبلُ التغـيرَ فتغيرهُ من جهـةِ ظهورِه وهو المعبَّرُ عنه بالتحول في الصورِ لا التحـولُ في نفسهِ وهـو قولـه سبحانـه ﴿كل يومٍ هو في شـأن﴾[1] فتجليه عـلىٰ العبدِ بنسبـةِ الحقِ يسمىٰ شأنـاً إلهياً ونسبتُـه للعبـدِ هو جمـال [2] وأجمع كلمـة لهذا وأروع مـا ورد في الأسس [3] «إذا انتقـل الجوهر فهو بالصفة منتقل» [4] فإذا نزهتَ الـذاتَ المطلقـةَ عن الحصرِ والتقييدِ والتحـديد فـإنَّ الحصر والتقييدَ والتحـديد في عـين التشبيهِ لكـونها مـطلقـةٌ عن الإطـلاق الذي هـو في مقابلةِ التقييـدِ. قال الصـادق عليه السـلام: «العبوديـةُ جوهرةٌ كنهُها الربوبية فما فقدَ في الربوبيـة وجد في العبودية، وما فقد في العبوديةِ (وجد في الربوبية) [4] وما وجد في الربوبيةِ أصيبَ في العبوديـة» [5] ولكن المَادةَ شيئان فالمادةُ موضوعةٌ ليكـون بها قـوامُ الصورةِ والصـورةُ لا يمكنُ أنْ يكونَ لهـا دوامٌ ووجودٌ بغيرِ المادة ووجودُ الصورةِ لا لتوجدَ بها المادةُ بل ليحصلَ بها الجوهرُ المتجسم جوهراً بالفعل فـإن كلَّ نـوع إنَّما يحصـلُ موجـوداً بالفعـل إذا حصلت صورتُه، وإذا وجـدتِ المادةُ دونَ الصـورةِ فإنَّمـا هو ذلـك النوعُ بـالقـوةِ فخشبُ السريرِ هو سريرٌ بالقوة وإذا كُوّن الخشبُ سريراً صار سريراً بالفعل.

إمكان الرؤية

إنَّ الغايةَ المعبودةَ إذا كانت عنـد المحجوبـين [6] ممدوحـة بصفات السـلب

(١) سورة الرحمن آية «٢٩»

(٢) سقطت من (ا و ب)

(٣) الأسس مخطوط خاص، سبق ذكره.

(٤) العبَارة سقطت من ب.

(٥) وردت العبَارة في آداب الصلاة المعنوية نقـلاً عن مصباح الشريعـة قال الصـادق عليه السـلام: العبودية جوهرة كنهها الربـوبية، فـما فقد في العبـودية وجـد في الربـوبية ومـا خفي من الربـوبية أصيب في العبودية». انظر آداب الصلاة المعنوية ـ مصدر سابق ص «٣٢».

(٦) الذين يعرفون الحقيقة عن غير طريق الذوقِ والعيان.

والغيب فإنَّها عند العارفين أهلِ الكشف [1] ممدوحَة بصفاتِ الوجود والعيان [2]، إذ العيانُ أثبتُ وأولىٰ بالعبادةِ،ومن عبد غائباً لا يعرفه لم ينلْ من عبادته ثواباً لأن معبودَه لا حقيقةَ له، والمحجوبون حُجبوا عن رؤيةِ خالقِهم بسببِ كدرِهم وظلمةِ طباعهم، وسهوهِم وكذبِهم ومعصيتهِم، فإذا ما صفتِ الروحُ بنورِ الإيمانِ وضياءِ التوحيدِ رأتْ ما شاكلها وجانسها وغاب الجسمُ والصورةُ بصفاءِ الروحِ لأنَّ الناظرَ بعينه لا يرىٰ إلا جسماً فإذا صارَ يسمعُ باللَّه ويرىٰ باللَّه انجلىٰ له عالَمُ الصفَاءِ من عالَمِ الكَدرِ. وشرحُ هذا الكلامِ الجامعِ : إنَّ أسماءَ اللّهِ وصفاتهِ تتعددُ بتعددِ مراتبِ عبيدِه بقدرِ استعدادِهم، فكلٌّ واحدٍ منهم له من نظرتهِ اليقينيةِ للألوهيةِ نصيبٌ يمثّلهُ نظرُ هذا العبدِ، فبنظرهِ الحق الأول سبحانه برتبة الأحدِ تنعدمُ بنظره الأسماءُ والصفاتُ بآثارِها ومؤثراتِها.وإنْ وقفَ النظرُ عند رتبةِ الواحدِ رأىٰ أنَّ الكائنات فانيةٌ بذاتِها باقيةٌ بأسماءِ اللهِ وصفاتِه، والرتبةُ التي ترىٰ أن العزّةَ للَّه (مثلاً) تقضي أن لا مناسبةَ بين الحقِ والخلقِ، والقيوميةُ [3] تُثبتُ وجودَ نُسَبٍ إضافيةٍ بين اللَّهِ وعبيدِه من حيثُ وجود الأشياءِ وقيامه بها، وهكذا فمن حيثُ تجلي الأحدِ فما ثَمَّ وصفٌ ولا اسمٌ، ومن حيثُ تجلي الواحديةِ فما ثَمَّ خلقٌ لظهورِ سلطانِها بصورةِ كلِّ متصورٍ في الوجودِ، ومن حيثُ تجلي الربوبيةِ فهو حقٌ وخلقٌ لوجودِ الحقِّ والخلقِ، ومن حيث تجلي الألوهيةِ ليس إلا الحقُّ وصورتهُ (الخلقُ) وليس إلا الخلقُ ومعناه الحقُّ، فالأحدية

---

(١) أهلُ الكشفِ هم الذين يعرفونَ الحقيقةَ عن طريق الذوق. انظر فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ـ والتعليقات عليه تعليق أبو العلا عفيفي ـ دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان ط ٢ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠ م الجزء الثاني ص «٢٥٠».

(٢) العيان: هو حق اليقين الذي يترتب لأصحاب المعَارف ـ راجع الرسالة القشيرية ـ مصدر سابق «٤».

(٣) القيوميةُ: مصدرٌ صناعي من القيوم وهو القائمُ بذاتهِ الذي لا بدءَ له وهو من أسماءِ الله الحسنىٰ قال تعالىٰ: «الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم» البقرة آية «٢٥٥» جاء في شرحها: القيومُ الذي يقومُ بنفسه ويقوم كل ما يقومُ به فلولا قيامه ماقام شيء ـ انظر تفسير القرآن للشيخ الأكبر ابن العربي ـ تحقيق د. مصطفىٰ غالب ـ دار الأندلس ـ بيروت ط ٣ المجلد الأول ص «١٤٢».

أولُ ظهورٍ ذاتي ممنوعِ الاتصافِ به لغيرِهِ لأنَّه صرفُ الذاتِ المجرّدةِ عن الحقيّـة والخلقيةِ، والواحديةُ عبارةٌ عن تجلي [(١)] ظهورِ صفة، الذاتُ فيها صفـةٌ والصفةُ فيها ذاتٌ، وبهذا ظهرَ أنَّ كلَّ الأوصافِ عينُ الآخرِ فالمنتقمُ فيها عينُ اللَّه، واللَّهُ عين المنتقمِ، والمنتقمُ هو عين المنعمِ وما أشبهَ وكل هـذا باعتبـارِ ظهور الـذاتِ بالصفاتِ وفي آثارِها، هذا ما دعا الإمامَ زينَ العابدين عليه السلام إلىٰ القول: «إن دينَنا لا يصابُ بالعقولِ الناقصةِ والآراءِ العـاطلةِ والمقاييسِ الفـاسدةِ، ولا يصابُ إلا بالتسليمِ فمن سلمّ لنا سَلِم» [(٢)] وفي هذا قال الشاعر:

إليكم وإلا لا تشدُّ الركـائبُ ومنكمْ وإلا لا تُنالُ الرغائبُ
وعنكم وإلا فالحديثُ مشوشٌ وفيكم وإلا فالمحدثُ كاذبُ

النظرةُ في الصورةِ من جهةِ الجميعِ

وكما قلنا فالكلُّ مشغولٌ بالصورةِ داخلياً وخـارجياً وكـلٌّ رأىٰ بما صـوّر له علمـهُ واعتبرَهُ عقلُه ولعـلَ الأكثَر مضـوا صـادقـين مـع رؤيتهم بمعـرفتهم: ففي صحيفـة الأبرار: «قـد تقرَّر في علمِنـا وصدَّقَتـهُ صحيحـاتُ النقـول وعميقـاتُ العقول: أنَّهم سرجُ عـالمِ الإمكانِ المنيـرةُ وسائـرُ الخلقِ أشعةُ أنـوارِهم وصدىٰ أصواتِ خطاباتِهم، وأنَّ لهم في جميعِ مـراتبِ من سواهم ظهـوراً من سنخِ تلك المرتبةَ هو بمنزلةِ ربِّ النوعِ بالنسبةِ إليها فكلٌّ من أهلِ المراتب، مراتبِ الوجودِ المتعـددةِ المنازلِ [(٣)] يـراهم من سنخهِ مثـلاً البشريُّ يـراهم بشراً والمَلَكُ يـراهم ملكاً والأنبياءُ والأوصياءُ نبياً ووصياً بالنبـوة والوصيـةِ الظاهـرتين وتلك الصـورةُ المرئيةُ لهم بالنسبةِ إلىٰ أصلِ [(٤)] مرتبةِ وجودِهم كالصورةِ المرئيةِ في المرآةِ بالنسبـةِ

---

(١) في ب مجلىٰ.

(٢) ورد في كتاب آداب الصلاة المعنوية قال والرواية الشريفة: «إن دين اللَّه لا يصاب بالعقـول» ولم ينسب القول لأحد. انظر آداب الصلاة المعنوية ـ مصدر سابق ص «٣٤٤».

(٣) في ب المنازلة.

(٤) في ا و ب أهل.

إلىٰ الشخصِ المقابلِ وأما صورتُهم الأصلية فلا يراهم عليها أحدٌ سواهم لعدمِ احتمالِ من سواهم لذلك. . . وبالجملةِ الصورةُ المذكورةُ حُجبٌ علىٰ صورتِهم الأصليةِ اتخذوها واحتجبوا بها ليطيقَ الخلقُ رؤيتَهم والأخذَ عنهم ولو كشفَ واحدٌ منهم لأحرقتْ سبحاتُ [1] وجههِ جميعَ ما في الوجودِ لأنَّ وجوهَهم هي وجهُ اللّه الذي سألَ موسىٰ بلسانِ قومِه النظرَ إليهِ فأُجيبَ بالنفي المؤبد [2] فاعتبر ذلك بحواسك الباطنةِ والظاهرةِ بالنظرِ إلىٰ شيءٍ واحدٍ.

فعينُك تَراهُ جسماً قابلاً للأبعادِ الثلاثةِ لأنَّها جسمانيةٌ، وحسُّك المشتركُ يراه صورةً برزخيةً بين الظاهرِ والبَاطنِ، وخيالُك يراه صورةً ظليَّةً مقداريةً مجرّدةً عن الموادِ الظاهريةِ، ونفسُك تراه صورةً جوهريةً مجرّدةً، وعقلُك يراه معنىً مجرداً عن جميعِ الصورِ، وفؤادُك [3] يراه حقيقةً صرفةً مجرّدةً عن جميعِ النسبِ والإضافاتِ وهو شيءٌ واحدٌ في نفسهِ فكل من المداركِ يحكُم فيه بما عنده ولكنَّ الإنسانَ الجامَع لجميعِ تلك المداركِ ينظرُ إليه بعينِ الوحدة ويرىٰ أنها كلَّها مراتبُ حقيقيةٌ واحدةٌ ساريةٌ في جميع تلك المراتبِ، قال الشاعر محمد كاظم الأزري في هذا المعنىٰ:

---

(١) سُبُحات: جاء في لسان العرب: سُبحات وجه الله بضم السين والبَاء أنواره وجلالُ عظمتِه. قال جبريل عليه السلام إن للّه دونَ العرش سبعين حجاباً لو دنونا من أحدِها لأحرقتنا سبحاتُ وجه ربّنا وقال صاحبُ اللسان: إن المعنىٰ لو انكشف من أنوارِ اللّه التي تحجبُ العبَاد عنه شيءٌ لأهلك كل من وقع عليه ذلك النورُ كما خرّ موسىٰ عليه السلام صعقاً وتقطع الجبل دكّاً لما تجلىٰ له اللّه سبحانه ـ لسان العرب مادة سَبَحَ ـ وجاء في كتاب مشارق أنوار القلوب. يعني بالسبحات أنوارُ تجليهِ المنسوبةِ للجلالِ فإنها تحرقُ جميع الموجودات أي تعدمها كالنار إذا استولت علىٰ شيء فإنها تذهب صورته. انظر مشارق أنوار القلوب ـ مصدر سابق ص «١٢٥». وفي القاموس: سُبُحات وجه الله: أنواره.

(٢) النفي المؤبد إشارة إلى الآية: «قال ربِ أرني أنظرُ إليك قال: «لن تراني» الأعراف «١٤٣»

(٣) الفؤادُ: القلب وليس المراد بالقلبِ تلك المضغَةُ الصنوبريَّةُ الجاثمةُ في الجانبِ الأيسرِ من الصدرِ وإن كانتّ متصلةً به اتصالاً ما لا يعرفُ كنهُه. بل هو القوةُ الخفيةُ التي تدركُ الحقائقَ الإلٰهيةَ إدراكاً واضحاً جلياً لا يخالطُه شكٌّ. انظر فصوص الحكم مصدر سابق ج ٢ ص «١٣٩».

أحوتْه أرضٌ وأرضٌ تخلت [1] منه حتىٰ مشىٰ بها فطواها
هو في الشرق مثل ماهو في الغرب وفي الأرض مثل ما في سماها

الصورة والإنسان

وحيث علمنا بفضل اللَّه كيفيةَ تجلي اللَّه سبحانَه الصوريّ والمعنويّ والتشبيهيّ والتأثيريّ بالقدرةِ الفاعلةِ بكلِ الأشياءِ مثلَ ما أخبر أميرُ المؤمنين عليه السلام بقولهِ: «ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ اللَّهَ معه، ولا رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ اللَّه فيه. . . . ولا رأيتُ شيئاً إلا ورأيت اللَّه قبله، ولا رأيت شيئاً إلا ورأيت اللَّه بعده» [2]

وقولُه: «باينَ الأشياءَ بينونةَ صفةٍ لا بينونةَ عُزلةٍ»[3]. حيثُ علمنا شيئاً من هذا وجبَ عَلينا أنْ نعرفَ معنىٰ ما وردَ بأنَّ اللَّهَ سبحانه خلقَ الإنسانَ على مثالِ صورتِه وبه شرحوا قولَه سبحانه﴿ولقد كرَّمنا بني آدم[4]﴾فقالوا كرَّمَهم بأن خلقَهم على مثالِ صورته سبحانَه بخلافِ ما فَهِمَ منها بعضُهم بأنَّ اللَّه تجلّىٰ كصفةِ البشرِ، ولو كانَ الأمرُ كما زعموا لكانَ الإنسانُ مخلوقاً على صورةِ اللَّه البشريةِ وتعَالىٰ اللَّه. . وبيانهُ:

---

(١) في المنجد: تخلىٰ منه وعنه: تركه. وتخلت الأرض منه: أي خلت فسميت الخلاء «اللجنة» وهذان البيتان في قصيدة لهذا الشاعر عرفت واشتهرت بعنوان (القصيدة الشمسية)، ويشير في البيت الأول إلى ذهاب أمير المؤمنين عليه السلام من المدينة إلى المدائن للصلاة على سلمان رضي الله عنه، ورجوعه بعد صلاته عليه وتذكر صحيفة الأبرار خبراً مختلفاً. انظر ج١ ص١١٤.

(٢)جاء في آداب الصلاة المعنوية: روي عن أمير المؤمنين والإمام جعفر الصادق سلام اللَّه عليهما «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت اللَّه قبله وبعده ومعه وفيه» انظر آداب الصلاة المعنوية ـ مصدر سابق ص «١٥٨».

(٣) انظر قرة العيون تأليف محمد محسن الملقب بالفيض الكاشاني ـ دار الكتاب العربي ١٩٧٩ ط ٢ ص «٣٤٥». ونهج البلاغة لجميع الشراح.

(٤) سورة الإسراء آية «٧٠».

إن اللَّهَ خلقَ الإنسـان مجموعَ العـوالمِ وخلاصـةَ الأكوانِ وزبـدةَ الزُّبَـدِ فصفاتُ الله الذاتيةُ (الحياةُ والعلمُ والإرادةُ والقدرةُ) يضاف إليها تتماتٌ وشروطٌ وهي السمعُ والبصرُ والنطقُ هـذه الصفاتُ والتتـمات أفاضَهـا اللَّهُ على الإنسـانِ فهو بها حيٌّ عالمٌ مريدٌ قادرٌ سميـعٌ بصيرٌ نـاطقٌ فإذا أراد فعـلاً فمبدأ فعلِهِ إرادةٌ يظهرُ أثـرُها في القلبِ أولاً فيسري أثـرُهُ بواسـطةِ الروحِ الحيـوانيِّ[1] الذي هـو بخارٌ لطيفٌ في تجـويفِ القلبِ فيتصاعـدُ منه إلىٰ الـدماغ ثم إلىٰ الأعصـابِ فإلى الأوتارِ فالرباطاتِ المتعلقةِ بالعضلِ ، فتنجذب الأوتارُ وتتحركُ الأصابـعُ فيتحركُ القلمُ ويجري المدادُ فيحـدثُ منه صـورةَ ما يـرادُ كتابَتُـه علىٰ القـرطاسِ ، فـما لم تتخيلْ الصورةَ أولاً لا يمكنُ إحـداثُ شيءٍ وأفعالُ اللَّه سبحـانَه وكيفيـةُ إحداثِ الأشياءِ كخلقِ النباتِ والحيوانِ مثلاً فإنَّه يتمُ بـواسطةِ تحـريكِ الكـواكبِ بطاعـةِ الملائكةِ وهكـذا . . فتصرفُ الإنسـانِ في عالَمِـه أي (بدنِـه) الجامـعِ الجموعـاتِ الماديةِ والمعنوية يشبهُ تصرفَ اللَّهِ سبحانَه في مكوَّناتِه، فالقلبُ كالعرشِ والدماغُ كـالكرسي والحـواسُ كـالملائكـةِ الـذين لا يعصـونَ اللَّهَ مـا أمـرَهم والأعضـاءُ والأعصـابُ كالسمـواتِ والقدرةُ في الأصـابع كـالطبيعـةِ المسخَّـرَةِ المـركـوزة في الأجسـامِ و القرطـاسُ والقلمُ والمدادُ كـالعناصر في قبـولِ الجمعِ[2] والـتركيبِ والتفرقةِ ومرآةُ التخيلِ كاللوحِ المحفوظِ فمن عرف هذه الموازنة[3] عـرفَ معنىٰ (خلقَ اللَّهُ آدمَ علىٰ مثالِ صورتِه). وما وردَ في الحديثِ القـدسيِّ «تعالـوا نخلقُ إنساناً كصـورتِنا (كشبهنـا[4]) يعطينـا معنىٰ ما تقـدمَ من أنَّ اللَّهَ سبحانـه يفعلُ

---

(١) الروح الحيواني: يراد به الإشراق الذي يحفظ حياة البدن «اللجنة».

(٢) في ا وب الجميع.

(٣) في (أ) المؤنثة.

(٤) جاء في التوراة في هـذا المعنىٰ: «وقال الله نعمـلُ الإنسـانَ عـلى صورتنـا كشبهنا» انـظر الكتـاب المقـدس أي كتب العهد القـديم والعهد الجـديد ـ جمعيـات الكتاب المقـدس المتحـدة ـ سـاحـة النجمة ـ بيروت ١٩٥٠ تكوين ١ الإصحاح الأول ص «٤».

بالنباتِ والحيوانِ بواسطةِ إدارةِ[1] هذه الكراتِ السماوية وتفاعلِها، ولكن الفاعلُ هو اللَّهُ وحدَه، ويعطينا أن المكوناتِ مشهودَها وغيبيَّها، محسوسَها ومعقولَها، مطلقَها ومقيدَها، صورٌ [2] لله، أو صورة قائمة بمصور فاللَّه سبحانه وإنْ أظهرَ الفعل علىٰ يدِ غيرِهِ فهو الفاعلُ وذلك كالنفس في إظهارِ مفاعيلِها علىٰ أعضاءِ بدنِهَا وهذا مثالٌ مما جمع اللَّه في الصورة الآدميةِ من صورِ المكونات. . .

تحقيق التجلي في الصورة

نستطيع أن نقول الآن بإيمان راسخ وقدمٍ ثابتة بحول الله: إن تجلي [3] الله لمخلوقاته أثر واقعٌ لا يكبر على العقلِ فهمُه واعتقاده، ولا يمتنع الشرعُ والنقل عن تأييده على لسان الانبياء والمعصومين ـ صلوات الله عليهم ـ، وغيرهم كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «رأيت ربي في أحسن صورة[4]» وفي الحديث؛ خلق الله آدم علىٰ مثال صورته. كما تقدم، وكم صور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربّه بصورٍ منوَّعة، في الصحيح «رأيتم ربكم كالقمر[5]» وفي

---

(١) في ب إرادة.

(٢) يقول الفيلسوف (أريجينا) المولود في (إيرلندا): ليست المخلوقات على اختلاف أنواعها وألوانها إلا صورة يتمثل فيها الخالق.

(٣) لا يكون التجلي الإلهي إلا بحسب استعداد المتجلى له، والله نور محض لا ظلمة فيه وهو يتجلىٰ بصفة المتجلى لهم فالملائكة يرونه نوراً لأن جنسهم نور، أي أن التجلى على قدر العقول والمدارك، والله بذاته كما هو، جلَّ أن يرىٰ لا في الدنيا ولا في الآخرة * إلا متجلياً للجنس كالجنس ـ نورا كان الجنس أم بشرا ـ، وأحسن ما قيل في هذا المعنىٰ قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة «لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن، تدركه القلوب بحقائق الإيمان» انظر نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ـ منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ج٢ ص «٩٩» والتجلي للجنس يشرحه تجلِي جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصورة دحية الكلبي فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم رآه نوراً لأن جنس النبي وحقيقته نور، والبشر رأوه بشراً بصورة (دحية) لأن جنسهم بشر.

(*) فمن قال إني رأيت الله فما رأىٰ إلا نفسه وصورته لأن الله فوق مارئي به ورؤيته غيره وهو غير رؤيته.

(٤) و(٥) انظر شرح جوهرة التوحيد ـ مصدر سابق من ص ٢٤٦ ـ ٢٦٨.

روايـة كالشمس وفي الصحيـح: «إن اللّه جلّت قدرتـه يتجلىٰ يـوم القيامـة بصورٍ منوعة متعددة ويتحول من صورة إلىٰ أخرىٰ غـيرها[1]» وفي روايـة أوردها مسلم وفي تعليق النـووي وفي رسـالـة الأسفـار لابن عـربي وفي شرحهـا للجيـلي عنـه «يأتيهم اللّه في صورة غير التي يعرفونه بها فيقول: أنا ربكم. فيقـولون: نعـوذ باللّه منك هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربنا. فيأتيهم بالصورة التي يعـرفونـه، فيقول: أنـا ربكم فيقولون: أنت ربنا، سبحان ربنا[2]» والآيات التي تشير إلى التجلي في القرآن كثيرة كما كثر ذكر التجلي في الحديثِ أيضاً مثلُ تجليهِ سبحانَه بـالنار﴿آنسَ من جـانبِ الطورِ ناراً[3]﴾ وتجليه سبحانَه بالنورِ﴿فلما تجلىٰ ربُّه للجبلِ جعله دكّاً وخرَّ موسىٰ صعقاً[4]﴾ وتجليه مع الملائكة﴿وجاء ربُّك والمَلَكُ صفاً صفاً[5]﴾. ﴿هل ينـظرونَ إلَّا أنْ يـأتيَهم اللهُ في ظللٍ من الغـمام[6]﴾ وتجليـه للنبي صـلى الله عليـه وآلـه وسلم برداءِ العزة والكبرياء، ومثلُ هذا كثيرٌ وفيه من الحيرةِ والدهشةِ ما فيـه وربما انجلتْ هذه الحيرةُ المتجـاوزةُ بما وردَ عن أكـثرِ علماءِ الحديث: إن جـبريلَ تجـلَّىٰ للنبي بصورة دحية بن خليفة الكلبي. وكتجليهِ لمريمَ بصورةٍ بشـريَّةٍ وذلـك ليس أنِ جبريلَ انقلب إلى صورةِ دحية بـل تلك الصورةُ مثـالٌ مؤدٍ عن جبريـل، ولا يستحيـلُ مثل ذلـك في يقظةٍ أو منـام، كما قـال الغزالي في المنقـذ من الضلال: فهذا ما يدل من جهة الخبر[7] علىٰ جوازِ إطلاقِـه، وقد وردَ عن السلفِ إطـلاقُ ذلـك ونُقِلَتْ فيه آثـارٌ وأخبارٌ، ومن العـددِ الوفـير الذين تكلمـوا عن الصـورةِ

---

(١) انظر صحيح مسلم باب الإيمان رقم ٢٩٩ و٣١٢ ومسند ابن حنبل المجلد الثاني رقم ٥٣٤.

(٢) يرد الحديث بصيغة مشابهة في الفتوحات المكية السفـر الأول ـ ابن عربي ـ تحقيق الـدكتور عثمان يحيىٰ والدكتور إبراهيم مدكور ـ الهيئة المصريـة العامـة للكتاب ـ ط ١ ١٩٧٢ م ص ٢٢٣ فقـرة ٣٣٩.

(٣) سورة القصص آية «٢٩».

(٤) سورة الأعراف آية «١٤٣».

(٥) سورة الفجر آية «٢٢».

(٦) سورة البقرة آية «٢١٠».

(٧) في ب الخير وفي «ا» سقطت بعض العبارات.

البشريةِ الشيخُ أحمد الأحسائي[١] قالَ يتكلم عن الأئمة المعصومين عليهم السلام: إنما ظهروا للناس بما لبسوا من الصورةِ البشريةِ التي هي محلّ التغير والتبديلِ، وهي صورةٌ كثيفةٌ من العناصرِ الأربعةِ[٢]، وإنَّما لبسوها ليتمَّ ما أرادَ اللَّهُ من انتفاعِ المكلفين بهم من قوله سبحانَه ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون[٣]﴾ وكانت الصورةُ البشريةُ عرضيةً لهم لأنها ليست منهم، وإنما هي من آثار آثارهم، فلما انتهت الحاجةُ إليها ألقوها في أصولها الأربع، كلّ في أصلِه، فكانوا كما كانوا في أعالي عالَمِ الأنوارِ معلقينَ بأوائلِ عللِهم من الأمرِ الذي قامَ به كلُّ شيءٍ». إن ظهورَهم في البشريةِ وما بعده مما أشرنا إليهِ، مثالُه الصورةُ التي ظهرَت منكَ في المرآة، فإن جرمَ الزجاجةِ الصقيل للصورة بمنزلة الصورة البشرية لهم، لظهورهم (عليهم السلام) إذ لو لا جرم الزجاجة الصقيل لما ظهرت الصورةُ، مع أنَّها موجودةٌ في ظلك وجوداً عرضياً لك لا ذاتياً لأنَّه نورُك وشعاعها، فإذا ذهبتِ المرآةُ خفيَ الشبحُ لعدمِ شرطِ ظهورِه، فكانَ لما كان في أعالي عالم ظهورِك الذي هو عالَمُ أنوارِك أي أنوارُ أفعالِك معلقاً في أوائلِ عللِه من الأمرِ الذي من فعلِك، أي ظهورك الذي قامَ به كلُّ شيءٍ من آثارِ ذلك الفعلِ، فافهم هذا ففيه بيانٌ وجوابٌ على كشفِ جميع الأسباب ورفعِ الحجابِ، ولولا أنَّ المرآةَ صوّرتِ الهيكلَ المقابلَ على ذاتِها لما أعطتِ[٤] العكسَ في المرآةِ، ومن أينَ يكونُ العكسُ في المرآةِ إذا لم تكنْ صورةٌ مقابلةٌ. ثم يقول الشيخ أحمد الأحسائي[٥]: اعلم أنهم أنوارٌ لا كثافَةَ في أجسامِهم بوجهٍ بحيثُ لا تدركُها الأبصارُ بل أكثرُ البصائر، وهي حينئذٍ في رتبةِ لطافةِ العرشِ، فإذا

---

(١) مؤلف كتاب شرح الزيَارة ـ سبق الحديث عنه.

(٢) يقصد بالعناصر الأربعة (النار والهواء والماء والتراب) هكذا كانت تفهم في العصور السابقة وهي مركبات لا عناصر كما ترى وتعلم.

(٣) سورة الأنعام آية «٩».

(٤) في ب أعطيت.

(٥) الشيخ أحمد الأحسائي: هو مؤلف كتاب شرح الزيارة، وقد سبق الحديث عنه.

زالتِ الكثافةُ البشريـةُ التي هي علةُ الإدراكِ قلنا: إنَّهم معلقـون بالعـرشِ وهم في حفـرِهم[١]. ويرىٰ الصـوفيـون بصـافي عقيـدتِهم وصـادقِ مكتشفـاتِهم علىٰ اختـلافِ نِحَلِهم أنَّ اللَّهَ يتجلىٰ بصـورٍ لا عدادَ لهـا كـما ذكـرنـا، وهـذا في كـل مؤلفاتِهم، قال أحدهم[٢]:

إن التشكلَ في الصور ... نعتُ المهيمنِ في الخبرْ
وبــذاك أنـزلَ كتبَـهُ ... فيـها تـلاهُ من السـورْ
ولقــد رأيتُ مثالــه ... بمطوَّلٍ وبمــخـتصرْ

قـال تلميذٌ لعبـد القادر الجيـلاني: إني أرىٰ اللَّهَ، قيلَ لـه: وكيفَ تـراهُ؟ قالَ: أراهُ بصورةٍ بشريةٍ» فَرُفِعَ قولُه إلىٰ سيدِهِ فسـألَه فـأجابَ أن: نعم، فـزَبَره وطـردَه من حضرتِـه. وبعد ذهـابِهِ قـال لمن حضرَ: صـدقَ إنَّـه يـرىٰ نـورَ اللَّهِ سبحانَه كـالناظـرِ في المرآةِ يـرىٰ شخصه». وفي شرح الـزيارة، فـاللَّهُ ليس معه شيء، وكـل ما سـواه محدث خلقـه لا من شيء، ولا علىٰ احتـذاء[٣] شيء، بل أحدث فعله بنفسه، لا من شيء غير نفسه حين أحدثـه، وشق المادة من كينـونةِ فعلِه بفعلِه، وخلقَ الصورةَ من انفعالِ المادةِ، وخلق المصنوعَ في وقتِ الفعلِ، فما كان ظرفاً للإمكاناتِ فسرمدٌ، وما كان للممكناتِ فدهرٌ وزمانٌ. هذا وتجلياتُ اللَّهِ سبحانَه بأفعالِه وأسمائِه وصفاتِه لا عدادَ لها والكلام عنها طويلٌ وشاقٌ.

التنزيه

إنَّ تنزيهَ[٤] اللَّه سبحانَه أمرٌ شاقٌ صعبٌ مستصعبٌ، قلَّ أنْ توجـدَ كلمةٌ

---

(١) أي قبورهم.

(٢) نسبت هذه الأبيات للحلاج ونسبت لأبي بكر الشبلي وهي غير مجهولة في كتب السادة الصوفيـة، ويرويها الشيرازي في كتابه (التنبيه) دون أن يذكر ناظمها.

(٣) في ب امتذاء.

(٤) التنـزيـهُ: تبعيـدُ الـربِّ عن أوصـافِ البشر ـ كتـاب المـراجعـات مصـدر سـابق ص «٧١» في

شـديدةُ الـوقعِ لينـةُ الملمسِ مريـرةُ الفهمِ مثلها، ويـظنُّها القـارئ لأولِ وهلةٍ سهلةً مريحةً لذيذةً، ولكنْ عندَ مزاولةِ فهمِها يقعدُ عنها اللبُ الخبيرُ خاسئاً وهو حسيرٌ،وأعلى التنزيه وأسهله وقعاً ما أتىٰ عن الموالي مثل قولِ أمير المؤمنين (عليه السلام):

« ما وحدّه من كيَّفَهُ ولا حقيقتَه أصـابَ من مثَّلَه، ولا إياهُ عنىٰ من شبَّهـهُ ولا صمدَهُ من أشار[1] إليه وتوهَّمَه[2]» ويقول عليه السلام: «**من قال فيه لم فقد علله**، ومن قال: متى فقد وقَّته، ومن قال فيمَ فقـد ضمنَّه، ومن قـال حتى فقد ثناه، ومن ثناه فقـد جزأه، ومن جـزأه فقد ألحـدَ فيه، ومن قـال إلامَ **فقد أنهاه**[3]». هـذا هو التنـزيه السهـل المريـح ولكن كيف نستروح معـانيـه من خـلال ألفاظه ونرىٰ بها مخايلَ الديباجةِ الإلهيةِ التي فيها التنزيـه اللذيذ بـألفاظـه، الغني بمعانيه، السهل ببيانه، العميق بمراميه. إذا تتبعنا ما استروحناهُ، وذهبنا وراءَ مـا تخيلناهُ، نرىٰ أنَّنا ذهبْنا به إلىٰ اللاشيء. ثم مثل قوله عليه السلام: «به تُـوصفُ الصفات لا بها يُوصفُ، وبه تُعرفُ المَعارفُ لا بها يُعرفُ، وبـه عُرِفَ المكـانُ لا بالمكانِ عُرِفَ، وبه كانَ الخلقُ لا بالخلقِ كان»[4] ثم قوله: «أولُ الدينِ معرفتُه،

= النصوص: صورةٌ ساميةٌ للذات الإلهيةِ خالصةٌ من أيِّ تشبيهٍ وإلحاق بعالَمِ المحسوساتِ. للمزيد راجع النصوص في مصطلحات التصوف ـ مصدر سابق ٧٢ - ٧٣.

(١) أي: لم يقصدْ نحوه ولم يتوجه إليه بل توجَّهَ إلى موجودٍ آخر لأنَّه: ﴿فـأينما تـولوا فثم وجه اللّه﴾ الآية «١١٥» سورة البقرة. انظر التـوحيد للصـدوق ـ مصدر سـابق ص «٣٨». وفي القامـوس تَوهَّم الامر تَمثَّله وتخيَّله وظنَّه، لذلك من يتوهم الخالق ويشير إليه بالـظن والتخيل لم يقصـده ولم يتـوجه إليه، لأنَّ من يشير إلى الخـالق يحصره في جهـة ويجعله في حيـز، والله سبحـانـه مـطلق الوجود، يقول المكزون متفقاً مع الآية: فأين وجهت وجهي عنه أراه إليه.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ تحقيق الشيخ حسن تميم ـ المجلد الرابع ـ دار مكتبة الحيَاة ـ بيروت ١٩٦٤ ص «١١٢».

(٣) انظر الأصول من الكافي ـ مصدر سابق. ج١، ص (١٤٠).

(٤) قرة العيون ـ تأليف محمد محسن الملقب بالفيض الكاشاني ـ دار الكاتب العربي ـ بيروت ١٩٧٩م ط٢ ص «٣٤٣».

وكمالُ معرفتِه التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُه، وكمالُ توحيدِه الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاصِ له نفي الصفاتِ عنه، لشهادة كلِّ موصوفٍ أنَّه غير الصفة، وشهادةُ كلِّ صفةٍ أنَّها غير الموصوفِ، فمن وصفَ اللَّه سبحانَه فقد ثناهُ، ومن ثناهُ فقد جزأهُ، ومن جزَّأهُ فقد جهَلَهُ، ومن جهله فقد أشارَ إليه، ومن أشارَ إليه فقد أخلىٰ منه»[1]. وكم أتىٰ عنهم عليهم السَلام من أمثال هذا التنزيهِ المحيرِ العقولَ والمذهلِ الألبابَ ما نقفُ دونَه مرتبطين بالعيِّ والحصر، بينما يقتطفُ الجهالُ من أشجارِه الأثمارَ اليانعةَ، ويرتعون من تجلياتِه بالطلحِ[2] المنضود، والظلِّ الممدود، والماءِ المسكوب، والفاكهةِ الكثيرة﴿لا مقطوعةً ولا ممنوعة﴾[3] فياللَّهِ ويا لخيالاتِهم ما أزكاها وما أمرعها!. وبعد هذا التنزيه الدقيق الخطيرِ مع إثباتِ الوجود الذي لا يغيبُ عنه شيءٌ ولا يراه شيءٌ، ودقّتِهِ وخطورتِهِ لأنَّ ما غاب ولم يُرَ يوشِكُ أنْ لا يكونَ شيئاً، وأن من عبدَ ما يُرىٰ، فقد عبد محدوداً محَاطاً . . . وهذا لا يجوزُ، وبهذا التنـزيهِ الخطيرِ الذي هو خلاصةُ التوحيدِ حاجزٌ مانعٌ من معرفةِ اللَّهِ مع أنَّ التنزيهَ الخطير لا يُثَبِتُ وجودَ اللَّه إلاّ بالتوهمِ ،ولذا قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: «تجلىٰ للأوهامِ بالأوهام، وبالأوهامِ احتجب عن الأوهَام»[4] وقال: «احتجب بها منها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها»[5]. يعطينا كلام أمير المؤمنين هذا، أن كلَّ شيءٍ تجلىٰ اللَّهُ به هو حجاب هذا الشيء عن اللَّه سبحانَه فتنزيهُ اللَّه سبحانَه عن[6] كلِّ شيءٍ يجعلُنا

(١) نهج البلاغة تحقيق الدكتور صبحي الصالح ـ طبع بالأوفست بإشراف انتشارات الهجرة ـ إيران ـ قم ـ ١٣٩٥هـ ص ٤٩ - ٤٠

(٢) الطلح: جاء في التفسير أنه شجر الموز و الطلح شجرة طويلة لها ظل يستظل به الناس والإبل ـ انظر لسان العرب ـ مَادة طَلحَ.

(٣) سورة الواقعة الآية «٣٣».

(٤و٥) وردت العبارات في نهج البلاغة هكذا: «لم تحطْ به الأوهام بل تجلَّىٰ لها بها وبها امتنعَ منها وإليها حاكمها» ـ انظر نهج البلاغة للإمام عَلي ـ شرح الشيخ محمد عبده ـ منشورات مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ـ ج٢ ص «١١٥».

(٦) في أ،من وفي ب على.

نعرفُ اللّه معرفةً سلبيةً، فيجبُ تنزيهُه عن التنـزيهِ، وتنزيهه عن التنـزيه يقتضي أنْ نُرجع[1] إليه صفاتِه المسلوبةَ عنـه بالتنزيه. فـالتنزيـهُ هو سلبُ كـلِّ صفاتِ الذاتِ عنها، والتنزيهُ عن التنـزيه هـو إرجاعُ صفـاتِها السلبيـةَ إليها، وإلا كـانَ سُبحانَه محصـوراً في جانب التنـزيه، فنعلم حينئـذٍ أنَّه بـأحديتـه يكونُ مصـداقاً لجميع الصفاتِ الحقيقية المحضة ذاتِ الإضافةِ وهو عينُ ما جاء في كتاب التنبيه: «هـو مع كـلِّ شيء بصورة ذلك الشيء، ولا صـورةَ لـه ولا قيَّـدتْـه صـورةٌ»[2]. وقوله: «لا يكونُ... ظهورُه ومشيئتُه مقيداً ولا محصوراً حالَ ظهـورِه بالصـورةِ بهـا أو.فيها و لا مقيـداً حال ظهـوره بغير الصـورة»[3] يعني بذلـك أنَّ الـظهـور بالصورة قيدٌ يجب الإطلاق عنـه والإطلاق قيـدٌ لحصرِه الذاتَ بجـانب الإطلاق ونكونُ قيدناهُ بجانبِ التنزيهِ، فقيدُه في عين إطلاقِه، إذاً يجبُ الإطلاقُ عن هذا الإطلاق بحيث يظهُر إنْ شاءَ في الصورة وإن شاءَ بغير الصورة فهـو كما يشـاء.

ومن قبيل ما مرَّ بك مما أتىٰ في القرآن الكريم والحديث الشريف وغـيرهما الشيء الكثير وذلك مما عند الجميع من تحقيق تجلي اللّه وظهوره، ومن قبيل مـا أتىٰ عن الجميع من التنزيهِ وإفراط التنزيه، وللاستعدادِ شأنُه. انقسمَ العالمُ الإسلامي لا بل الناس أجمع قسمين: قسم جنح للتنـزيهِ المحض، وقسـم جنح للتجـلي ثم التنـزيه، واختلفَ الفـريقان ثم كـان كلُّ فـريقٍ فرقـاً، ولكنَّ أصحابَ الفـرقـةِ الجانحةِ للتنزيه ـ ولعلهم في باطنِ أمرهِم يقولون بالتجلي ـ كفرّوا الفرقةَ الجانحةِ للتجلي، وسموهم مجسِّمة ومُشبِّهةً وحشوية[4]، والذين قالوا بوجـوبِ التجلي ثم

---

(١) في ب ترجع.

(٢)و(٣) العبارتان من التنبيه، والتنبيه مخطوط خاص وهو من تأليف الصـوفي الشهير حسن بن حمزة الشـيرازي. وقد سبق الحـديث عنه والعبـارة الأولى لأمير المؤمنـين (عليـه السـلام) في نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده.

(٤) الحشوية هي المشبهة والمجسمة وأصحابها يقـولون إنَّ المعبـودَ على هيئـةٍ ذاتِ أعضاء وأبعـاض. انظر الملل والنحل للشهرستاني ـ تحقيق محمـد سيد كيـلاني ـ دار المعرفـة بيروت ١٩٨٢ ج١ ص «١٠٥» ويقال: «إنّ الغالب في الحنابلة الحشوية» «اللجنة»

التنـزيه كفَّـروا أولئك المنـزهين. . . ورمـوهم بـالتعـطيـل، ومن تتبَّـعَ الـرأيـين استخلصَ منهما أنَّ أصحابَ الفرقةِ المنزهة الذين لم يستجيزوا علىٰ اللّٰهِ سبحانَـه التجـلي بالصورة ولا الرؤية، هم الذين أطلقوا علىٰ الله سبحانَه الحصرَ، لأنَّهم حـظروا عليه سبحـانَه جـانب[1] التجلي بـالصورة أو بـالصور المنـوعة، والـذين أجازوا على اللّٰه سبحـانه التجـلي بالصـور، هم الذين نـزَّهوا اللّٰه سبحـانه حق التنزيه بتنزيهِ عن التنزيه وإطلاقِه عن الإطلاق هرباً من الحصرِ بالتنزيه وأخـذاً بالطريقةِ المثلىٰ واتّباعاً لسنَّةِ الشارعِ الأعظم بالعقل والدين وهـو ما تجلىٰ بكلام أمـير المؤمنين «عليـه السلام»: «تنـزيـه أنْ تصفَـه بصفـاتِ الكـمال وتنفي عنـه صفاتِ العجز والمحال»[2]. وعلى هذا فإنَّ للّٰهِ سبحـانَه أنْ يتجـلىٰ بما يشـاء غير محصورٍ في تجلٍ ولا تنـزيه، فهـو الصورة الجَـامعة للصـور، وجامـعُ الصور لا يتقيد في صورة، ومـالا يتقيد في صـورة لا صورة له. فهو مـع الإطلاق والحصر يجـلُّ عن الإطـلاق والحصر. يقـول الشـيرازي في تنبيهـه:[3] «إنَّ القـادرَ عـلىٰ الإطلاق لا يعجزه شيءٌ من الأشيـاءِ فهو مـع كلِّ شيءٍ بصـورةِ ذلك الشيء ولا صورَة له ولا قيدتْه صورةٌ ما لم يكن مـع شيء إلاّ معها، بـل هو عـينُ كل شيء سوىٰ تقييد الشيء وتعيينه، فإن هـذا لا تجوزُ الإشـارةُ إليه لأنَّـه لم تقيده صـورة فهو سبحانه كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام قريب من الأشياء غير مـلامس، بعيد عنها غـير مباين». والـذي يحدد بصرَ الإيمـان دون بصر العين يجـدُه في كلِّ

---

(١) سقطت في ب.

(٢) للصوفيين كشوف تريهم أن الرتبة الجامعة هي ذات جامع الصور وهذا لا يتقيد في صورة، وهـو مع الإطلاق والحصر يجل على الإطلاق والحصر. ولأمير المؤمنينَ أقوال عدة في هذا المعنى. انـظر نهج البلاغة ـ تحقيق د. صبحي الصـالح. مصـدر سابق الصفحـات (٣٩، ٤٠، ٨٨، ١١٥، ١٣٩، ٢٥٨) والعبارة السـابقة لم نعثر عليها بألفاظها في النهج ولكنها موجودة في مخـطوطات عدة، منها شرح التنبيه ومسائل العماد «مخطوطان خاصّان».

(٣) التنبيه، كتاب مخطوط.

شيء وبعد كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، ومحيطاً بكل شيء، وقريباً من كل شيء، بقربٍ هو وصفُه، وبحيطةٍ هي نعتُه. وأظنُّك أصبحتَ -ولا ريب عندك- بأنَّه سبحانه يتلبس بأي لباسٍ شاء في أيَّةِ صورةٍ شاءَ مما يعرف ومما ينكرُ من غير اتحاد ولا حلول، فلا يكون ظهورُه ومشيئتُه مقيداً ولا محصوراً بالصورةِ حالَ ظهوره بها وفيها ولا بغير الصورة بل يكون جامعاً بينهما لم يزلْ كما في التنبيه وراحةِ العقل.[1]

وللصوفيين كشوفٌ تعرِّفُهم بلا ارتياب أنَّ الرتبةَ الجامعة هي كشفُ التنزيه عن التنزيه الذي يقتضي التمييزَ عن الامتيازِ، ويقولون: إذا جازَ للملكِ مخلوق الظهورُ بأية صورة شاء بلا حلول بذلك الشيء، جَاز له سبحانه أن يتجلىٰ بصورة الذين يقولون بتجليه بعد فنائِهم بتوحيدِه.

التنزيهُ حصرُ الصفةِ والذاتِ

بأي شيء يجوزُ أنْ تصفَ اللَّهَ وليس لكمالِه الذي كَمُلَ به كلُّ كاملٍ نهاية؟! فما. . . أظهرَهُ من منوَّعِ الكمال، له في ما لا نراه كَمَالٌ أتمٌّ، وكذلك الهيولىٰ المعقولة لا سبيل إلىٰ بروز جميع صورِها بحيثُ لا يبقىٰ فيها قابليةُ صورةٍ أخرى، فإنَّ هيولى[2] المخلوق، لا ترتبطُ بغايةٍ، فكيفَ الكبيرُ المتعال؟! ولهذا قال أصحابُ التجلي بأنَّ (دركَ العجزِ عن الإدراكِ إدراك[3]) قال الشاعر:

فبالقصور اعترافي فيك معرفتي ... فالعجز عن درك الدَّراكِ إدراكُ

---

(١) راحة العقل، للكرماني ـ سبق الحديث عنه.

(٢) في ب الهيولىٰ

(٣) ورد في فصوص الحكم للشيخ الأكبر ابن عربي قول مُشابهٌ باللفظ والمعنىٰ وهو: «والعجز عن درك الإدراك إدراك» انظر فصوص الحكم ـ مصدر سَابق ج ١ ص «٦٢».

وقال آخر:

العـجز عن درك الدراك إدراك والبحثُ عن كنهِ ذاتِ الـلَّهِ إشراكُ

وكلُّ عبدٍ تجلىٰ له الحقُّ سبحانه في تجلٍ ما، وكـان هذا التجـلي عند علم هذا العبد عين اللّه، وتحققه حيث هو[1] عين هذا العبد، فهو لا يقول بـالعجز عن الإدراك، وصفةُ اللَّه عِند المحققين هي التي لا تدرَكُ وليس لها غاية بخلاف الذات فإنَّها تعـرف بأنَّها ذاتُ اللَّه، ولكن لا يُـدْرَكُ ما[2] لـذاتِها من مقتضيـاتِ الكمالِ، كالضوءِ الذي هو أكملُ المبصراتِ وأظهـرُها، وبـه تُبصرُ المبصراتُ، وكلما كـانَ الشيءُ أتمَّ، كانَ إدراكُ البصر لـه أتمَّ، ونحن كبشر نرىٰ الأمـرَ عـلىٰ خلافِ ذلك فإنَّه كلما كان النور أتمَّ، كانَ إبصارُنا له أضعفَ، لأنَّ كمالَه بما هو نـورٌ يبهرُ الأبصـارَ، فيجوز الأبصـارَ[3]، وكلَّما كنا[4] أقـربَ لمفارقـةِ المادةِ كـان تصورُنا له أتمَّ، وأسماءُ اللَّهِ وصفاتُه مشتقاتٌ من أفعالِهِ. خلقَ فسميناه خـالقاً، ورزقَ فسميناه رازقاً، وهكذا، وهو بـذاتِه لا اسمَ لـه، ولا رسمَ، واذا كان من اسم فهو اسمُ تجلٍ، وهذه التجلياتُ تجمعُ بتجليين معنويٍّ وصوريّ، فـالتجلي المعنوي هو ظهورُه في أسمائِه وصفاتِـه بمقتضى القانـونِ التنزيهي[5]، والصـوريّ ظهورُه في مخلوقاتِه علىٰ مقتضىٰ القانونِ[6] الخلقي التشبيهي بمقتضيات التشبيهِ، فالأمر بين صوريٍّ ملحقٍ بالتشبيهِ، ومعنوي ملحق بالتنزيه، فإنْ ظهرَ الصوري فالمعنوي مُظهِرٌ له، وإن ظهرَ المعنوي فالصوريُّ مَظهَـرٌ له، وهـذا كله من جهةِ

---

(١) إن رؤية الحق بذاته لا تدرك ولكن المتجلىٰ له يرىٰ من الصورة على قدره واللّه هـو مع كـل شيء بصـورة ذلك الشيء سـوىٰ تقييد الشيء وتعيينـه. إنه مـرآة الوجـود وكـل يـرىٰ فيهـا صـورتـه «اللجنة».

(٢) في ا (مما).

(٣) يجوزُ الأبصارَ: يُعجزُها عن رؤيته.

(٤) في ا (كان).

(٥) في ب التنزيه

(٦) سقطت في «ا»

مخلوقاتِه تعالىٰ لا من جهته، فهو علىٰ ما هو عليه، لأنَّه كلُّه بحكم ما يتجلىٰ، ففي الصراطِ[١]: ليس فيه لا وكيف وما، فإن من قول (لا وكيف وما)، هلك الظالمون، إنَّك إنْ كنتَ بصيراً تقدر أنْ تنفي عن حقيقتِكَ التي هي ذاتُك الحيثُ، واللِمَ، والمتىٰ، والأين، وفي، ومن، وعلىٰ، ومع، ولو، وما أشبه لأنَّ هذه الأشياءَ خارجةٌ عن ذاتِك، فمثلاً: كونُك في شيءٍ ليس هو ذاتُك ولا جزءاً منها، وكونُك علىٰ شيءٍ وداخلاً في شيء أو خارجاً من شيء أو معَ شيءٍ أو علىٰ شيء، أو خارجاً منك شيءٌ أو بعيداً أو قريباً أو ظاهراً أو باطناً وما أشبه ذلك من صفاتِ الخلقِ، فكلُّ هذه وما أشبهَهَا فهي غيرُك، حتىٰ خطابُك وغيبُك وتكلمُك، فإذا[٢] أنتَ شيءٌ بسيطٌ مغاير لكلِّ ما سواك، فليس كمثلِك شيءٌ الخ . . . فإذا عرفتَ نفسَك هكذا بقيَ عندكَ ظهورُ اللَّه بكَ، فإذا نظرتَ ظهورَ اللَّهِ بدون لك بك، عرفتَ صفةَ اللَّهِ، وإذا عرفتَ صفة الله عرفتَهُ، لأن الشيء لا يُعرَفُ إلا بصفتِه، وكثيراً ما وردتْ هذه المعاني بقوالبَ شيقةٍ عند العديدِ من الفلاسفةِ كالسنجاري[٣] والشيرازي[٤] والغساني[٥]، فقال السنجاري:

علىٰ كلِّ عينٍ من الخلقِ عينٌ ... من الحقِّ فهي بها تُبصِرُ[٦]
وفي نطقِ كلِّ لسَانٍ لهُ ... لسانٌ مُخَاطبةِ يُخبِرُ

(١) الصراط ـ كتاب مخطوط رواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام، رقم ١٤٤٩ المكتبة الوطنية بباريس.
(٢) في (١) و (ب): فإن.
(٣) هو الأميرُ حسن بن مكزون السنجاري، شاعرٌ مجيدٌ من أعيانِ الصوفية، عاش في القرنين السادس والسابع للهجرة، ذكره الغوطي في معجم الألقاب وترجم له الزركلي في الأعلام. ـ انظر من كنوزنا المخبأة ـ الأمير حسن بن مكزون. حامد حسن ـ مصدر سابق. وانظر معرفة اللّه والمكزون السنجاري، د. أسعد علي ـ مصدر سابق.
(٤) هو الحسن بن حمزة الشيرازي، صوفي ـ سبق الحديث عنه.
(٥) هو الشيخ أحمد بن جابر الغساني ـ سبق الحديث عنه.
(٦) البيتان للمكزون، وقد ورد البيت الأول بتغير في شطره الثاني علىٰ النحو التالي: «من الحق فهو بها يبصر» انظر: معرفة الله والمكزون السنجاري ـ مصدر سابق ج ٢ ص «١٠١»

وقال الشيرازي[1]:

وعين ذاتِك عينُ اللَّه فيكَ ترىٰ　　أنموذجَ الأمرِ فافهمْ أيُّها اللاهي
ونورُ عقلِكَ نورُ اللَّهِ يظهرُ ما　　حملتَه عجباً من قدرةِ اللَّهِ

وقال الغساني[2]: «تجلىٰ للجميع من الجميع وبالجميع احتجب عن الجميع»، وقال الشيرازي أيضاً: «لو ظهَر اللَّهُ بكمالِ نورانيتِهِ، لأطفأ الأنوارَ، وأعمىٰ الأبصارَ، وأحرقَ كلَّ الكونِ ما علا وما سفلَ، وكان غير جائزٍ في الحكمةِ، ولا ثابتٍ في العدلِ، وهو سر قولِه صلى الله عليه وآله وسلم: «نورٌ أنَّى أراه» أي: النورُ المجردُ لا تمكنُ رؤيتُه». والقولُ الفصلُ في هذين القولين: التجلي والتنزيه، هو ما وردَ من أنَّ التنزيهَ المحددَ الذي يحصرُ اللَّه سبحانه في جانب التنزيهِ والإطلاقِ والوهمِ والتوهمِ و... و.. وكأنَّه يحيلُه إلىٰ عدمٍ، والتجلي الذي يدفعُ للتجسيمِ بأنْ يُحْشَر اللَّه سبحانه بمخلوقاتِهِ، وكلاهما أمرٌ عسيرٌ جداً فلذلك كان الطريقُ الجددُ[3] هو الوقوفُ دونَ التنزيه المحددِ والتجسيم المكبل.

التنزيهُ والتوسُّط

لقد شُرِحَ الصِّراطُ المستقيمُ بأنَّه التوسطُ في الأعمالِ والأحوالِ والأخلاقِ والعقائِدِ وغير ذلك كالتوسطِ في الأكلِ والشربِ، والتوسطُ بين الجذبِ والسلوكِ، وبين القبضِ والبسطِ، وبين الخوفِ والرجَاء، وبين الجربذة والبلاهةِ، وبين وبين، وضموا إليها التوسُّط في العقائِد بين التنزيهِ المحدَّدِ والتشبيهِ المجسمِ.

---

(١) هو الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي. سبق الحديث عنه.
(٢) الغساني: هو الشيخ أحمد بن جابر. وقد سبق الحديث عنه.
(٣) الطريقُ الجددُ: الذي لا حدب فيه ولا وعوثة. كذا في معجم متن اللغة، للشيخ أحمد رضا.

الباب الخامس

عالم الغيب

إنَّ الغريبَ الغريبَ عدمُ معرفتِنا شيئاً عن عـالَمِ الغيبِ، علىٰ الـرغمِ من شرحِه مطولاً في كتبٍ دينيةٍ وفقهيةٍ كثيرة، إنَّ اسمَه اللغويَّ يعـبرُ عنه، واقـترانُ ذكرِه دائماً بذكرِ عالَمِ الشهادةِ يُعـبرُ عنه أيضـاً، كلاهمـا يعبرُ عنـه إجمالاً: ثم ألا تـرىٰ القولَ عنـه: «إن عالَمَ الغيبِ هـو هذه النجـومُ المتلألئـةُ والمتناثـرة في هـذا الفضاءِ الرحيب، وعالمُ الشهادةِ هو أرضُنا هذه» [١] ألا ترىٰ أنَّ هـذا القولَ هـو البـلاهـةُ مجسمـةً، لـذا كـان لا بُـدَّ من التكلمِ عن عـالَمِ الغيبِ بشيءٍ من التفصيل. سُئِلَ أميرُ المؤمنين عليه السلام عن عالم الغيبِ، فقال: «صـورٌ بريئـةٌ من الموادِ خاليةٌ من القوىٰ والاستعدادِ، تجلىٰ اللّهُ لهـا فأشرقتْ، وطـالعَها بنـورِهِ فتلألَأتْ، فألقىٰ في هويتِها مثالَهُ، وأصدرَ عنها أفعالَه» [٢]. وكلمةُ أمير المؤمنين هـذه هي مجموعُ مـا تكلمَ به كـلُّ [٣] الإلهيينَ عن عـالَمِ الغيبِ واتصالِـهِ بعالَمِ الشهـادةِ، وأنَّه العـاملُ بـه كـما يُجمِـعُ الإلهيـونَ، والشيـخُ [٤] يقـولُ عن عـالَمِ الغيبِ: «والخلقُ، والتكـوينُ، والنشـأةُ الأولىٰ، والأخـرىٰ، والتـصـويـرُ، والتحويلُ، والتبديلُ، والخسفُ، والـرجفَ، والصواعقُ، والـزلازلُ كلُّها، ومـا حدثَ بعد كونِ محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم فهو بمحمـد فعلُه، وتكوينُـه.

(١) هذا ما يقول به بعض رجال الدين الذين لا يرون العلم بالدين ولا الدين بالعلم.

(٢) عالم الغيب في هذا القول يحاكي عالم المثل أو الأفكار عند أفلاطون، الـذي هو الـوجود السـابق علىٰ المادة، والذي يعد خارج وعي الإنسـان، وهو مصدر المعـارف، لأنه الخلق الـروحي الدائم «اللجنة» وانظر صحيفة الأبرار مصدر سابق ج١ ص٢٦.

(٣) سقطت من «ب»

(٤) هو الحسين بن حمدان الخصيبي ـ سبق الحديث عنه، والكلام هنا مأخوذ من الرسـالة (مخطوط خاص).

وقد رتَّبَ لأفعالِها أشخاصاً من المراتبِ والدّرج» ويقول أيضاً: فالخلقُ يعجـزون عن كنـهِ وصفِ السـماواتِ والأرضِ والشمسِ والقمـرِ، وتحـديـدُ الفـلاسفـةِ والمنجمـين لذلـك كلّه وهمٌ وتخمينٌ، ولا يَعلَمُ ذلـك إلَّا مكونُـه، لأن العوالمَ لا نهايةَ لعددِهـا، فالعـالمُ العلويُّ لا يُوصَفُ ولا يُحَـدُّ ولا يُوقتُ، فلو ذهبَ العـالَمُ السفلي إلىٰ وصف ما يتناهىٰ فيه أهلُ المراتبِ العلويةِ [1] من السيرِ في السـماواتِ والأرضِ والبحـارِ والأفلاكِ، لكـانَ الذي يصفـونَـهُ من سـيرِ الشمسِ والقمـرِ ودورانِ الفلَكِ وسيرِ النجومِ وجميعِ ما يصفونهُ من ذلـك، عشرُ العشرِ من جزءٍ من مئةِ ألفِ جزءٍ من سير النجومِ، وجميـع ما يصفـونه بعض شخص من أهـل المراتب العلوية» [2] هذا ما قالَه الشيخُ بعالَمِ الغيبِ، وهـذا وصفُه لـه وتحديـدُه إياه بأنَّه لا يُوصفُ ولا يُحدُّ، وكأنه شرحٌ لكلمـةِ أمير المؤمنـين عليه السـلام بأنَّ اللَّه سبحانه ألقىٰ في هويتِها مثالَه وأصدرَ عنها أفعالَه ، وكشرحٍ لكلامِ الشيـخ هـذا تحـدثَ العلماءُ الإلهيـون عن اتصـالِ عـالَم الغيبِ بعـالَمِ الشهـادةِ، وعـالم الشهادةِ بعالم الغيبِ. لأنَّ كلَّ ما في عالَمِ الغيبِ له مِثالٌ في عالم الشهـادة، وكل مـا في عالم الشهـادة له مثـال في عالم الغيب، فكـلُّ شيءٍ من الأشياء لـه حقيقـةٌ وروح، ولـه صورةٌ وقـالب، قد تتعـددُ الصُّورُ والقـوالبُ لحقيقةٍ واحـدة، وقـد وضعتِ الألفاظُ للحقائقِ والأرواح، ولـوجودِهـا في القوالب تستعمـلُ الألفاظُ، فلفـظةُ (القلم) مثلاً وضعتْ لآلـةِ نقشِ الصُّور في الألـواحِ بدون اعتبـارِ كون هـذا القلم قصباً أو حـديـداً، حتىٰ ولا أن يكـون جسـماً، ولا يحـددُ النقشُ بـه محسوساً أو معقولاً، ولا كونُ اللوح من قرطاسٍ أو خشبٍ أو غـيرهما، بـل مجردُ كونهِ منقوشاً فيه. هذه حقيقةُ اللوح وحدَه وروحُه، فكلُّ شيءٍ يتسـطرُ بواسـطة نقشِ علمٍ في قالبٍ فأخلِقْ به أنْ يكونَ هو القلمُ،قال تعَالىٰ: ﴿علّمَ بالقلم﴾ [3]

(١) يراد بهم درجات الملائكة ومراتبهم.
(٢) رسالة الشيخ «مخطوط خاص».
(٣) سورة العلق آية «٤».

وهكذا كلُّ اسمٍ من الأسماءِ جميعها، فالميزانُ مثلاً لفظةٌ موضوعةٌ لكلِّ ما تُعرَفُ به المقاديرُ ولـه معنىً واحدٌ هو حقيقةُ هذا الميزان وروحُه، وله قوالبُ مختلفةٌ وصورٌ شتىً منها جسمانيٌّ ومنها روحانيّ، فالجسمانيّ كالذي تُوزَنُ به الأثقالُ مثل ذي الكفتينِ والقبان وما يجري مجراهما، وما توزن به المواقيت والارتفاعات كالأسطرلاب [1]، وما توزن به الدوائر كالفرجار [2]، وما توزن به الأعمدة كالشاقول [3] وما يوزن به بعض المدركات كالحس والخيال، والروحاني ما توزن به العلوم والأعمال، كما يوضع ليوم القيامة وما يوزن به الكل كالعقل الكامل. وبالجملة ميزان كل شيء يكون من جنسه. والميزان حقيقة تشتمل على حقائق كل منها باعتبار حده وحقيقته الموجودة، وعلىٰ هذا القياس كل لفظة ومعناها من مختلف أنواع الألفاظ والمعاني، فكل ما في الدنيا من السماويات والأرضيات صور وظلال لما في الآخرة، وما في الآخرة حقائق لما في الدنيا، كالعناصر ومواليدها، والأفلاك وكواكبها، حقائقها في الجنة ـ وليس في الجنة شيء إلا وظله في هذا العالم ـ.ولما كانت شيئية الشيء وشخصية الشخص بحقيقته لا بصورته وظله، فكل ما في الدنيا هو في الجنة معرّىً من نقائص المواد وظلماتها، فعند ما يرون حقائق هذه الأشياء في الجنة يقولون﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾[4] فالظل لا اختصاص له بشاكلة الشخص تحدث من مقابلته شيئاً منيراً يتحرك بتحريك الشاخص [5] ويسكن بسكونه، والمنير الحقيقي هو اللّٰه، والفعل المعبّر عنه بالمشيئة. فعالم العقول بالنسبة للمشيئة كالشاخص، وعالم المثال بالنسبة لعالم

---

(١) الأسطرلاب كلمة يونانية وهي اسم لآلة رصد قديمة تستعمل لقياس مواقع الكواكب وساعات الليل والنهار، وحل شتىٰ القضايا الفلكية، وهو أنواع: مسطح، كروي، خطي.

(٢) الفرجار: البركار: كلمة فارسية وهو آلة لعمل الخطوط الدائرية.

(٣) الشاقول: كلمة عبرانية، وهو ميزان البنائين.

(٤) سورة البقرة آية «٢٥».

(٥) الشاخص: الشيء الذي وقف أو أوقف بحيث ارتسم له ظل.

النفوس كالشاخص، وظل كل عالم منهم هو ما دونه من العوالم، وسجود كل عالم هو تسخيره للّه. ولعالم الطبع ظلان: ظل نوراني كما يحدث في وجه المرآة الصقيلة عند مقابلة الشمس، وهو المثال الصاعد. وظل ظلماني كما يحدث من وجه المرآة الكثيف، وهو المثال النازل، والملكوت السفلي، وعالم الظلمة. وقد ثبتت الحجة علىٰ الخلق بهذا التكوين شخوصاً وظلالاً قبل لبسهم الأجسام من يوم ﴿ألست بربكم﴾[١]

نداء إبراهيم [٢]

ورد عن نبي اللّه الخليل عليه السلام أنه [٣] صعد أبا قبيس [٤] فقال: أيها الناس هلموا الحج إلىٰ بيت ربكم، فأسمع اللّه نداءه من في أصلاب الرجال وقرارات أرحام النسَاء جارياً مفعوله إلىٰ يوم القيَامة، لأن إبراهيم نادىٰ بلسانه الملكوتي، ومن سمع بأذنه الملكوتية من تلك العوالم بتلك الآذان أجاب، ومن لم يسمع وكان أصم في تلك العوالم عن هذا النداء لم يجب هنا، وعلىٰ هذا جاز تفسير أصلاب الرجال وأرحام النسَاء بالعوالم العالية، ووجودهم في الأصلاب والأرحام كناية عن وجودهم الإجمالي في عالم العقول، وفي الصراط: «. . . وكذلك الرعود والبروق والأمطار والأندية والظل والحر» من غير تفصيل وتمييز، والسماء والأرض والنجوم التي وقع عليها أسماء ظاهرة وباطنة لها أشخاص بشرية ونورانية، هي رتب العالم العلوي، فالعوالم في عالم

---

(١) سورة الأعراف آية «١٧٢».

(٢) سقط هذا العنوان من ب .

(٣) سقطت من ب.

(٤) أبو قبيس اسم جبل مشرف علىٰ مكة شرقاً، وجهه إلىٰ جبل قعيقعان ومكة بينهما،نصب عليه الحصين بن نمير المنجنيق ورمىٰ به الكعبة بأمر من الحجاج فاحترقت أستارها وذلك ٦٨٣م، وكان عبداللّه بن الزبير متحصناً فيها.

الغيب (النور المجرد) مرتب بعضها فوق بعض، والعالي منتهٍ بالداني ومصدر له ومظهر للأعلىٰ منه، فإذا أراد العالي إيجاد شيء في العالم الداني، ظهرت إرادته ومراده بصورته وتمام أوصافه ولوازمه، بل بحقيقته التي هي أحق من حقيقته التي هو بها في العالم المتوسط بين العالي وذلك الداني، وذلك الظهور هو تنزُّل العَالي بالنسبة إلىٰ ما ظهر فيه، فإذا أراد الله خلق آدم البشري في عالم الطبع، تظهر لا محالة تلك الإرادة وهذا المراد في عالم الأحدية، وهو عالم المشيئة بوجه، وعالم الأسماء والصفات بوجه، وعالم اللاهوت بوجه، وتلك الصورة بل الحقيقة الظاهرة إنسان لاهوتي، ثم في عالم الملائكة إنسان ملائكي ثم. . . ثم. . . إلىٰ عالم الطبع إنسان. والمقربون من الملائكة لإحاطتهم وسعة إدراكهم أدركوا صفات آدم الظاهرة والبَاطنة، وأنه مركب من الأضداد، موصوف بالشهوات والرذائل وما إلىٰ ذلك، وأنه وعاء الإنسانية أيضاً، وهو بكل أوصافه العديدة مناسب لموجود، ولهذا هو الخليفة بين المتضادات، فلم ينكروا استخلاف اللّٰه إياه ولكن هذا. . . المستخلف بقواه الطبيعية ـ القوىٰ الطبيعية المادية ـ لا يستخرج ما من شأنه أن يكون حيواناً، أو نباتاً، أو معدناً إلىٰ الوجود إلا بواسطة القوىٰ المجردة المؤثرة فيها، وقد أفاض صاحب التقويم (جلال الدين بن معمَار الصوفي) في الكلام عن العوالم النورية المجرّدة، وشرح مفاعيلها في عالم الطبع.[1]

---

(١) انظر تقويم الأسماء، مخطوط خاص.

الباب السادس

التشخيص

أفردت للتشخيص باباً في مقدمة شرح التنبيه[1] ـ مع علمي أن هناك من يستهجنه،فقد وجدته أصدق تعبير عن اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة كما فهمته من مطالعَاتي لأقوال الحكماء ودرر الفلاسفة الذين رأوا أن ما غاب عنا لا نعلمه إلا بما حضر لدينا، فالحسيات مَعَابر للعقليات، وكل ما في عالم الشهادة ظلال لما في عالم الغيب، وكل مرئي بالعين بل كل مرئي بالعين والعقل يقوم بعالم الغيب المجرّد. فالتشخيص كله أثر لعَالم الغيب كما هو معروف، ومفهومه اللغوي يعبر عنه تعبيراً جيداً من قولهم: «شخص الشيء: عينه وميّزه عما سواه». ولم يكن دينٌ من الأديان ولا مذهب من المذاهب الدينية إلا وتركزت دعائمه علىٰ التشخيص، إلا أن بعضهم يبرزه بألفَاظ أُخر غير التشخيص، فهناك من يقول: لفظ كذا إشارة إلىٰ كذا والمراد به كذا أو رمز كذا. . . ففي كتاب الإنسان الكامل للجيلي[2]: «الصلاة عبارة عن الطهَارة الكونية، وإشراط كونها بالمَاء إشارة إلىٰ أنها لا تزول إلا بظهور الصفات الإلهية، لأنها حياة الوجود، والماء سر الحياة، والتيمم «التزكي» بالمخالفات والمجاهدات، وفي بيان السعادة[3]: «القلب إشارة إلى النفس الإنسانية التي هي البرزخ بين عالم

---

(١) شرح التنبيه مخطوط خاص بقلم العلامة «المؤلف»

(٢) صوفي مشهور اسمه عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، صاحب كتاب مراتب الوجود وحقيقة كل موجود.

(٣) بيان السعادة في مقامات العبادة، تأليف العارف الشهير الحاج سلطان محمد الجنابذي الملقب بسلطان علي شاه. طبع الكتاب لأول مرة بمجلد واحد ثم أعادت جامعة طهران طباعته في أربعة مجلدات. كانت ولادته في ٢٨ جمادىٰ الأولىٰ ١٢٥١هـ. توفي ١٣٢٧هـ مخنوقاً غريقاً. كان من أشهر العلماء والعرفاء، وكتابه هذا من أهم التفاسير.

الملائكة والشياطين، وهي المعبر عنها بالصدر واللطيفة السيارة الإنسانية وبالرتبة الروحانية من الإنسان. ولما كان عالمنا كالمرآة ذا جهتين مختلفتين: جهة نورية صرفة وهي العقل والنفس، كصفحة المرآة المنيرة بمواجهتها الشمس، وجهة ظلمية صرفة لا ينعكس عنها إلا الظلمة... وكانت أفعال الإنسان خليطاً بين هذا وهذا قيل: إن[1] له كوتين أو بابين: كوة إلى العَالم العلوي بها يسمع من الملائكة، وكوة إلى العالم السفلي يسمع بها من الشيطان. والإفاضة جميعها من الرحمة الرحمانية خير محض لا شر به، وقد يحيله الاستعداد الشرير إلى شر ويبقى مع الاستعداد الخير خيراً قليلاً أو كثيراً حسب الاستعداد، فإن القابلية والاستعداد، كالشمس تبيض ثوب القصار[2] وتسود وجهه، وتطيب ريح الورد وتُنتنُ الأشياء النتنة[3]. ولهذا شخص بعض أعضاء البدن وغيره بشخصين متباينين لأن الفعل يلحق بمصدره الخارجي وفقاً لظلي المرآة النوري والظلمي، وإن كان مصدرها من الداخل، فالداخل لا يعرف إلا بتشخيصه خارجاً. وفي شرح الزيَارة[4]. «... وكذلك الصلاة والزكاة وغيرهما، فكل شيء مما أمر اللّه به أو ندب إليه، فهو صورة من صور الولاية الظاهرة والباطنة، ومجموع باطن هذه الصورَ صورة الإنسان الكامل، وباطن باطنها صورة الصور. وصور عكوساتها من صور المعاصي هي صور أعدائهم، فامتثال أوامره سبحانه واجتناب نواهيه كلها ظاهرها وبَاطنها، علميُها وعمليها اعتقاداً وقولاً، هو صورة الولاية الكلية». وهكذا يتبين أن النفس الإنسانية مثلاً إن كانت مظهراً للشيطان تعرف بواسطة أعمالها الظاهرة من أعضاء بدنها، إذ تشخص هي وأعضاؤها بأشخاص شيطانية مذمومة، وإن كانت مظهراً للرحمن تعرف بواسطة

---

(١) في ب إنه

(٢) في ب القصاب - إن المثل المضروب بالشمس وتأثيرها مثال غاية في الدقة والوضوح.

(٣) انظر بيان السعادة - مصدر سابق - مجلد ١ ص «٥٤ - ٥٥».

(٤) سبق الحديث عنه.

أعمالها الظاهرة من أعضاء بدنها، فتشخص هي وبدنها بأشخاص رحمانية، والأكل الذي هو غذاء الآكل: حسي ومعنوي، بل إن لكلٍ من هذين النوعين أنواعاً، وكل نوعٍ له جهتان، تشخص كل واحدة بجهتها، فالأكل الحسي إن أتىٰ عن طرقٍ غير مشروعة فهو حرام ويشخص من الجهة الشيطانية، وإن اكتسب عن طرقٍ مشروعة شخص بجهتها. والغذاء المعنوي للنفس هو أنواع العلوم، وما كان منها من الجهة الشيطانية كان مظهراً للقوى الشيطانية ومشخصاً بها، وما كان من الجهة الرحمانية كان مظهراً للقوى الرحمانية ومشخصا بها، وبكلٍ مما ذكرنا وما لم نذكره، يتبين أن هناك أشياء لها رتبة التوسط، فلا هي إلىٰ الشيطان ولا هي إلىٰ الرحمن، إنها مهملة لا محمودة ولا مذمومة، فالذي قلناه مثلاً عن العلم بيّن واضح، وهو أنّ ما كان منه قائداً إلىٰ الخير أو صادراً عنه، فهو خير، وما كان منه صادراً عن الشر فهو شر، وما كان بين هذين هو المهمل من جهة التشخيص لا يقع عليه حمد ولا ذم، ومن هذا القبيل كانت الجبال أوتاداً ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم[1]﴾ وأنت تعلم أن الجبال وإن لم تكن أسباب تماسك الكرة الأرضية، لكنها تمنع الزلزلة بأسباب سماوية وأرضية، ولولا الجبال لسرت تلك الزلزلة مسافات، والكون كل مفاعيله مظاهر لأسماء الله كما تقدم، وإن أسماء الله العظام (الأئمة) هم الجبال الذين يحفظون كل أرض معنوية أو مادية من الزلازل، وأنت تعلم أن كل رتبة من رتب عالم الغيب أرض لما فوقها سماء لما دونها، فيجب أن يكون لكل أرض جبال، فالأرض المعنوية جبالها القوىٰ التي تحفظها من الزلازل، والعقول الكلية بوجه جبال هذه الأرض وهكذا جميع الأرضين، وفي عالم الشهادة جبال كل أرض مؤمنوها[2] الذين تقوم دعوة الله بهم، وخلفاء الله جبال هذه الجبال، والكل

---

(١) سورة الأنبياء آية «٣١».

(٢) ورد في كتاب من لا يحضره الفقيه ما يشبه هذا المعنىٰ: سئل الصادق عليه السلام عن قول الله =

امتداد جبال العـزة الإلهية. هـذا نموذج ممـا كتبه الإلهيـون عن التشخيص، وهو نموذج رائع، من أضافه إلىٰ معلوماته أضاف إليها كنـزاً خطيـراً، ولا أحسب أن أحـداً تكلم عن التشخيص أو قال عن اتصـال عـالم الغيب بعـالم الشهـادة مثلما فعل خلاصة العالم البشري «جلال الدين بن معمار الصوفي» وممن كتبـوا في هذا الباب العالم الكبير العمّاد الغساني[1] قال: «إن ما استفادته النفس الإنسانيـة من علتها (النفس الكلية) بما أفاضت عليها، حصل معها بالفعل بعد أن كان بالقوة فتدبرتـه بالفكـر وحفظتـه، وانطبـع بالخيـال انطبـاع الشيء المحسوس في المـرآة فيكون الخيال حينئذٍ واسطة بين الروحـاني وهو العقـل والنفس، وبين الجسـماني وهو القلب، فصار القلب أول الجسمانيات كالغايـة التي هي أول الروحـانيات، وكان اللسان كالعقل الأول المؤدي عن الغاية الأولىٰ ما يتلقاه، والكلام كالنفس الكليـة تمد معلولاتهـا النفوس الجـزئية» كـما قال القـدوة[2] في رسالتـه: «القلب كالمعنى، واللسان كالاسم، والكلام كالباب، لأن الكلام هو المؤدي عن اللسان معنىٰ حـركته، كـما كان العقـل مخترعـاً من الذات، والنفس حـادثة عن العقـل حدوث الكلام عن اللسان[3]» إلىٰ أن يقول: «فمعرفة الحقيقة ضربان: النفوس الصافية تدرك الحقائق بصفائها قبل أن تكون محسوسة بـالألفاظ والأمثـال، لكن أربـاب النفوس النـاقصة لا تعـرف ذلك حتىٰ يحـرر بالألفـاظ ثم ينقل[4] ذلـك

= عزّ وجل: ﴿ألم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾الآيـة، سورة الـرعد آيـة «٤١». فقال «فَقْد العلماء» انظر كتاب من لا يحضره الفقيه ـ تأليف: ابن بابويه القمي أبو جعفر بن محمد بن علي الشيخ الصدوق، تحقيق حسن الموسوي دار التعارف بيروت ١٩٨١م.

(١) سبق الحديث عنه.

(٢) يراد به الحسين بن حمدان الخصيبي وقد سبق الحديث عنه ورسالته (مخطوط خاص)

(٣) المعنىٰ والاسم والباب مصطلحات صوفية وتعني مراتب علمية أو قل مراتب وجودية وهي الأحد والواحد والوحدانية، وهي هنا ممثلة بـالقلب واللسان والكـلام، وعند الفـلاسفة الـذات الإلهية والعقل الأول والنفس الكلية، فالذات هي الغيب المطلق أو المسكوت عنـه، والعقل الأول هـو الحقيقة المحمدية، وهو التنزل الأول من تنزلات الوجود، والنفس الكلية هي التنـزل الثاني من مراتب الوجود. «اللجنة».

(٤) في ا ينتقل.

المحسـوس إلىٰ الخيال ثم إلىٰ الـذهن علىٰ قـدر قواهم، فيكـون آخر درجـة كل فريق أول درجة الفريق الذي يليـه». وقال جـلال الدين: «ألا تـرىٰ إلىٰ المَعاني كيف لا تصل إلى الأذهان حتىٰ تبرزها الألفاظ في صورة متعينـة يقال لهـا صورة الحال وصورة القضية وصورة المطلوب، فإذا شخص الحـال والقضية والمـطلوب في نفس السـامع، ورأىٰ النـاظر مـا أراده المخاطب فهنـاك يحكم عليـه بنفي أو إثبات[1]». هذا الكلام جامع حقائق الجميع من مثل أفلاطون [2] إلىٰ عكـوس الشيرازي[3] إلىٰ بيان السعادة[4] إلىٰ ظلال القرآن المجيد[5]، ولما كان عالمنا عالم الطبع واقعاً بين الملكوت العلوي[6] وبين الملكوت السفلي، وكـان لأهل هـذين العالمين: ـ عالم النور المجرد سكان الملكوت العلوي (عالم الغيب)، ولأهـل عالم الجنـة والشياطـين سكان الملكـوت السفـلي ـ تصرف بعـالم الـطبـع بـأنفسهم أو بـأسباب من قبـل النفـوس البشريـة إذا تجـردت[7] من عـلائقهـا، وصفت من كدوراتها بالرياضات الشرعية أو غير الشرعية، وناسبت المجردات النورية العلوية، أو المجردات السفلية الظلمية، تؤثر بالأسباب أو بغير الأسباب في أهل هذين العالمين بتسخيرها إياهم، وجـذبها لهم إلىٰ عـالمها، وتـوجيهها في مـراداتها شرعية كانت أو غير شرعية فلذا كثيـراً ما تـرىٰ من الأشياء مـا يشخص بمحمود ومذموم معاً وخصوصاً أعضاء البدن كالعين واليد وما أشبه، فلا تختص الواحدة

---

(١) تقويم الأسماء (مخطوط خاص)

(٢) أفلاطون هو الفيلسوف اليوناني الشهير ومثله تجدها مفصلة في كتابه الجمهوريـة. ولد عـام ٤٢٧ ق.م. وتوفي ٣٤٧ ق.م. وهو مؤسـس المثالية الموضوعية وكان أبرز تلامذة سقراط، وقـد لعبت تعاليم أفلاطون دوراً هاماً في التطور اللاحق للفلسفة المثالية «اللجنة»

(٣) الشيرازي: سبق الحديث عنه.

(٤) بيان السعادة: سبق الحديث عنه.

(٥) في ظلال القرآن المجيد ـ تأليف سيد قطب.

(٦) في ا و ب العليا.

(٧) سقطت من ب.

بالعضو المخصوص لذوي الحياة الحيوانية بل اسم لمعنى، له مفاهيم كثيرة مرتبة بعضها فوق بعض، وهذه المفاهيم، معنىٰ ما به التصرف بالحركة على اختلافها ومعنىٰ ما به القدرة على الإنفاق[1] والإمساك، فهي في الحيوان آلة مخصوصة، وفي الإنسان الطبيعي «الملكي» آلة أخرىٰ، وفي الإنسان الملكوتي غير ما للإنسان الملكي، وفي الإنسان الجبروتي أمر معقول مجرّد عن المادة ولوازم المادة وعن التقدر والتشكل. والله سبحانه أحدي الذات لا كثرة فيه بوجه من الوجوه، وذاته[2] وجود صرف محيط بكل الكثرات، بحيث لا يشذ عن وجوده شيء منها، فهو - وإن تعددت صفاته - ليس بذي كثرة، وتعددها من تعدد مفاعيله، ومفاعيله صادرة بواسطة فعله الأول الذي هو غير فاعل لذاته بذاته، فيكون واجباً كباريه ولا مفعولاً فيكون كسواه من المكونات، واللّٰه سبحانه بواجب وجوده يستدل علىٰ عدم تكثره، وعدم تحدده وتثبت إحاطته الكلية: ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً[3]﴾وكاد يجمع الجميع[4] علىٰ أن هذه الأسماء كالعين واليد والسمع والبصر، من أسماء الأعضاء المنسوبة للّٰه بالقرآن المجيد والحديث الشريف، ليست ظاهرة في مقام[5] الأحدية، بل ظاهرة في المقام المعروف بنفس الرحمن، فمقام الرحمن باعتبار الفعل والمفاعيل يد الله، وباعتبار نسبتها إلىٰ الخلق وجه الله، ووجه الخلق إلىٰ الله، وباعتبار إضافتها[6] إلىٰ الماهيات والأعيان الثابتة[7] تظهر فيها الأسماء المتقابلة مثل اللطيف والقاهر وما أشبه،

---

(١) في ا الاتفاق.

(٢) في ب وذات.

(٣) سورة النساء آية «١٢٦».

(٤) المراد العلماء الإلهيون.

(٥) في ا و ب المقام.

(٦) في ا و ب انضيافها وهي فصيحة لكن اللجنة آثرت المألوف.

(٧) الأعيان الثابتة هي أول تنزل من تنزلات الحق من مرتبة بطونه، إنها الفيض الأقدس أو هي العالم المعقول في مقابل العالم المحسوس - المعجم الصوفي - مصدر سابق ص «٨٣٢».

فأسماؤه اللطفية والقهرية لأنها الفاعلة في سائر المفاعيل، يداه وكلتا يديه يمين ﴿والسماوات مطويات بيمينه[1]﴾ ولم يرد في كلام الله سبحانه شمال الله أبداً، وإلا فقد كان مناسباً عندما قال: «والسماوات مطويات بيمينه» أن يقول والأرض مقبوضة بشماله. يقول المكزون في تزكيته[2]، «إنما دلت الأعضاء المحسوسة علىٰ رتب غير محسوسة بالحقيقة، لارتفاع الجسمانية عنها من قبيل الرتب غير المحسوسة قبل حكاية ذوي الإحساس لنواظرهم بصفات ذواتها، وذلك في مقامات التجلي. واعلم أن لكل رتبة من العالم النوراني حكم ذلك العضو الذي دل عليه في البدن، ومن هنا نعلم تغاير التشخيص، وأن المراد به معرفة ما غاب عنا بما حضر لدينا، وأن الفرق بين الشخص والمشخص به، هو الفرق بين المحسوس والمعقول، وقد يختلف الكلام عن الشخص الواحد، ويتعدد التشخيص به من كتاب[3] لآخر أو من جملة لأخرى، ولتكون على مثل اليقين من هذا الذي تراه فتظنه اختلافاً وتبايناً مع أنه هو الحق الذي لا مرية فيه، لأن التشخيص يختلف ويتعدد بحسب ما للشخص من مفاعيل.

السحر والقدرة

ومن الغريب أن التأثير الإلهي الذي يتجلىٰ في العالم المحسوس بواسطة الأنبياء أو غيرهم من النورانيين، يسمىٰ قدرة، وإذا كان هذا التأثير من الأرواح الخبيثة يسمى سحراً، وقد ورد عن أهل العصمة وعن تابعي أهل العصمة من

---

(١) سورة الزمر آية «٦٧»

(٢) اسمها تزكية النفس ألفها المكزون السنجاري عام ٦٢٧هـ وموضوعها في التصوف والعبادات، ومن أراد الإطلاع عليها فليرجع إلىٰ كتاب معرفة الله والمكزون السنجاري ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ١٣٩٢هـ ـ لمؤلفه الدكتور أسعد أحمد علي ـ والعبَارة المذكورة لم ترد في الأثر المطبوع ولعلّ العلامة قد نقلها من مخطوط غير الذي اعتمده الدكتور أسعد في تحقيقه.

(٣) في ا شخص.

العلماء: «إنَّ القدرة لله سبحانه أنىٰ كانت[1]» لأنها لا تكون إلا بأمر من صاحب الأمر، فكيف يسمىٰ هذا التأثير هنا قدرة وهنا سحراً؟ ذلك[2] لأن القدرة ذاتية وجوهرية وليست عرضية، وحيث كانت تنتهي فهي قدرة الله كالحرارة أينما[3] كانت فهي من النار، فما ظهر منها علىٰ يد الجواهر الخبيثة من مفاعيل بصورة القدرة (كما قيل) فهو سحر لأنه ليس هو مُظهر هذه القدرة أصلاً، وقد أطلق السحر علىٰ كل شيء أخاذ، وعلىٰ كل كلامٍ دقيق، وترىٰ في كتب الدين ـ وما أحسنه ـ أن كل ما أضيف لله سبحانه مثل الحمد لله والشكر لله ومثل يد الله وما أشبه كله الاسم العظيم[4] ولكن لا تحسب أن الموحدين[5] أرادوا بأن لله سبحانه صفات زائدة علىٰ ذاته كما عند غيرهم[6] ولكنهم عنوا بهذا كما أخذوا عن المعصوم أن الله منزه عن الأسماء والصفات، وأسماؤه وصفاته قائمة بذاتها دالة على ذاته. وفي كتاب صحيفة الأبرار[7] من كتاب للمفضل بن عمر كتبه للإمام جعفر عليه السلام يسأله عن قوم يزعمون أن كل ما ظهر للناس من أمور الشرع ظاهراً لا يعبأ به، له باطن من عرفه سقط ظاهره، حتىٰ أنهم يترادفون المرأة الواحدة، ويأتون الأمهات والبنات والعمات زاعمين أن لها أشخاصاً من عرفها حل له ذلك، ولما كان الجواب طويلاً نستخلص مجمل ما

---

(١) هذا القول شائع جداً عند السادة الصوفيين، وهم يرون أنها تفسير لقوله تعالىٰ: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ» سورة الأنفال آية ١٧. فالفاعل الحقيقي إذاً هو اللّٰه لا غيره، وكل قوة أو قدرة فهي له سبحانه.

(٢) في ا فهل.

(٣) في ب أين.

(٤) يقصد به الحقيقة المحمدية

(٥) يراد بهم هنا من نهلوا علومهم من مدرسة الحسين بن حمدان الخصيبي.

(٦) الأشاعرة مثلاً.

(٧) اسمه كتاب صحيفة الأبرار في مناقب المعصومين الأطهار عليهم صلوات اللّٰه الملك الجبّار. للعالم العلام المولىٰ المعظم الميرزا محمد تقي ابن العلامة الميرزا محمد التبريزي الممقاني الملقب بـ (حجة الإسلام)

جـاء به ـ ونـدعو للرجـوع للكتاب المـذكور ـ جـاء في الكتاب: «إن من كـانـوا يدينون بالصفة التي سألتني عنها هم عندي مشركون بـالله سمعوا مـا لم يعقلوه، ولو كان الأمر علىٰ ما زعموا لعذر الجاهل المتعدي حـدود الله ﴿ومن يتعد حـدود الله فأولئك هم الظالمون[1]﴾. بعث الله أنبياءه بالإسلام فأفضل الدين معرفة الرسل، ولله تحليل وتحريم. فالمحلل ما أحلوه والمحـرّم ما حـرموه، وهم أصـل المحلل ومنهم الفـروع التي أمـروا بهـا شيعتهم، وهي الحـدود الخمس وتعـظيم حرمات الله والبيت الحرام، فعدُّوهم المحرم، وأولياء[2] أعـدائهم الفواحش مـا ظهر منها وما بطن والخمر والميسر والزنـا والربـا والدم ولحم الخنـزير... ومنهم فـروع الشر. وأخبرك لـو قلت: إن الفاحشـة والخمر والميسر والـزنا والميتـة والدم ولحم الخنزير هو رجل وقد حرَّم الله هذا الأصل وحرّم فرعـه ونهىٰ عنه وجعـل ولايته كمن عبد وثناً، ومن دعا إلىٰ نفسه كفرعون لصدقت، فهذا كله علىٰ وجه رجل، وإن الدين وأصـل الدين رجـل، من عرفـه عرف الله ومن جهله جهـل الله. فأهل المعرفة بالظاهر هم الذين عرفوا أمرنا بـالحق علىٰ غـير علم لا يلحق بأهل المعرفة في البـاطن ـ على بصـيرتهم ـ ولا يصلون بتلك المعرفـة المقصرة إلىٰ حق معرفة الله، إلىٰ أن قال بعد كلام طويل: وأخبرك إني لو قلت: «إن الصلاة والزكاة وصـوم رمضان والحـج والعمرة والمسجـد الحرام والبيت الحـرام والمشعر الحرام والطهور والاغتسال من الجنابة وكل فريضة ذلك هو النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم الذي جـاء به لصـدقت لأنه يعـرف بالنبي، ولـولاه ولولا معـرفتـه والإيمان به ما عرف شيء من ذلك فهو النبي وأصله وفـرعه، وهـو الذي دعـاني إليـه ودلني عليه فـلا يسعني جهله، أحب الله أن يعـرف بـالـرجـال وأن يـطاع بطاعتهم، فجعلهم سبيله ووجهه. ومن قال لك أن هذه الفريضة كلها إنما هي رجل وهو يعرف حد ما تكلم عنه فقد صدق، ولا يغني التمسك بالأصـل بترك

---

(١) سورة البقرة آية «٢٢٩».

(٢) في ب وأوليائه.

الفروع، كما لا تغني شهادة أن لا إلَه إلا الله بترك شهادة أن محمداً رسول الله، فباطن كل هذه الفروع هو ولاية أهل الباطن، والظاهر منه فروعهم. . وإنما يقبل الله من العباد العمل بالفرائض علىٰ حدودها مع معرفة من جاءهم من عنده ودعاهم إليه، فمن عرف أطاع ومن أطاع حرّم الحرام ظاهره وباطنه، فإنما حرّم الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر معاً جميعاً، وأما استحلال نكاح ذوات الأرحام وقد حرّمهن الله بالكتاب، فهو استحلال ما حرّم الله، ومن أحل ما حرّم الله فقد أشرك، وأما مرادفتهم المرأة الواحدة فهو محاربة الله سبحانه[1]».

(١) صحيفة الأبرار. تأليف الميرزا محمد تقي التبريزي الملقب حجة الإسلام - دار الصراط الطبعة ٤ سنة ١٩٨٦م المجلد الأول ص من (٢٩٠ إلى ٢٩٤) وقد نقل العلامة ما ورد في هذا الباب من الكتاب السابق بتصرف.

الباب السابع

أسرار الرحم

كتبنا وأكثرنا عن أسرار الرحم وأفردنا لـه كتابـاً خاصـاً سميناه (الأرحـام الثـلاثة)[1] ونـظراً لفوائـده الجمة ووجـوب معـرفـة مـا فيـه ولصلة مـوضـوعـه بالتكوين، ولأن أصـل أي ولادة كانت تسمىٰ آدم، رأينـا أن نصدر هـذا الباب بمعرفة أولئك الأوادم.

الأوادم

إنّ الأوادم كثر جداً، ويمكن جمعهـا بأربعـة هي: آدم ملكي وآدم ملكوتي وآدم جـبروتي وآدم لاهوتي، وذلـك لأن عالم الـطبع وهـو عالم الكـثرة له صـورة ومثال بنحو الكـثرة والتفصيل بعـالم المثل[2] ولـه حقيقة في عـالم العقول الـطولية بنحو أبسط مما في هذا العالم، ويعـبر عما في ذلك العـالم بالـذر[3] وكل عـالم فوق عالم الطبـع من سائـر العوالم كله علم وشعـور وسمع وبصر، وكـل من المراتب النازلة بالنسبة لما فوقه رقائق وذرار وظهـور له بنحـو الكثرة والتفصيـل، لكنه في عـين التفصيل أخفىٰ منـه وأضعف، والعالي في عـين إجمالـه أتم وأشـد وأظهـر وأحقُّ بالاسمِ المطلقِ عليهِ، فآدمُ اللاهوتي الذي يعبُر عنـه بالحقيقـة المحمديـة، والحقُّ المخلوقُ بـه، والإضـافـة الإشراقيـة، أحق بـاسمِ آدمَ من آدم الجـبروتي

(١) كتاب الأرحام الثلاثة هو كتاب للعلامة الشيخ أحمد محمد حيدر وهو مخطوط خاص.

(٢) عالم المثل: يمثل وجود الإنسان قبل تجسّده في الجسد الفاني، ومعلوماتنـا عن هذا العـالم تدور في فلك التخمين والاحتمال، وأول من قال بعالم المثل سقراط وتلميذه أفلاطون. «اللجنة».

(٣) عـالم الذر: يـراد به النشـأة الأولىٰ عندمـا أخذ الله العهـد علىٰ النـطف في أصـلاب الـرجـال. «اللجنة».

وهكذا إلى آدم الطبع[1] وبنو كلٍّ آدم هم المنسوبون إليه بلا واسطة، فكلُّ رتبةٍ هي آدمُ من دونها إلىٰ العالمِ الصغير (الإنسان)، وبنوة المداركِ والقوىٰ البشرية، والإنسانُ قبل أن تُعرضَ عليه الولايةُ ومعانيها حالُه حالُ النطفةِ في صلب الرجل، وبعد عرضها عليه حال النطفة المستقرة في الرحم، ولا تدخل عليه الشقاوةُ إلّا بعد رفضِها، ولا السعادةُ إلّا بعد قبولِها.

الولادةُ أو النسبةُ الجسمانيةُ والنسبةُ الروحانيةُ

الولادةُ الجسميةُ عبارةٌ عن انفصالِ مادةِ الولدِ عن الوالدِ. والولادةُ الروحانيةُ عبارةٌ عن تنزلِ صورةِ الوالدِ وظهورها بصورة الولد وتقيدِها بالمرتبةِ النازلة، فمرتبتُها من العلمِ كالشمسِ المنعكسةِ عن المرائي[2] المتعددةِ ولا تخلُّ كثرتها في وحدةِ الشمس، ومن هنا يفهمُ اهتمامُ القرآنِ والحديثِ الشريفِ بأمر الوالدين بحيثُ جُعِلا قريناً للتوحيد،وكيف أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أولىٰ بالمؤمنينَ من أنفسهم[3]﴾وكيفَ أنَّه هو وأمير المؤمنين «أبوا هذه الأمة»، (ولعن الله عاق والديه)[4] فبإلقاءِ العقلِ الكلي نقوش[5] العالم علىٰ النفسِ الكليةِ يُوجدُ عالمُ الطبع، وبازدواج العقلِ الكليّ والنفسِ يُولَد بنو آدم وذريَّتُهم،

---

(١) سقطت من ب.

(٢) في نسخة ب المرايا والمرائي جمع المرآة، والعوام يقولون في جمعها مرايا وهو خطأ والله أعلم... انظر لسان العرب مادة مرأ. وفي المنجد جمع مرآة مراءٍ ومرايا.

(٣) سورة الأحزاب آية «٦».
انظر كتاب المراجعات بقلم سماحة الإمام آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ـ الطبعة الرابعة ـ دار إحياء العلوم ١٩٥٨م المراجعة ٣٨ ص «١٥٤».

(٤) جاء في كتاب صحيفة الأبرار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: «أنا وأنت أبوا هذه الأمة فلعن الله من عقنا» انظر صحيفة الأبرار ـ المجلد الأول ـ مصدر سابق ص «٩٥».

(٥) النقوش: ما يُنقَشُ علىٰ الشيءِ من صورٍ وألوان، ويقالُ لصاحبِ هذه الحرفة: النَّقاش.

وبـازدواجِ النفسِ والشيطانِ يُـولدُ بنـو الجان، وكـما أسَّسَ اللَّهُ سبحانَـه لصحةِ النسبـةِ الجسمانيـة في كل ملّةٍ وشريعـةٍ ما تبتنىٰ[1] عليـه، كذلـك أسس للنسبـة الروحانية أساساً ترتكـزُ عليه. ومن لم تَكُن نسبتُـه مبنيةً علىٰ ما أسَّسَـهُ اللَّهُ كان زنىٰ في النسبتينِ الروحانيةِ والجسمانيةِ، وكما أنَّ مدخولَ النسب الجسماني ملعونٌ، فمدخولُ النسبِ الروحاني ملعـونٌ أيضاً، ونسبـة مدخـولِه إلىٰ مـدخولِ النسب كنسبة الروحِ إلىٰ الجسدِ.

النطفة

ورد في شرح الزيارة كـلامٌ يحتاجُ إلىٰ تبصـرةٍ وتـوعيـةٍ، ووردَ بغـير هـذا الكتاب أشباههٰ. جاء عن الإمام جعفر عليه السلام أنَّه قال: «إن السـلالةَ هي النطفةُ، والنطفةُ مؤلفةٌ من نطفةٍ معنويةٍ ملكوتيةٍ، ونطفة هيولانيةٍ جسمانيـةٍ. أما النطفة المعنوية الملكوتية فـإنَّها تنزل قـطرةً من شجرة المـزنِ، وهي قطرةٌ من دُرَّةِ الوجود لحظها اللَّه بعين إرادته فـذابت ماءً، يعني معنى تنـزل من معاني العقـلِ إلىٰ رقيقـةٍ من رقائق الـروح، ثم إلىٰ صورةٍ من صُـورِ اللوحِ المكتوبـة فيه، ثم أذابَها حتىٰ مزجَها بذرَّةٍ من ذرَّات الهباءِ الجوهـريّ، ثم حَملها الملك وأجـراها في قوسِ الأفلاك، وسلَّمها إلىٰ الريَاحِ، وتقبلَّها من السَلاح[2] كل دلاح، وألقتها في الأقطارِ، ثم سرَتْ في البقـولِ والثِّمارِ، وجـرتْ في الطعَـام وخالـطَت غذاء الأنامِ، ثم نزلَتْ نطفةً من مني يمنىٰ، فصار ما فيها بالقوة من المادة بالفعل، وما فيهـا بالفعـل من الحيَاة والإحسـاس بالقـوة، فإذا كـرَّتْ عليها المـلائكةُ الأربـعُ بالرياح الأربعِ تنقلتْ من طَورِ النطفة إلى العلقةِ، ومنهـا إلىٰ المضغة، ومنهـا إلىٰ العظام ثم تكسىٰ لحماً. فإذا تمت خلقته كـان ما فيـه بالقـوة من الحيَاة والشعـور

(١) في (أ و ب) تبتني.

(٢) السلاح السحاب المرتفع، والدلاح السحاب المنخفض، وهما رمزان لرتبتين في سلم التكوين.

بالفعل»، فهذا الكلام أراه من الرموز التي تـدل علىٰ معَـاني التكوين بـالتسلسل رتبة عن رتبة.فالرتبة الثانيةُ توجدُ مع الأولىٰ بالقوة، وتوجدُ عنها الثانيةُ بالفعلِ. وهكذا فكلُّ الأشياءِ كانتْ مـع الجوهـر الأول بالقـوة، ثمَّ أفاضَهـا دفعاتٍ عـلىٰ النفس الكليةِ (اللوح المحفوظ) بـالفعل، وهـذا الفعلُ كـان مع النفسِ الكليـةِ بالقوة، وأفاضَه بالفعلِ بإيجادِ الرتبةِ التي تليه، وهكذا تسلسـلُ التكوينِ بـالقوة وبالفعل، وهـو شبيه مـا وردَ من أنَّ الروحَ بـرجوعهـا إلىٰ صفائِهـا تصعدُ سـماءً سماءً، كما نزلت سماءً سماءً قال اللَّهُ سبحانه: ﴿يـا أيها النـاسُ إنْ كنتم في ريبٍ من البعثِ فإنا خلقناكُم من تُرابٍ ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغةٍ مخلقةٍ وغـير مخلقـة، لنبـيّنَ لكم، ونقـر في الأرحــام مـا نشــاء إلىٰ أجـل مسمىٰ، ثم نخـرجكم طفلاً، ثم لتبلغـوا أشدكم. ومنكم من يتـوفىٰ، ومنكم من يـرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً، وترىٰ الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيج﴾[1]وواضح أن اللَّه سبحانه شرح بهذا الانسجام المذهل القصير المدىٰ، حكاية استيلاد الإنسان على طولها وما بها من العجائب والغرائب والمذهلات، بحكمةِ حكيمٍ مبدع،ثم شفعها سبحانَه بما يشبهها بالاستيلادِ الطبيعي من المطر والأرض، ومن الزوجـين الذكـر والأنثىٰ. وما أجملَ وما أغربَ هذا الاهتزاز[2] للتزاوج استعداداً للحمل، وهـذا الربـو هو التزايد في الحمل، ما أحلىٰ هذا في كل ذكر وأنثى من جميع الأنواع من كل زوج بهيج.

الأرحَام الثلاثة

الأرحـامُ كثيـرةٌ لا يعلمُ عـددَهـا إلاّ اللَّه، لأنَّ لكـلّ استيـلاداً من كـلّ محسـوسٍ ومعقـول حتىٰ الصـدق والكـذب، ولكننـا نتكلم في هـذا المقَـام عن

(١) سورة الحج آية (٥).
(٢) في ب الامتزاز.

الأرحَامِ الثلاثـة: الرحمُ الـروحانيـة الإلهيةُ، والـرحمُ الروحـانيةُ الشيـطانية، والرحم الطبيعيةُ الإنسانية، وكلٌّ من هذه الأرحَام ولود.

الرحم الروحانية الإلهية

هي روحانيةٌ نـوريةٌ صرفـةٌ كان بهـا تكوينُ العَـالَمِ الإلهي «الملائكـة» تلدُ ملائكةً روحـانيين مجرّدين لا أجسامَ ولا هيئـاتٍ ولكن لا علىٰ طـريقِ التناسـلِ الجنسي والتجـاذبِ الطبيعي ـ ولا بـدَّ من تجاذب ـ بـل كـما تتـولـد الحكمـة من الحكيم والعلمُ من العَـالِمِ والتقـوىٰ من التقي وهكـذا. . . . ولما[1] كـانَ أمـيرُ المؤمنين آدمُ الأول، ولما كـان هو ورسـول اللَّه أبوي هـذه الأمة ولعن اللَّه عـاق والديه ـ ولما كان: (المؤمنون إخوةً لأب وأم، أبوهم النور وأمهم الرحمة)[2] كما في كل كتب الإلهيين، عرفنا متيقنين أن كيان العَالَمِ الإلهي كان فيضاً عن فيض إلىٰ الذات الإلهية، عللاً ومعلولات وآثاراً ومؤثرات وأصولاً وفروعاً وأسباباًومسببات قـال تعالىٰ: ﴿واتقـوا اللَّه الذي تسـاءلون بـه والأرحَام﴾[3] وقـال: ﴿ومريم ابنـة عمـران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيـه من روحنا﴾[4] وقـوله: ﴿إنـه ليس من أهلك﴾[5] (سلمان منـا أهـل البيت)[6] هـذا مجمـل التكلم عـن الـولادات الروحانية، ومنه ما يكون بين الشيخ ومريديه.

---

(١) في أ وكما.

(٢) جاء في كتاب صحيفة الأبرار: قال الإمام أبـو عبد الله عليـه السلام: «المؤمن أخـو المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور وأمه الرحمة» انظر صحيفة الأبـرار ـ المجلد الأول ـ مصدر سـابق ص «١٠٦». وورد هذا الحديث في كثير من الكتب المخطوطـة، ومنها كتـاب (الطالقـان)، رواية أبي الطاهر سابور.

(٣) سورة النسَاء آية «١».

(٤) سورة التحريم آية «١٢».

(٥) سورة هود آية «٤٦».

(٦) حديث عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، ورد في كتب كثيرة، انظر مثلاً: الاحتجـاج، لمؤلفه أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الأعلمي بيروت ط٢ ١٩٨٣م ج١ هامش ص١١٠

الرحم الروحانية الإبليسية

الرحم الإبليسية ولود أيضاً، تلد شياطينَ وجنّاً وعفاريتَ، لا علىٰ سبيلِ المناكحة والمناسلةِ، بل كما تتولدُ الشقاوةُ من الشقيِ والجهلُ من الجَاهِلِ والشرُّ من الشريرِ.

الرحمُ الطبيعيةُ الإنسانيةُ

الرحمُ المركبةُ الجسميةُ تلِدُ عن طريق اجتماعِ ذكرٍ وأنثىٰ من كلِّ نوعٍ من كل ذي روح ﴿سبحان الذي خلق الأزواجَ كلها﴾[1] ولكنَّ الولادةَ الإنسانيةَ هذهِ منها ما يكون علىٰ مستسنِ الشرعِ الشريف، محتفظاً بالولايةِ معاً، فيكون الزواجُ شرعياً والولادةُ شرعيةً، وإلاّ كانتْ بمثابةِ زنىٰ، ويتضحُ هذا لمن يتمعنُ بما أنزلَ من الوحي ـ بعد بيعةِ الغدير ـ [2]: ﴿اليومَ أُحلَّ لكم الطيبات﴾[3] وتكون مثالاً للرحِمِ الروحانيةِ، وبعد هذا كان تشخيصُها من جهةِ ما وردَ من الظلالِ والصور، وأن المحسوسَ طريقُ المعقول، وبتشخيص أعضاءِ البدنِ نحصل علىٰ مثالِ هذه المعَاني بطريقة مريحةٍ سَهلة، وتعرف تماماً من تنزلات الوجود[4] بالتكوين، ومن معرفة الظلال النورية وهم العَالم النوراني المطلقُ ﴿يتفيأُ ظلالَه عن اليمينِ والشمائلِ﴾[5] والظلالُ الظلمانيةُ المذكورةُ بقولِه سبحانه:

---

(١) سورة يس آية «٣٦».

(٢) الغديرُ: هو غدير خم، وهو ماء قريب من الجحفة علىٰ الطريق بين مكة والمدينة حيث مسكن بني خزاعة وكنانة، وفي هذا الموقع وفي الثامن عشر من ذي الحجة عام أحد عشر للهجرة وأثناء العودة من حجة الوداع قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمبايعة علي كوصي له من بعده. «اللجنة».

(٣) سورة المائدة آية «٥».

(٤) أي سلسلة التكوين بدءاً من الحقيقة المحمّدية إلىٰ العَالم المشاهد المحسوس مروراً بالعقول والنفوس علىٰ اختلاف درجاتها،أو قل مروراً بالعَالم العلوي (الملائكة) علىٰ اختلاف مراتبهم.

(٥) سورة النحل آية «٤٨».

﴿انطلقوا إلىٰ ظلٍ ذي ثلاثِ شعبٍ لا ظليلَ ولا يغني من اللهب﴾[1] وبهذا يكون التشخيصُ من العقلِ مواكباً لكل معقـول. وإن لم تكن الولادةُ الإنسـانيةِ علىٰ مستسنِ الشرع الشريف، أو كـانت ولم تكن علىٰ طـريق الـولايـةِ، كـانتْ غـير شرعيةٍ، وكانتْ ظلاً وصورةً للرحمِ الشيطانيةِ وسبيلاً لاستيلادِها. . .

التذكير والتأنيث

ولعلك علمتَ مما تقـدمَ أن بكـلِّ شيءٍ أنـوثـة وذكـورة حتىٰ بـالعقـولِ والنفـوْس وبكل محسـوسٍ ومعقولٍ وحيٍّ ومـواتٍ، قـال سبحـانـه: ﴿وأرسلنـا الريَاح لواقح﴾[2] لتلقيح منوع الأشجار، ومنوعِ النباتِ، تنقلُ غبـارَ الطلعِ من ذوي أعضـاءِ التذكـيرِ إلىٰ ذوات الأعضاءِ المؤنثـة فيحدثُ الثمـرُ بأنـواعِـه، كـما اكتشفَ علمَاء النبات، وتعلم أنَّ أسماءَ العـالَمَ الكبيرِ مـطابقةٌ تمـاماً لأسـماءِ جميعِ الكوائنِ المحسوسـةِ، مما يعيننـا علىٰ شـرحِ كلماتِ الحكـماء: «الحسياتُ معَـابـرٌ للعقلياتِ»[3] «ما غاب عنا لا نعلمه إلاّ بما حضر لدينا»[4] فبهذا نقدر أن نأخذ الريَاح من جهتهـا المطلقـة والمقيدة فنقـولُ: رياحُ الولايةِ، ريـاحُ التكوين، ومـا أسبهَ. وأن نأخذ كلمةَ التلقيحِ من كلا جهتيه فنجدُ أن معناه الاستيلادُ من كلٍّ نـوعٍ من الأنواع، وليس التـذكيرُ والتـأنيثُ الجسميّ إلاّ مثالاً واضحـاً للتذكـيرِ والتـأنيث العمومي، ورب مـذكر جسـماً وهو مؤنث عقـلاً، وهذا عـلىٰ غرار مـا علمت من منـوع معاني النطفة، ـ كما مرَّ ـ وتدرجها في كل شيء من صـورةٍ إلىٰ

---

(١) سورة المرسلات آية «٣٠ - ٣١».

(٢) سورة الحجر آية «٢٢».

(٣) الحسيات معابر للعقليات تعني: إننا لا ندرك ما غاب عنّا إلاّ بما هو حاضر ومشاهد لدينا.

(٤) ينطبق هذا القول وآراء أفلاطون الذي كان يرىٰ أن الأشيـاء الحسية نسبيـة وزائلة ولكنها سبيـل إلى فهم عالم المثل الغائب عنا «المحتجب الذي تتذكره النفس الخالدة من عالم الذر» قبل هبوطها من عالم الملأ.

صورة حتى ينشئه اللّه خلقاً آخر﴿فتباركَ اللّه أحسن الخالقين﴾ [1] وليس شيء من هذه الأرحَام واستيلادها إلاّ وهو غريبٌ علىٰ علمنا، لأننا لم نعتَدْ علىٰ تحديد الألفاظ بمعانيها ولا علىٰ درسِ الأمور من وجوهها، بل الذي اعتدناه المظهرُ اللبقُ وأجدْنا تمثيلَه، قال يزيد[2] لأبيه: «يا أبتاه، إنك أظهرت من حلمك ما أطمع فيك كل أحد حتىٰ أنهم يسبونك»، فقال له: «يا بني من سرقَ شيئاً فليتعاقل».

الكذب وتناسله

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الكذبُ حيضُ الرجال»[3] وربما استجليتَ منه صورةً رائعة وتمثيلية صادقة لتحريم الكذبِ وامتهانِ الكذاب لأبعد حدود الامتهان، ولا بدَّ أنَّك اجتليتَ من هذا الحديث تشبيه فم الكاذبِ بالعضو التناسلي لامرأةٍ عهور، وتشبيه كلام هذا الكاذب بدم الحيض. ولا بد من عضو مذكر لإتمام عملية الولادة وهو لسان هذا الكاذب، والنطفة للإيجاد،وهو مفعول كذبه مشوهاً به وجه الحقائق، وأبوا هذا المولود من الكذب (الحيض) هو ما يخرج لابساً رداء التقوىٰ وأثواب التدين.

---

(١) سورة المؤمنون آية «٢٤».

(٢) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثاني الحكام الأمويين.وحواره مع والده لم نجد ألفاظه ولكن معناه يتفق وما عرف عن دهاء معاوية الذي كان يتظاهر بالحلم لإخفاء الغضب «اللجنة».

(٣) لم نعثر علىٰ هذا الحديث بلفظه، ولكنَّ الناس مجمعون علىٰ ذم الكذب ووجوب الطهارة منه، قال ابن عبَّاس: الحدث حدثان: حدث من فيك وحدث من فرجك انظر عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري الهيئة العامة للكتاب القاهرة «١٩٢٥م» مجلد(١) كتاب الطبائع باب الكذب والقحة ص ٢٥.

وقال رجل لقوم يغتابون ويكذبون: توضأوا فإن ما تقولون شرٌ من الحدث.

عيون الأخبار مصدر سابق ص ٢٩.

الباب الثامن

القاذورات

أريد أن أبينَ فيما يلي موضوعاً شغلَ الأذهانَ طويلاً، وهو موضوعُ القاذوراتِ وما أشبهها ومكانُها من التكوينِ. ذلك لأنَّها موجودةٌ ليس بوسعِ أحدٍ إنكارُها ولو كرِهَ ذكرَها أو نفَر من مشاهدِتها. إنّ هذا الموضوعَ قد شغلَ أذهانَ العُلَماء. وبخاصةٍ الإلهيينَ والموحدينَ منهم، فهذا جابرُ بن حيّان[١] يقول:

«إنّ أولَ ما كان في الأزلِ هو العناصر الأوليةُ الأربعةُ: الحرارةُ والبرودةُ والرطوبةُ واليبوسةُ، فهذه أولُ أمهاتِ البَسائط، ثم طرأتْ علىٰ هذه البَسائطِ حركةٌ وسكون فتكونت منها[٢] تركيبات متنوعة، ولولا الحركة والسكون لظلّت تلك الأصول الأولىٰ مستقلاً بعضها عن بعض[٣]، والحركة والسكونُ وحدهما لا يكفيانِ لخروجِ هذه الكائناتِ التي نراها كما هي، فقد كان لا بدّ لمبدأِ الكميةِ أنْ يدخلَ في عمليةِ الامتزاج. فإن تشابهتْ في خروجها من تلكَ الأمهاتِ الأربعةِ فباختلافِ مقاديرِها تختلفُ حيواناً ونباتاً وحجراً، فقد تزيدُ الحرارةُ هنا وتقلُّ هناك وقد تزيدُ اليبوسةُ في شيء منها وتقلُّ في شيءٍ آخر، إذاً فحركاتُ الوجودِ (كيفياتٌ) فحركةٌ فسكونٌ فكميةٌ»[٤] وإذا رجعنا إلى تنبيه الشيرازي[٥]

---

(١) جابر بن حيان: هو أحد تلامذة الإمام جعفر الصّادق عليه السلام وهو من علماء العرب المشاهير في الكيمياء، عاش في الكوفة نحو عام ٧٧٦م له كتاب الرحمة وفيه بحث طريقة تحويل المعَادن إلى ذهب. والعبارة من كتابه المذكور.

(٢) سقطت من ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) تقول النظرية النسبية: إن أي زيادة في سرعة الحركة تسبب زيادة في كتلة الجسم بينما تنقص الأبعاد المستقيمة في اتجاه الحركة... وهكذا فإن كل حركة تتضمن تفاعل الأشكال المختلفة للحركة وتحولاتها المتبادلة، وبالمعنىٰ الواسع فإن الحركة هي تغير في العالم تظهر من خلاله آثار متعددة الصور متنوعة المظاهر. «اللجنة».

(٥) الشيرازي سبق الحديث عنه.

فسنجدُ به: إنَّ الظلالاتِ الأربعةَ: العقلُ الكليّ، والنفسُ الكليةُ، والكلمةُ الكليةُ، والصورةُ الكليةُ، هم ظلالُ الملائكة الأربعةِ الذين لم يؤمروا بالسجودِ لآدم، أي إسرافيل وميكائيل وجبرائيل وعزرائيل، وهذه الظلالات لها صور: الصورةُ الأولى: الحرارة الكلية، والثانية:الرطوبة الكلية، والثالثة:البرودةُ الكلية والرابعة:اليبوسةُ الكليةُ وهذه[1] الصورِ أربعةُ مشخصات وهي النار والماء والهواء والتراب، وتركبت منها أربعة عوالم هي: عالَمُ المعدن وعالَمُ النبات وعالَمُ الحيوان وعالَمِ الإنسان، فإذا علمتَ ـ علَّمنا اللَّهُ وإياك الرشدَ ـ أنَّ الحرارةَ الكليَّة والرطوبةَ الكليَّةَ والبرودةَ الكلية واليبوسةَ الكليَّة هي طبيعةُ عالَمِ النورِ المجرد، وهي كليات لأجزاء تتكونُ بها وعنها، وأنَّها كلياتٌ لصورِ[2] النار والهواء والماء والترابِ التي هي طبيعةُ العالَمِ المحسوس، فتلك معَانٍ في هذه الكليات[3] ومن هذا نستجلي شيئاً من معنىٰ قيوميَّةِ عالَمِ النورِ المجرّدِ، عالمِ الغيبِ، عالَمِ الإله، لما دونَه من مقيدٍ ومحسوس. فالعالَمُ المحسوس كلُّه، والقوىٰ المجرَّدة النورية كروحٍ وبدنٍ، وفي هذا المعنى يقول الناسخ البغدادي: [4]

خمسٌ ولكنهم بالفعلِ أربعةٌ ... كلّ بصاحبِه بالمزجِ منعقدُ
وبافتراقٍ تراهم غير ذي جسدٍ ... وباجتماعٍ تراهم كلهّم جسدُ

---

(١) في ب ولهذا.
(٢) في أ بصورهم.
(٣) سقطت في ب.
(٤) ترجمته ليست متوفرة، غير أن القصيدة المشار إليها من القصائد المشهورة في التصوف ويبلغ عدد أبياتها ٨٤ بيتاً ومما جَاء فيها:
ما كلُّ ماءٍ يُروّي القلبَ من ظمأٍ ... البحرُ ماءٌ ولكنْ شربُه نكدُ
ويروىٰ البيت الثاني بإبدال بافتراق، بانفراد كما يروى البيت الأول (بالعد) بدل (بالفعل).

أي إذا أفردتَ كلاً من النارِ والماءِ والهواء والتراب،كانَ كلُّ عنصرٍ [1] منها جسماً بسيطاً ذا طبيعةٍ غيرِ مركبة، وإذا جمعتَ هذه العناصر شكلَّت جسماً طبيعياً واحداً [2] يضم المكوناتِ من عالَمِ النور المجرَّد إلىٰ آخر التكوينِ،فإذا استجليتَ هذا جيداً اتضحَ لكَ أن الكائناتِ جسمٌ واحد وصورةٌ كلية:

«الكونُ جسمٌ وهي فيه روح» [3]، (هو الهيولىٰ وكلُّ الخلقِ صورتُه) واتضح لك أيضاً أن الإنسان مجموعة من الكائنات الصغيرة وأن الكائناتِ بأجمعها إنسانٌ كبير.

القوانينُ الطبيعيةُ والنورُ الإلهي

علمتَ أنَّ الحرارةَ الكليَّة، والبرودةَ الكليَّةَ، واليبوسة الكليَّة، والرطوبة الكليّة، هي طبيعةُ عالَمِ النورِ المجرد. وأنها صورٌ وظلالاتٌ للملائكةِ الأربعة! إسرافيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل، وأنَّها حقائقٌ للنارِ والهواء والماء والتراب. وعنها تركبتِ العوالمُ الأربعةُ: عالَمُ المعدن وعالم النبات وعالم الحيوانِ وعالم الإنسان. وبعلمك هذا تبينَ أنَّ قوانين الطبيعةِ تتوحد في نورٍ إلهي ينظمها ويوحدها، فهي كالحيَاةِ التي تسير كما لو كانَ وراءها عقلٌ مُنَظم لوظائفِ كُلِّ كائنٍ حي، حتىٰ لو كان هذا الكائنُ الحيُّ دويبةً حقيرةً أو نبتاً بسيطاً فإنَّه أثرُ الحيَاة الإلهيةِ الواعيةِ، وهذا الأثرُ الإلهيّ يلازمُ الكائناتِ إلىٰ أن تتمَ دورتَها الوجوديَّةَ وتتلاشىٰ ليتولدَ عنها أحياء أخرىٰ [4] تبعاً لسنَّةِ الدثور والتجدد،

---

(١) إن كلاً من الهواء والنار والماء والتراب عنصرٌ بسيط، (تعبير قديم) فقد أثبت العلم الحديث أنها مركبات لا عناصر.

(٢) أي تعود إلىٰ أصلها، فالطبيعة الكلية كانت قبل أن تصير أربعة. انظر شعر عمر بن الفارض ـ دراسة في فن الشعر الصوفي ـ مصدر سابق ص «١٢٤».

(٣) شطر من مخمسة للشاعر منتجب الدين العَاني، وتتمته: «نصَّ عليها آدمٌ ونوحُ»

(٤) في ب آخرين.

وتتـوحدُ الصفـات الإلهية الكـاملةُ في هذه الأكـوانِ من الذرَّة إلىٰ الجـرم [1] من الـطحـالبِ والجـراثيمِ الـدقيقة، من النجم [2] البسيط ودنيء [3] الحيـوانِ إلىٰ الضخمِ من الجبَال والأشجار، إلىٰ الإنسانِ سيّدِ الكائنات.وكـأن كلَّ ذي حيـاةٍ من أفراد ذلك المجموعِ هو مجـرَّدُ خليَّةٍ من خـلايا كـائنٍ واحدٍ حيٍّ هـو الكونُ السابع [4] (قدس المعرفة) وموقع كل صفـة الذي يُحقُّ اللَّهُ بـه الحقَّ ويُبطِلُ بـه الباطلَ. وهو الوجودُ في هويَّة الوجـود، وذلـك بما يلمحُـه عقلُ [5] العَـاقل دون الحس من أسبابٍ واضحةٍ معقولة،وعلل قريبةٍ تنظم وتشيِّءُ وتزنُ وتقيسُ وتنسق، ونتائجُها واضحة للمتأملِ، وواضحٌ أيضاً أنَّ هذه هي العواملُ الحقيقيـة المؤثرةُ في الكوائنِ الطبيعيةِ دون أن تندمجَ فيها، وإنْ كـانت تلابسهـا كمؤثرٍ في العللِ القـريبة. وممـا لا ريبَ فيه أَنَّ حضـرةَ الحق تباركَ وتعَـالىٰ منزَّهٌ كـلَّ التنزيـهِ عن الارتباطِ بشيء أو الاتصالِ المـماسِ به، ولـولا الصفةُ القـائمةُ [6] بـالذاتِ لمـا وُجِدَ شَيءٌ من الكائناتِ، ولا تحرَّكَ شيءٌ ولا كانت حياةٌ ولا موتٌ. . . وهذا ما عناهُ الشيخ [7] بقوله: «إنه العاملُ بكلِّ مادبَّ ودَرَجَ»، وقد عرَّفنا عالم الملكوت الأعلىٰ بأنه: عريٌّ عن الصـور والمواد، بـريءٌ من القوةِ والاستعـدادِ، أمَّا عـالمُ الملكوتِ الأسفـلِ «العالمُ الخيـالي» فعريٌّ عن الموادِ دون الصُّورِ،وعـالَمُ الكـونِ والفساد مقارِنٌ للمواد والصُّورِ والقوة والاستعدادِ، وفيهِ التقابـلُ والتضادُ، وقـد أنشـأهُ اللَّهُ من الهيولىٰ الأولىٰ التي هي ظـلُّ النفسِ الكليَّـةِ، وذلـك بـأنْ حـرّكَ

---

(١) الجرم: جمعه أجرام وجروم ومعناه: أحدُ الأجرامِ الفلكيَّةِ، كما تُطلَقُ كلمـةُ الجرمِ علىٰ الجسم من حيوانٍ أو غيره.

(٢) النجمُ: النباتُ الصغيرُ مما ليـسَ له سَاق.

(٣) دنيءُ الحيوان: المتدني في سُلَّم الارتقاءِ كالرخويات.

(٤) الكونُ السَابع: يرادُ به الحقيقة المحمدّية.

(٥) في «ا» للعقل.

(٦) يراد بها الحقيقة المحمدية.

(٧) هو الحسين بن حمدان الخصيبي، والقول من رسالته المخطوطة .

الهيولىٰ [1] طولاً وعرضاً وعمقاً فكان الجسمُ المطلَقُ، ثم خلَقَ من هذا الجسم السماواتِ والأرضين بصورِها وطبائعها، ثم أدارَ الأفلاك حولَ الأركانِ فاختلطَ بعضُها ببعضٍ [2] فكانت المولداتُ (الكائنات) من المعَادنِ والنبات.وكل ممكنٍ [3] (جسماً كان أم روحاً) فهو زوجٌ تركيبي [4] له عدمٌ من نفسهِ، ووجودٌ من ربِّه. تميز عدمُه بذلك الوجود وتخصص به.

الخلاصة

إنَّ نورَ الحقيقةِ الأحديَّةِ ينفذ في أقطارِ السمواتِ والأرضِ، فما من ذَرَّةٍ إلا وهذه الحقيقةُ محيطةٌ بها وظاهرةٌ فيها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة» [5]. وقال عليه السلام: «باين الأشياء بينونة صفة لا بينونة عزلة» [6]

ومثلُ هذا في كلامهِ كثيرٌ،وفي القرآنِ الكريم الكثيرُ من الآياتِ في هذا المعنىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿إنَّه بكل شيء محيط﴾[7]، ﴿وهو بكل شيء عليم﴾[8]، ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾[9]، ﴿كل يوم هو في شأن﴾، [10] فإحاطته [11] بالأشياء كعلمِه بها ليستْ كإحاطةِ شيءٍ بشيء،

---

(١) يقصد بها الطبيعة الكلية، والأبعَاد هنا أبعاد معنوية لا مادية.

(٢) سقطت من ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب تركيبين.

(٥) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده. الخطبة الأولى صفحة «١٦»

(٦) قرة العيون، الفيض الكاشاني ـ مصدر سابق ص «٣٤٥».

(٧) سورة فصلت آية «٥٤».

(٨) سورة البقرة آية «٢٩».

(٩) سورة الأنعام آية «٥٩»

(١٠) سورة الرحمن آية «٢٩»

(١١) سقطت من ب.

ولا قيامهُ بالأشياءِ كقيامِ شيءٍ بشيء. وإنما إحاطتُهُ إحاطةُ علمٍ وقدرةٍ، وقيوميتهُ قيوميةٌ صرفةٌ. وهكذا علمُهُ بالأشياءِ، فإنَّه سبحانه لا يعلمُ بعلمٍ غيره بل يعلمُ بذاتهِ، ولا يحيطُ بالأشياءِ بغيره بل بذاتهِ. وليس كما يزعمُ بعضهُم وإلاَّ لكانَ مركباً تقدستْ ذاتهُ وعلا عما يقولُ به المشركون. ومن المناسب في ختامِ هذا الباب أن أُوردَ خلاصةَ ما كان قد دار بيني وبين العلامة الجليل الشيخ محمد تقي الجعفري (إيران) فقد كتبت له أسأله عن المستقذرات لعلمي أنَّه قد أحاطَ بدراسةِ هذا الموضوع وأتقنَه، فتفضلَ بجوابٍ شافٍ بديع علىٰ أنَّ أروعَ ماراعني منه قولُهُ: «أُحب أن تُحَلَّ هذه المشكلة علىٰ طريقةِ اتصالِ الروحِ بالبدن، وذلك لأن البدن جميعَه يدارُ بالروحِ البسيطةِ بدون أن يتدنَّس بمدنس للبدن»[1] علىٰ أنَّ الأجملَ من ذلك والأوضحَ هو ما أورده صاحبُ الأسس حين تحدث عن وجود القدرةِ في المخلوقين إذ قال:

«إنَّ علمَه في المخلوقين وقدرتَه النازلةِ فيهم لن يضراه، فإن القدرةَ والعلم أخفىٰ من ظلمةِ الرحم ومن المواضعِ القذرة التي تُعاف وتستقذَرُ أسماؤُها، وإنَّما العلمُ والقدرةُ محيطان بها، بكلِّها، صغيرها وكبيرها، كذلك القدرةُ إذا نزلتْ بها فإنها كصفاتِها لم يضره شيء منها ولم ينقصهُ شيءٌ، وذلك لأنَّه لا يشاكلُها ولا يضادها،»[2] أما الشيخ[3] فبعدَ أنْ عدَّدَ ما للأكوانِ الستةِ[4] من الأفعالِ في الإنسان وغيرهِ قال: «وهذه الصفاتُ في كل ذي حركةٍ لحميّ دمويّ من البشرِ والطيرِ والبهائم والهوامِ والسباعِ، وكل ما دبَّ ودرجَ إلا العارفين، فإن فيهم هذا وفيهم من الكونِ السابع (قدس المعرفة) وليس هو في

---

(١) من رسالة للشيخ محمد الجعفري ـ سبق وأرسلها إلىٰ شيخنا العلامة فقد كانت بينهما مراسلات.

(٢) الأسس: مصدر سابق ـ مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٤٤٩.

(٣) الشيخ: هو الحسين بن حمدان الخصيبي والعبارة من رسالته المخطوطة.

(٤) الأكوانُ الستة: هي بالترتيب: الكون النوراني، والكون الجوهري، والكون الهوائي، والكون الناري، والكون المائي، والكون الترابي «الأظلة والذر» للتوسع انظر صحيفة الأبرار مصدر سابق مجلد ثاني ص «٣٦٧»

شيء سـواهم». وهكذا فـإن فيض اللّه سبحانَه ـ علىٰ مرِّ الـدهـورِ والأحقـاب في وجودِه ووجودِ كلِّ شيءٍ، من العقول والنفـوسِ والأفلاكِ والأركـانِ والمولـداتِ من المعـادن والنباتِ والحيـوانات والإنسان، علىٰ اختـلافِ الأصنافِ والأشكـالِ والصّورِ والصّفاتِ والأصوات في كلِّ آنٍ ـ لا ينقسمُ، وقد أجمعَ أُولو العلم من المـوحدين عـلىٰ أنَّ اللّهَ في كـلِّ مكـانٍ، وليس هـو في الشيءِ كـالشيء «ليس في الأشياءِ بوالـج ولا عنها بخـارج»(١). إن هذا كله يعـطي لموضـوع المستقذراتِ وضوحاً كاملاً، فقد كانَ لا بد من التصدي لموضوعِها، فهي موجـودةٌ ولو أَنِفْنـا من النظرِ إليها وترفعنا عن ملامستِها والاقترابِ منها. ذلك أنَّ المستقذراتِ النتنةَ مولدة الحشرات لا بدَّ من لفظِهـا الذي لـه جهتان: إطـلاقٌ وتقييد. أمـا تقييدُه فهو هذه الأشيـاءُ المذكـورة(٢) من مولـداتِ الحشراتِ والطحـالبِ وما أشبـه مما تعافُ النفسُ رؤيتَه لا بل سماعَ اسمه، أما إطلاقها ففي غايةِ الـوضوح، إنَّـه: مفاعيلُ العقول المظلمةِ والنفوسِ البشعة، ولو كانت جميلةَ المظهر وقورةَ الشكل مستندةً إلىٰ الشرعِ الشريف، بينما هي تحاربُه سراً وتتنكبُ عن طريقِ اللّهِ وهي حاميتُه تتظاهرُ بالنُّسكِ والزهدِ وتأتي في الخفاءِ ما استطاعتْ من المحرمات. أفلا تـرىٰ أَنَّ من أنكرِ المنكـرَاتِ وأبشعِ المستقـذراتِ الاستهزاءُ بـالعلماءِ! إنَّـك لـو وقفتَ أمامَ بؤرةٍ تفيضُ بالقذارةِ فإنَّ نفسَـك ستنقبضُ وتمتلىءُ أسىً وسـوف تنبو عينـاك عن رؤيتِها وينفر أنفُك من رائحتِهـا، ولكن أرجو أن تقـولَ لي: مـا هـو موقفُك لو رأيتَ إلىٰ جانبِها شرعاً يهانُ أو ضعيفاً يضطهدُ، أو حُرُمَاتٍ تُستباحُ أو عوراتٍ تُهتَكُ؟ فأيهما تراه أشد قذارةً واستهجاناً؟. إنَّ مما لاريبَ فيه أنَّ احتقارَ العلماءِ سيثـيرُ اشمئـزازَك أكـثر من رؤيـةِ بؤ رةِ القـاذوراتِ، ذلـك لأنَّ إزالـةَ القاذوراتِ الماديَّةِ أمرٌ يسهلُ حصولهُ، فقد تجـرفُها السيـولُ أو تزيلُهـا الأيدي أو

---

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده ـ مصدر سابق ج٢ ص «١٢٢»

(٢) للتوسع انظر شعر عمر بن الفارض ـ دراسة في فن الشعر الصوفي ـ مصدر سابق ص «١٨٧»

تطهرُها المضحخاتُ، اما الأعمال القذرةُ فلا تزولُ بهذه السهولةِ، ومع هذا وذاك فإنَّ المستقذارتِ (وإنْ كانَ اللهُ سبحانَه محيطاً بها ومدبراً لها) لا يلحقهُ شيءٌ من نقائصِها ولا من نقائصِ كلُّ محدثٍ ظهرَ كمالهُ بها كما ظهرَ بتلك النقائصِ فارتفع حكم النقصِ عنها فكانتْ كاملةً باستنادِها إليهِ ولا يكونُ الكاملُ إلا ما هو كاملٌ، وفي هذا المعنى قال الشاعر: [1]

فكلُ قبيحٍ إن نسبْتَ لفعلهِ | أتتْكَ معاني الحسنِ فيه تسارعُ
يكملُ نقصانَ القبيحِ جمالُهُ | فما ثَمَّ نقصانٌ ولا ثَمَّ واضعُ [2]
ويرفع مقدارَ الوضيعِ جلالُه | إذا لاحَ فيه فهو للوضعِ رافعُ

وقد ذكر الشيخ [3] في رسالته: «إن هذه المستقذرات هي مراجعُ أبدان الكافرين»، فتأمل ما أبدعَ هذا القول، وما أحلاه، وما أجمله !!..

---

(١) الشاعر هو الشيخ عبد الكريمِ الجيلي وتعرفُ قصيدته بالعينية، وقد أوردَ العارف بالله الصوفي الجليلِ أحمد بن محمد عجيبة الحسني في كتابه إيقاظ الهمم في شرح الحكم والفتوحاتِ الإلهية في شرح المباحثِ الأصلية، أبياتاً عدة من هذه القصيدة، وذلك في صفحات متفرقة من كتابه المذكور، وذكر في صفحة «٤٨» من الجزء الأول البيتين الأول والثاني فقط ـ انظر إيقاظ الهمم في شرح الحكم ـ مصدر سابق ج١ ـ الصفحات ٤٠و ٥١و ١٤٣و ١٤٤و ١٥٤و ١٦٤و ١٦٧ـ وج ٢ الصفحات ـ ١٧و ٢٢و ٢٣و ١٥٤و ١٦٩ـ.

(٢) في إيقاظ الهمم ص «٤٨» باشعُ.

(٣) الشيخ هو الحسين بن حمدان الخصيبي، سبق الحديث عنه.

الباب التاسع

الصدق والكذب



إنّ الذي دعاني لإفرادِ بابٍ خاصٍ بالصدقِ والكذبِ هو ما للكـذب من الصَّولةِ الأصليةِ وكيفَ استطاعَ أن يلبسَ في عصرنا ـ كما في كلِّ العصورِ ـ ثوبَ الصدقِ النقيّ وأن يتظاهرَ بكل إخلاصٍ في توحيدِ اللّه وفي غيره، وكيف يـتربعُ بالدست[١] يأمرُ وينهى ويتـلاعبُ كما يشـاءُ. لقد عـبَّروا عن الصّدقِ وهـو تعبيرٌ صادقٌ وجميلٌ بأنَّه عبارةٌ عن مطابقةِ ما في الـذهن لما في الخارج، وقيلَ هـو عبارة عن تواطؤ المرءِ بالضمير واللسان الذي هو الآلة المعـبرة عما في الضمـير وما يخـبر عنه وبه حتىٰ لا يصير أمراً واجباً في ضميره مسلوباً بلسانه ولا مسلوباً بضميره[٢] واجباً بلسانه فيزيـلُ بذلـك الأمورَ عن حقـائقِها أو يبـطلُ به أحكـاماً يكـون به تعلقُها، وهذه النـظرةُ علىٰ روعِتهـا تتعلقُ بصدقِ الألفـاظ بالتـواطؤ مع الضمـيرِ فقط، ولكن الذين عرفوا مجاليَ الصدقِ والكذبِ ومـا لهما من التحكمِ بـالعقول والأخلاق قالـوا: إنّ الصّدقَ والكـذبَ كالحقِ والبـاطلِ كـما يجريـانِ في الأقوال يجـريان بـالأفعالِ والأخلاق، فكما أن الصـدقَ إخبارٌ عن مـطابقةِ نسبتـهِ للواقع والكذب إخبارٌ بعدمه، كذلك فعل الإنسان باعتبار نسبته إلىٰ صورتـه ينبىءُ أنَّه صـادرٌ عن إنسانيتِـه وراجع إلىٰ إستكـمال الإنسانيـة، فالفعـل صدقٌ والفـاعـل صادقٌ، وإذا لم يكن صادراً عن الإنسانية بل عن السبعية[٣] وغيرها كـان الفعلُ كذباً وفاعلُه كاذباً، وهكذا الحَال في الأفعَالِ والأخلاق والأحوال والعلوم. فـإن كانت عن الإنسانيةِ لاستكمالها كانت صادقةً وإلاّ فهي كاذبةٌ، والمعتبر عند أهـل الصدق والكذب من الأقوال والعلوم، اعتبار المبدأ والمرجـع دون الواقـع فقط.

(١) الدست كلمة فارسية تعني سدة الأمر.

(٢) في ب بالضمير.

(٣) هي النفس البهيمية الغضبية وقد وردت في «ب» التبعية.

والإنسانُ ذو مراتبَ، ولكـل مرتبـةٍ درجَاتٌ. فـإذا كانَ في درجـة النفس الأمَّارةُ بالسوء[1] فكلُّ ما يصدُر عنه كذبٌ، وإذا ترقىٰ عن اللوامَةِ كان مـا يصدرُ عنـه صدقاً، ولكنني رأيتُ أنَّ أعلىٰ مظاهر الكذب وأضرَّها هو تسخيرُ بعضِهم صادقَ الألفاظِ لمآربِه وقضاءِ حاجاتِه، إذ يستعملُ معها ضخامةَ النبرةِ في حـينٍ، ورقتَها في حينٍ آخر. . . كل نبرة حين لزومها ـ تتبعُها الإيماءةُ الآثمة والإشارة المغرضـةُ والنظرة المستعطفة، فإنْ أرادَها حاميةَ الوطيسِ محددةَ الأضراسِ أكالةً ضروساً، حرَّكَها بـالهدوءِ[2] الـوثَّابِ والـتراخي الجيَّاشِ، تحت صـادق الألفاظ السـاحرة المحملَة بـالمعَاني المشينةِ، وألقىٰ عليهـا من هشيمِ تقـواه ومَـرَخِ زهـدِه وزنـادِ هداه، فهبَّتْ ناراً محتدةَ الأوارِ شديدةَ التأجُجِ، أكلُها الأخـلاقُ التقيةُ والمنـاهجُ الرشيدةُ. وإن أرادَها مطواعـةَ المأخـذِ لينَةَ المـرادِ ناعمـةَ الملمسِ، قذفَ بهـا في لهـواتِ الإيمان فـألبسها حلَل النـورِ وجـلا بيبَ الهـدىٰ، وأضفىٰ عليها مـزركشَ الغفرانِ وأرديةَ العفو الواسعِ، وأحاطَها بلفيفٍ من الكراماتِ. وكل ذلك بقيادةِ الأسلوبِ الأخاذِ، وأصدقُ الكذبِ حملةً ما يكتنفُه الريـاءُ بحنوهِ، وينشئـه تحتَ ظلِّه فيترعرعُ بين الإكبارِ والإعجاب رافعَ الرأس عاليَ الجبين، لأنَّه وليدُ التقوىٰ ربيبُ الإيمـانِ. . . وإن لم أكن واهماً، فقـد رأيتُ كثيـراً من رجـالِ الـدّينِ قـد ألفـوا[3] الأفانـينَ من أنواعِ الصّـدقِ المجرمِ وأشكـالِ هذا الـرّياءِ الخـدوعِ، فقلَّدوا بهـا وأجادوا التقليـدَ، ولم يعلم واحدُهم إلاّ أنَّـه الدِّينَ المصفىٰ من كـل

---

(١) النفوس ثلاثة أقسام: نفوس متيقظةَ من ذاتِها مقبلة علىٰ بارئها بالفطرةِ معرضة عما سواه وتسمىٰ (مطمئنَّة). ونفوس أعَرضتْ بالكلية عن الحقِّ تعالىٰ وغلبَ عليها حبُّ المحسوساتِ وشهواتُ الأجسامِ وأنكرتِ اللذاتِ الروحانيةَ والمداركَ العقلية وتسمىٰ: (الأمارة بالسوءِ). ونفوسٌ أقبلت علىٰ حبِّ المحسوساتِ إقبالاً متوسطاً وهذه النفوسُ لها نظران: أحدُهما إلىٰ الجانبِ الأعلىٰ بقدر ما فيها من اليقظةِ والفطنةِ والثاني إلىٰ الجنبةِ السفلىٰ بقدر ميلها إلىٰ حبِ الشهواتِ الطبيعية وتسمىٰ (اللوامة) وأصحابُ هذه المرتبةِ هم الذين وُضعَتْ لهم مراتبُ السلوك ولهم أُنزِلَتِ الكتبُ السماوية وإليهم بُعِثَتِ الرّسلُ. «اللجنة».

(٢) في ب بالهواء.

(٣) في ب ألف.

شائبةٍ، وإذا تدبرتَ ملياً وجدتَ أنَّ الشكَ أكثر ما يطالعُـك من مخادعِ اليقـينِ، وأنَّ تحتَ مظاهرِ التـوحيدِ تكمنُ فـاتناتُ الشّـركِ وغواني الإلحـادِ، ومن مطاوي الـوحدةِ وتـأثيراتِهـا تنبعُ ينابيعُ الكثـرةِ، ويلقاكَ الجهـلُ الفاتـكُ في أثوابِ العلمِ الإلهيّ، لأنَّ كلَّ علمٍ من أنواع العلوم مهـما بلغ ـ إنْ لم تكن غـايتُـه الأخـلاق ـ كان جهلاً لأنه يعملُ علىٰ تحطيمِ الإنسانية.وكلّ ما أدىٰ إلىٰ مكارمِ الأخلاق من كلِ الأفاعيل ولو كان صاحبُـه أمياً كـان علماً وصراطاً مستقيـماً، «شيعتُنا العلماءُ وغيرُهم الهمجُ الرعاعُ»[1] والعلمُ الذي هو عينُ الجهلِ، كلما ازداد زاد صـاحبه في الأنـانيةِ والعجـرفةِ وحبِّ الـدنيا ولكنـه: لن يخـرقَ الأرض ولن يبلغ الجبَـال طولاً [2].وعلامةُ العلمِ الذي هـو العلمُ حقاً أنّـه كلَّما ازدادَ أنقصَ من الأنانيـةِ حتىٰ يفنيها بالكليَّةِ لأن العلَم مقرونٌ بالعملِ بمقتضاه. وحظُّ هذا الجهل المشابهِ للعلِم من الأغبياءِ عظيمٌ،لجهلِهم أنَّه جهلٌ.ولعل لكلّ من هذين العلمينِ تعلُّقـاً بالمحكَمِ والمتشابِـهِ[3] لأنَّها عامَّـان بأحكـامِها.فـالمحكَمُ هو الـذي يكون مُحكَم التعلقِ بحيث لا يزولُ عمَّن تعلقَ به ولا يخـرجُ من متعلقِ أحد، والمتشـابهُ هـو الذي يكون متشابِهَ التعلقِ، بمعنىٰ أنَّ متعلقَـه يشبه متعلَق الآيـة الأخرىٰ، ولهـما درجٌ كثيرةٌ ومراتبُ كثيرةٌ، والابتداءُ والغايةُ والأصـول والنهايـة أنّ الولايـة عليها يستديرُ المحكمُ،وكلُّ شيءٍ غيرها مَتشابـهٌ، ولولا المتشابـه لَحِفظَهُ الأطفال والبناتُ.

(١) لم نعثر علىٰ هذا القول بلفظه وإنما وجدنا نصوصاً بمعنـاه، ففي حديث مـرفوع عن أبي عبـد الله عليه السلام قال: «يغدو الناس علىٰ ثلاثة أصناف: عالم ومتعلم وغثـاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غثاء». انظر الأصول من الكافي مصدر سابق ج١ ص ٣٤.

(٢) إشارة إلىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجَبال طولاً﴾ سورة الإسراء آية «٣٧».

(٣) المحكمُ هو ما عرِفُ تأويلُه وفهِمَ معناهُ وتفسيرُه، وأمَّا المتشابهُ فهو مـا احتمل وجهـين أو وجوهـاً من المعنىٰ دونَ وجودِ ما يعيِّنُ واحداً منهـا تَعيِيناً ظـاهراً أو قـاطعاً. انـظر روائع القـرآن ـ تأليف الدكتور محمد سعيد البوطي ـ مكتبة الفارابي طبعة خامسة ١٣٩٧ هـ صفحة «١٠٥».
المحكم كقوله تعالىٰ: ﴿ليسَ كمثلِه شيء﴾الشورىٰ آيـة «١١» والمتشابـه كقولـه تعالىٰ: ﴿يـد اللّه فوق أيديهم﴾سورة الفتح آية «١٠» «اللجنة».

الباب العَاشر

كتاب اللّٰه



إنّ كتابَ اللَّهِ سبحانَه كتابان: كتابٌ تكوينيٌّ، وكتابٌ تدويني: فالكتـابُ التكـويني[1] كلُّ مـا تراهُ العـينُ ويثبتُـه العقـلُ، وأحسنُ الكتبِ المؤديـةِ إلىٰ اللَّهِ والمعبرةِ عنه هو هذا الكتابُ، لأنَّه يعبرُ عن الحقيقةِ ورموزِها ومعانيها تعبيراً جلياً جلاء الشمسِ لفريق، وخفياً خفاءِ العلمِ على الجَاهـلِ لفريقٍ آخـر. والكتابُ التدوينيّ هو كلامُ اللَّه سبحانَه، والكلامُ نحو ظهورٍ للمتكلمِ بشأنٍ من شؤونِه، وإنْ كانَ البشريُّ عاجزاً عن سمَاعِ كلام الجنِّ والملائكةِ فهـو عن سَماع كـلامِ اللَّه أعجزُ، فلو ظهر لنا كلامُ اللَّه سبحانه في مقَام إطلاقِه، لما قامَ له شيءٌ ولهذا أنزله سبحانَه رحمةً منه، كما أنزلَ صفاتِه وأسماءَه عن مراتبِ الإطلاقِ إلىٰ مراتبِ التَّعيُناتِ رتبـةً رتبـةً، إلىٰ أنْ وصلَ إلينـا للمشاكلةِ بلبـاسِ الحـروفِ والأصـواتِ والعَبـارة، فعلىٰ هـذا يكونُ القـرآنُ بنقوشِـه وأحكامِـه ظهوراً للحقِ بـأسمـائِـه وصفاتِه رأفةً بعباده،وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقولِـه: «اللَّهم إني أشهـدُ أنَّك تجليت [في كتـابِـك][2] من غـير أن يكـونـوا رأوك [3]». ولـما كـانَ الإنسان مجموعَ العالمين وفيه انطوتْ جميـعُ مراتبِ الـوجود بـالقوة، وهـو تعليمُه الأسماء كلَّها، لأنَّ مراتبه مجتمعُ الصفاتِ الـرحمانيـةِ والشيطانيـة وما بينهـما، فإذا كانَ مسخراً للشيطان بسائر مراتبِ الشيطنة، وكان لسانُـه ويدُه وسمعـه وبصرُه

(١) يقول التجيبي الحرالي: «الحيواناتُ حروفُ اللَّه المتحركةِ والجمَاداتُ حروفه الساكنةُ وكـلّ كلامِـه لعبَادِه وذكرِه كما قال: ﴿الذين كانت أعينُهم في غطاءٍ عن ذكري﴾سـورة الكهف آية «١٠١» من مجموعة خطية لهذا الصوفي وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٣٩٨.

(٢) [في كتابك] سقطت من ب.

(٣) من الخطبة «١٤٥» التي أولهـا: «فبعث محمداً صـلى الله عليه وآلـه وسلم بالحق ـ انـظر تصنيف نهج البـلاغة، لبيب وجيـه بيضون ـ منشـورات أسامه كرم ـ دمشق ١٩٧٨م ـ ١٣٩٨هـ ـ ط١ ص «٢٦».

آلاتٍ للشيطان، وكانت قراءته بلسانِ الشيطان، كان مظهراً للشيطان. وبأمثالِهِ قال سبحانه: ﴿يلوونَ ألسنتَهم بالكتابِ لتحسبوه من الكتاب[1]﴾ وقوله: ﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله[2]﴾ يعني أنَّ شرحَه لا يصدق إلا بمن عندَه خبرةٌ بمبادىء الأفعال فيكونُ عندها مكتوباً بيدٍ مسخرةٍ لله وإلَّا كان مكتوباً بيدٍ مسخرةٍ للشيطانِ، ولو كان القارىءُ متوسطاً بين الرحمن والشيطان كانت كتابتُه وقراءته بحسب توسطه، وصاحبُ هذه الرتبة عناؤه طويلٌ لأنَّه دائماً بين قوتين متنازعتين:شيطانية ورحمانية، كرجل فيه شركاءُ متشاكسون، وفي حقِّ أمثالِه نزلَ: ﴿يقاتلون في سبيلِ اللَّه فيقتلون ويقتلون[3]﴾ولما كان الكتاب مجموع كلماتٍ كانت الأكوانُ كلُّها كلام الله وكتبه، فكلُّ شيءٍ يجوزُ أنْ يكونَ حرفاً، ويجوز أنْ يكونَ كلمةً، ويجوز أنْ يكونَ آيةً، غير أنَّها كلَّها تختلفُ عن بعضِها قوةً وضعفاً في الدلالةِ علىٰ معلولِها عند المستعلمين،لا في الحقيقة، فالعوالمُ التي هي كتابٌ كَتَبَهُ اللَّهُ بيدِ قدرتِه، وما قرأ أحدٌ شيئاً علىٰ وجهِه إلا وتوصلَ به إلىٰ سرِ أحديتِه، بل هذه هي حقيقةُ الكتابةِ. فلو أخذتَ الحدَّ من الشفرةِ وفلقتَ الهباءَ والذرَّة لوجدتَ فيهما كنزاً خطيراً وملكاً كبيراً، وظهرت فيها كنوزُ اللطائفِ وشموسُ المعارف، فالعقولُ بأجمعها والنفوسُ بكلِّها وكلُّ ما يرىٰ من الوجود وما لا يرىٰ من كلِّ ممكنٍ مصنوعٍ،وكلّ واجبٍ مُخْتَرَعٍ من كلِّ الأفلاكِ والأملاك والجمَادِ والحيوانِ والإنسِ والجان إلىٰ مالا يتناهىٰ من مصنوعاتِه سبحانه، كل شيءٍ من هذا آيةٌ من آياتهِ أو كلمةٌ من كلماتِه أو حرفٌ من حروفِه، وكلُّه ينبىءُ عن اسمٍ من أسمائه وصفةٍ من صفاته، وكلُّه فيضُه المتسلسلُ الذي لا ينقطعُ وجودُه ولا ينتهي أبداً﴿لو كانَ

(١) سورة آل عمران آية «٧٨».

(٢) سورة البقرة آية «٧٩»

(٣) سورة التوبة آية «١١١»

البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا[1]﴾.

ـ﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحرٍ ما نفدت كلمات الله[2]﴾

أشرقتْ منكَ لمحةٌ نشأَ العالَمُ　　منها وكُوِّنَ التكوينُ
فجميعُ الأكوانِ ما هنَّ مهما　　كُنَّ إلا كتابُك المستبينُ[3]

أنشأ الله من مكنونِ غيبِهِ جوهراً قدسياً في غايةِ النورِ والسناءِ، ثم أنشأ بتوسطِه «لا استعانةً به» جواهرَ لها من الشرفِ والكمالِ حسبَ ترتيبها التكوينيّ، ثم بواسطتها كوَّنَ موجوداتٍ نفسانيةً طرفُها الأعلى متعلقٌ بالنفوس الفعالةِ والأدنىٰ يرتبطُ بالأجرامِ الطبيعيةِ وما فيها من العناصرِ والمركباتِ بواسطةِ تلك الكلمةِ المسماة تارةً بالعقل وطوراً بالقلمِ وأخرىٰ بعالَمِ الأمرِ. وبمفاتيحِ غيبِه وبكلماتِه التامات[4] اخترعَ الله سبحانَه الجوهرَ الأولَ من ذاتِه علىٰ غير مثالٍ سابقٍ،فكانَ منه كالظِّل مِنَ الشاخص فهو ظلُّ الله، والظلُّ يمثل الشاخصَ في حركاتِه وسكناته فهو المتحركُ والشاخصُ المحركُ. وهذا التعبيرُ عن الاسم العظيم[5] بأنه ظلُّ الله يبينُ لنا أنَّه صفاتُ اللَّهِ جميعها علىٰ تعددِ أنواعها، وبهذا كانَ لا فرقَ بينه وبين ربِّه إلا أنَّ هذا عبدٌ وهذا رب، لأنَّ صفاتِ اللَّه هي الفاعلةُ بجميعِ المكونات فهي صفةُ اللَّه العامةِ، واسمُ الله العظيمِ وإرادةُ اللَّه وقدرةُ الله وعلمُ اللَّهِ وفعلُ اللَّه، وهي كلُّ شيءٍ أُضيفَ إلىٰ اللَّهِ مثل الحمدُ للَّه

(١) سورة الكهف آية «١٠٩».
(٢) سورة لقمان آية «٣٧».
(٣) أورد الشيخُ محمد الحسين آل كاشف الغطاءِ هذين البيتين في كتابِه الدينُ والإسلامُ ولم يذكرْ من هو قائلُهما ويرجِّحُ أنَّهما له ـ انظر الدين والإسلام ج ١ ـ مصدر سابق ص ٢٢٩ .
(٤) للتوسع في فهم القلم والعقل وعالم الأمر ـ انظر الدين والإسلام ج ١ مصدر سابق ص «١٨١»
(٥) يراد به حقيقة السيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ولله الملكُ ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض[1]﴾. ﴿ولله المثل الأعلىٰ[2]﴾. ﴿بل لله الأمر جميعاً[3]﴾ وهكذا، وبالجملةِ هو الوجودُ بهويَّةِ الوجود، وعندما أوجدَ الله سبحانَه هذا الاسمَ العظيمَ أوجدَ فيه بالقوةِ جميعَ ما يكونُ إلىٰ ما لا نهايةٍ، وعندما أوجدَ عنه النفسَ الكليَّةَ أفاضَ عليها بالفعلِ جميعَ ما كان بهذا الجوهرِ بالقوة، وهذا الجوهرُ هو قلمُ الله الذي كتبَ به الكائناتِ في اللَّوحِ المحفوظِ - وهو النفسُ الكليّةُ - ثم من اللوحِ المحفوظ تنتشر في النفوسِ الجزئية القوىٰ الجزئيةُ المحركةُ الفَعَّالةُ مطابقةً لما يظهر في المَادة الخارجيةِ، وهي ألواحُ قدرتِه وفيها المحو والإثباتُ[4] وعالَمُها عالَمُ الخيالِ والمِثال كالصورِ التي ترتسمُ في ألواحِ خيالاتِنَا ثم تزولُ بخلاف ما باللوحِ المحفوظِ، وهذه الكتابةُ باللوحِ المحفوظ وبألواحِ القضاءِ والقدر يصحُّ أنْ تكونَ كتابةً تكوينيةً وهي نفسُها معَاني التكوينِ المجزأة فيكونان كتابين: كتابٌ تكوينيٌّ وكتابٌ تدوينيٌّ وكلا الكتابين واحدٌ، كتابٌ مبين ﴿ولا رطبٌ ولا يابِسٌ إلا في كتابٍ مبين[5]﴾. ﴿وكلُّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبين[6]﴾ ومما تقدمَ يُعرَفُ أنَّ قلمَ الله سبحانَهُ ليس آلة جمادية وليس لوحةَ صفحة ملموسة، فكما أنَّ ذاتَه سبحانَه لا تشبهُها الذواتُ.. وصفاتُه لا تشبهُ

---

(١) سورة البقرة آية «٢٨٤».

(٢) سورة النحل آية «٦٠»

(٣) سورة الرعد آية «٣١»

(٤) المحو والإثباتُ من ثنائياتِ السلوك الصوفي كالفناء والبقاءِ فعندما يذهبُ المحوُ العبدَ عن نفسِه يثبتُه عند ربِّه قال تعالىٰ: ﴿يمحو اللهُ ما يشاءُ ويثبت و عندَهُ أمُّ الكتاب﴾ سورة الرعد آية «٣٩» ويقول الطوسي في اللمع ص «٤٣١» المحو ذهابُ الشيءِ إذا لم يبقَ له أثرٌ وإذا بقيَ له أثرٌ يكون طمساً، وقيلَ المحوُ انسلاخُ العارفِ عن كل وجودٍ غير وجودِ الحقِّ والإثباتُ تصفيةُ السرِّ عن كدوراتِ الإنسانية وقيلَ يمحو عن قلوبِ العارفين ذكرَ غيره ويثبتُ علىٰ ألسنةِ المريدين ذكره والمحق فوق المحو لأنَّ المحو يبقىٰ معه أثرٌ بخلافِ المحق - انظر المعجم الصوفي - مصدر سابق ص ١٠١٦ - ١٠١٧.

(٥) الأنعام آية «٥٩»

(٦) سورة يس آية «١٢».

الصفاتِ، كذلك قلمُه ولوحُه وكتابتُه، ولكنَّها هناك كما هنا كل بما يناسبُه فهذهِ ظلُّ تلكَ، فهل الكتابةُ إلا تصويرُ المرادِ بحروفٍ وكلماتٍ؟ وهل القابلُ لرسمِ تلك المراداتِ إلا ألواحٌ،وهل الأقلامُ إلا الملائكةُ الكاتبونَ وهم ـ ولا بدَّ ـ ظلُّ القلمِ الإلهيّ الذي هو اسمُ الله الأعظمِ، والألواحُ التي تكتبُ بها الأقلامُ الملائكة ظلّ اللوحِ المحفوظِ، فكلُّ رتبةٍ قَلَمٌ تكتبُ بلوحِ المرتبةِ جميعَ المكوناتِ التي تكونُ بعدها، كما في قصصِ الصورِ والظلالِ والعكوسِ والأضواءِ، ولهذا كلُّ شخصٍ بكل رتبةٍ يعرفُ كلَّ ما دونه، لأنه القلمُ الذي كتبَ به الله ما دونه، وهذه الألواحُ التي يكتبُ بها ما دونَها ظلالُ اللوحِ المحفوظِ الذي كتبَ به الله التكوينَ بأجمعِه، والكلُّ ظلُّ «كن» كلمة الله التي[1] كوَّنَ الله بها كلَّ شيءٍ، وكلُّ واحدٍ من هذه الألواحِ كتابٌ مسطورٌ في رقٍ منشورٍ. في كتاب (صحيفةِ الأبرار بشرح ما أتىٰ من الأخبار) عن الكتاب المسمىٰ طوراً بالجفر الأحمر[2]، وطوراً بالجفر الأبيض[3] ومرة مصحف فاطمة[4]: وقد جعلَ الله آلَ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم خُزَّانَ تلك الكتبِ وحفظتها، فإذا أرادُوا الإخبارَ عن شيءٍ قالوا في الجفرِ الأحمرِ وفي الجَامعة[5] وربما أظهروا بعضَ

---

(١) في ب الذي.

(٢) الجفر: من أولاد الماعزِ هو ما بلغَ أربعةَ أشهرٍ حتىٰ انفصلَ عن أمه ـ والجفر الأحمر وعاءٌ من أَدَمٍ أحمرَ فيه علمُ النبيينَ والوصيين.
انظر صحيفة الأبرار المجلد الأول ـ مصدر سابق ص ٢٢٧ وانظر الأصول من الكافي المجلد الأول ـ مصدر سابق ص ٢٤٠.

(٣) الجفر الأبيض فيه زبورُ داودَ وتوراةُ موسىٰ وإنجيلُ عيسىٰ وصحفُ إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام. انظر الأصول من الكافي ـ المجلد الأول ـ مصدر سابق ص «٢٤٠».

(٤) مصحف فاطمة: هو مصحف فيه مثل القرآن ثلاث مرات.
انظر صحيفة الأبرار ـ المجلد الأول ـ مصدر سابق من ص «٢٢٧ - ٢٢٩».

(٥) الجَامعة: فيما يروىٰ صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإملائه مِنْ فَلقِ فيهِ وخطِّ عَلِيّ بيمينه فيها كلُّ حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتىٰ الأرش في الخدش ـ الأرش: الدية.
=

الكتبِ الكونيةِ بصورةِ الكتابِ التدويني،من بابِ ظهورِ جبرائيل في صورةِ البشر مع عدمِ خروجه من صورتِه الأصلية، فالشيءُ الواحدُ له مراتبُ ومقاماتٌ يظهرُ في كلٍّ منها بلباس ذلك المقَام والمرتبةِ. يوجد الواحِدُ في عالَمِ التعقلاتِ بكسوةِ المعاني، وفي عالمِ النفوسِ بكسوةِ الصورِ النفسانيةِ، وفي عالَمِ القوىٰ الباطنةِ بكسوةِ الصُّورِ الكليَّةِ، وفي عالَمِ المظاهِرِ بكسوةِ الأجسامِ والجسمانياتِ، وهو حقيقةٌ واحدةٌ في حدِّ نفسِه، وكذا الحالُ في تلكَ الكتبِ المذكورةِ، فإنَّ كونَها مع صورةِ الأعيان لا ينافي كونَها في صورةِ الألفاظ والنقوشِ، وبالجملةِ كلياتُ العالمِ كتبٌ جامعةٌ مملوءَةٌ علماً، والأئمةُ حفظتُها يخبرون عنها كما شاؤوا[1]» وما الوجودُ في الحقيقة إلا حقيقة واحدة لها باطن معقول خفي، وهي سر الله الساري بها، وظاهر ملموسٌ يتنوع بالقوة العاملةِ به، ظهر بقدرته وبطنَ بحكمتِه، أو ظهرَ بحكمته وبطن بقدرته وكلاهما البطونُ والظهور، وهذه القوةُ العَاملةُ أسمىٰ من أن يماثلَها شيءٌ من سَائِرِ الأشياء في سائرِ الموجودات، سبق وجودُها كلَّ شيءٍ وانتهىٰ إليها كلُّ شيءٍ.

الباب الحادي عشر

الأيام

وممَّا أوجبَ وجودَ الحيرة عندَ أكثرِ الناس اكتشافُ كثيرٍ من الكواكبِ المتناثرةِ في هذا الفضاءِ اللامتناهي، وهذا لم يكنْ غريباً على العلمِ القديمِ، غير أنَّه كان غريباً وجديداً علىٰ من لم يعلمْ من العلمِ شيئاً، أو كان يرىٰ أنَّ مثلَ تعدادِ هذه الكواكبِ لها تأويلٌ فهو لا يفهمُ غيرَ التأويلِ، علىٰ أن كثرةَ الأفلاكِ وكثرةَ كواكبِها مما هو متفقٌ عليه بين العلمين، القديمِ والحديثِ، لكنَّ العلمَ الحديث يتردَّدُ في إقرارِ وجودِ كواكب مأهولةٍ، أما العلمُ القديمُ المنقولُ عن المعصومين فيجزم أن الكواكب المسكونة لا يبلغها العددُ بالغاً ما بلغَ، وكلُّهم يرسلُ الله لهم رسلاً مبشرينَ ومنذرين. ومنهم الأرفعُ والأعلىٰ علماً وخلقاً، ومنهم الأدنىٰ والأسفل علماً وخلقاً،ولا يخالجني ريبٌ أنَّ الصحونَ الطائرة ستحقق هذا إن لم يُبْتَلَ العالَمُ بمفاجآتٍ علميةٍ تكونُ بها النهايةُ أو كالنهاية. فأيامُ كوكبنا هذا في دورتِه حول شمسِنا هذه، تجرُّ الليلَ وراءها وتسوقُ النهارَ أمامها: نموذجٌ[1] عن الأكوانِ التي[2] وراء كوكبِنا والتي لا ترتقي إليها أساليب نظريةٌ ولا يحصيها عدّ ولا تنالُها النهايةُ، فكيف التناهي وذاكَ لأنَّ القوىٰ الفَاعلةَ بالأشياءِ والتي بها قيام الأشياءِ، مصدرُها القوةُ المبتدعةُ اللانهائيةُ، وهي علَّتُها الأولىٰ، ولو تناهتْ حاقَ بها الفناءُ.والأشياءُ كلُّ الأشياءِ منها ـ من صغيرِها وكبيرِها ـ ذو بدايةٍ وكلُّ ذي بدايةٍ فهو ذو نهاية. ولكنَّ هذه النهايات غير متناهيةٍ بجهةٍ من الجهات لا بالدثور والتجدد، ولا بالبطونِ والظهور، ولا بالتحولِ من صورة إلىٰ أخرىٰ

---

(١) في (ا و ب) كلمة غير واضحة المعنىٰ استبدلتها اللجنة بكلمة «نموذج».

(٢) في ا و ب الذي.

ولا ولا . . . ولو كانت هذه النهاياتُ متناهية لكانتْ غير موجودة، وانتهىٰ الكون والتكوين، فهذه النهايات غير متناهية، والعلةُ الأولىٰ الساريةُ بها لا نهايةَ لها مع متناهٍ بنفسه متجددٍ بعلتِه الأولىٰ التي هي اللا نهايةُ، فالموجوداتُ لا باقيةٌ ولا فانيةٌ، لا باقيةٌ بذاتِها لذاتِها ولا فانيةٌ، بل باقيةٌ ببقاءِ مبقيها، وفي هذا المعنى يقول الأمير[١]:

فناؤُنا مع ثبوتِ واهبنا   يقضي بعودِ الجوَّاد في هبتِه
وذاك بخلٌ وجلَّ خالقُنا   من أنْ يكونَ الإكداءُ من صفتِه

ولأنَّ الأشياءَ جميعها ذواتُ نهاياتٍ غير متناهيةٍ، والعلةُ الأولىٰ فوقَ اللانهايةِ أيضاً، نقدرُ أن نقولَ ـ وصحَّ لنا أن نقولَ ـ إنّ الجوهَر الأولَ الكائنَ عن اللَّه هو اللانهايةُ، كما أنَّه هو كلُّ صفاتِ اللَّه سبحانَه، أي به كانت النهاياتُ المحددةُ التي لا نهايةَ لها، والذي أوجده هو فوق اللانهايةِ. لقد أُخِذْنا بهذا الموضوع، واستطردنا قليلاً، لكن بما لا يخرجُ عن كونِه مناسباً، فلْنعُدْ إلىٰ ما كنَّا فيه: إنَّ الأيامَ كغيرها من جميعِ الأشياء لها أصولٌ وحقائقُ في عالَمِ الغيبِ، ولها تنزُّلاتٌ في الإيجادِ والتكوين، إلىٰ أنْ كانتْ كما هي عندنا، وربما كانَ لها تنزلاتٌ أبعدُ مما عندنا، فأيامُنا هذه زمانيةٌ يتأتىٰ وجودُها من دورةِ كوكبِنا كما تقدم. ولِلَّه سبحانَه أيامٌ، قال تعالىٰ: ﴿وذكِّرهم بأيام اللَّه﴾[٢]وأيامُه (سبحانَه) محيطةٌ بالأيَامِ الزمانيةِ، ومقاديرُ الأيَامِ للَّه متفاوتةٌ بحسب تفاوتِ مراتبِ فعلِه، فقد تقدَّرُ بألفِ[٣] سنةٍ، وبخمسين ألف سنة وبأكثرَ كما ورد، فهذه الأيامُ،

---

(١) الأمير هو المكزون السنجاري ـ سبق الحديث عنه والبيتان لهما ثالث:
وهو محالٌ علىٰ الإله لدىٰ   كل نبيبِ زكا بمعرفتِه
«مخطوط خاص».

(٢) سورة إبراهيم الآية «٥».

(٣) في تقدير الأيام بألف سنة قال تَعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف اللَّه وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدون﴾. سورة الحج الآية «٤٧».

والأشهرُ لها حقائقُ متمايزةٌ في مراتبِ الملكوتِ والجبروت، وتلك الحقائقُ لها آثارٌ وخواصٌّ ورقائق[1] في هذه الأيَامِ التي هي قوالبُ لها، وتلكَ أرواحُها. ولكلِّ مرتبةٍ من مراتبِ الآخرةِ سعتُها وإحاطتُها (بالنسبةَ لمراتبِ الدنيا) مضاعفةً، ومضاعفاتُها عشرةٌ ومئةٌ وألفٌ وعشرةُ آلافٍ وخمسين ألفاً، هذا بالنسبة لأيامِ الدهر، وأيَامِ السرمدِ لا تحدُّ بشيءٍ. ويقولُ علمُ الفلكِ الجديدُ: إنَّ من النجومِ عدداً لا يكادُ يكبرُ الأرضَ، ولكنَّ أغلبَها كبيرٌ إلىٰ حدٍ يجعلُ أنَّه من الممكن أنْ يجمع مئاتِ الآلاف من الأرضين في أحدِها، ثم بعد متسعٌ لغيرها، وقد يصادفُنا أحياناً عملاقٌ هائلٌ من النجومِ يبلُغُ من الكبرِ حدّاً يتسعُ معه لاحتواءِ ملايينَ من الأرضين، ويقولُ علمُ الفلكِ: لعلَّهم يصلون إلىٰ كواكبَ يسكنُها أناسٌ مفكرون، وإن اختلفوا عني وعنك[2]. أَليسَ هذا ما وردَ بكثرةٍ عن الموالي المعصومين عليهم السلام مثلُ قولِ الإمام زين العَابدين عليه السلام لأبي حمزة الثمالي:[3] أتظنُّ أنَّ اللَّه لم يخلقْ خلقاً سواكم، بلىٰ واللهِ لقد خلقَ اللَّهُ ألفَ ألف آدمٍ، وألَفَ ألفِ عالَمٍ، وأنتَ في آخر تلك العوالم». وعن أبي

= -﴿يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ سورة السجدة آية «٥».

وفي تقدير الأيام بخمسين ألف سنة قال تعَالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ سورة المعَارج آية «٤».

(١) الرقائق مر تفسير لها في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(٢) في حديث مرفوع إلىٰ عبد الله بن عباس أنه قال: «.... هذه الكعبة وإنَّها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً.... وإنَّ في كل أرض من السبع الأرضين خلقاً مثلنا حتىٰ أن فيهم ابن عباس مثلي».

انظر الفتوحات المكية ـ مصدر سابق ج٢ ص ٢٥٨».

(٣) أبو حمزة الثمالي: أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي الثقة الجليل، صاحب الدعاء المعروف في أسحار شهر رمضان، كان من زهاد الكوفة ومشايخها وكان عربياً أزدياً، قال عنه الإمام الرضا عليه السلام: حمزة الثمالي في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه». صحب زين العَابدين والباقر والصادق عليهم السلام توفي سنة ١٥٠ هـ له كتاب في تفسير القرآن.

عبد اللّه عليه السلام إنَّ للّه.مدينتين : إحداهما بالمشرقِ والأخرىٰ بالمغرب، عليهما سورٌ من حديدٍ له سبعون ألف بابٍ، من البابِ إلىٰ البَاب فرسخٌ[١]، علىٰ كلِّ بابٍ سبعونَ مصراعاً من الذهبِ، أهلُها يتكلمونَ بسبعين ألفِ ألفِ لغةٍ، كلُ لغةٍ خلاف الأخرى[٢]، وأنا أعرفُ لغاتِهم، وأنا الحجةُ عليهم». وانظر ترَ أخبارَ كلٍّ واحدٍ من الأئمةِ أكثر ما تكونُ بالسبعةِ،والسبعين،والسبعين ألف[٣]، وذاك لأنَّ السبعةَ ومضاعفاتِها لا تعني انتهاء العدد، بل تعني عدمَ تحديدِ العددِ، ومن خلالِ ما برواياتِهم من هذا النوعِ العددي رأيتُهم يضمونَ العددَ الثاني عشرَ والأربعين إلىٰ السبعةِ بعدم التناهي، ويقولُ عِلمُ الفلكِ الجديد: ربما كانَ عددُ النجوم التي في الكونِ قريباً مِن عددِ حبيباتِ الرملِ التي تغطي شواطىءَ البحارِ في العَالَمِ كلِّه، والبعدُ بين هذه النجومِ كبيرٌ جداً.[٤]

محسوس الأيَام ومجردها

وللإلهيين نظرٌ صالحٌ في استعراضِ الأيَامِ، فما من يومٍ عندهم إلاّ ويصلحُ أنْ يكونَ فيه كلُّ ما يتكونُ في كلِّ أيامِ السنةِ من أولِها إلىٰ آخرِها،

(١) الفرسخ: السكون. والفرسخ ثلاثة أميال أو ستة سمي بذلك لأن صاحبه إذا مشىٰ قعد واستراح من ذلك كأنه سكن (فارسي معرب) وانتظرتك فرسخاً من الليل أو من النَهار أي طويلاً ـ لسَان العرب مادة ـ فرسخ.

(٢) لمزيد من الاطلاع انظر الفتوحات المكية ـ مصدر سابق ج٢ فصل: (أرض الحقيقة).

(٣) في بصائر الدرجات: لمحمد بن الحسن الصفار بإسناده عن الحسن بن علي عليه السلام: «إنّ لله مدينة بالمشرق وأخرىٰ بالمغرب عليهما سور من حديد وفي كل مدينة منهما سبعون ألف ألف لغة يتكلم كلٌ لغة بخلاف صاحبه». بصائر الدرجات مصدر سابق.

(٤) يؤكد العلماء في عصرنا هذا علىٰ الأبعاد اللامتناهية التي تفصل بين النجوم والتي تقاس بآلاف وملايين السنين الضوئية، ويقول بعض هؤلاء العلماء باحتمال وجود أحياء علىٰ غير كرتنا الأرضية، والواقع أن في ظاهرة الصحون الطائرة ما يحيِّر الألباب... ويقول الدكتور محمد عزت نصر الله: «إن كواكب شمسنا مسكونة (في أجوافها) بذرية قابيل بن آدم، وهم يأجوج ومأجوج (الذين سجنهم ذو القرنين) والترك، سكان المشتري». انظر كتابه (الجنة التي أُهبِط منها آدم) الطبعة الثانية. «اللجنة».

فكلُّ يومٍ من أيامِ السنة فيه حكمُ ذاك اليومِ ولا بدَّ، ولكنّه يخفىٰ من أجلِ أنّ ما فيه منه إلاّ نهاية خاصة، فاليوم أطولُه ستَ وستون درجة، لأنَّه يظهرُ فيه الفلكُ كلّه وتعمّ الحركةُ، وهذا هو اليوم الجسماني، واليومُ الروحاني تأخذُ فيه العقولُ معَارفَها، والبصائُر مشاهدتَها، والأرواحُ أسرارَها، كما تأخذُ الأجسامُ في هذا اليومِ الجسماني أغذيَتها ونموَّها وصحتَها وسقمَها وحياتَها وموتَها، فالأيامُ من جهةِ أحكامِها الظاهرةِ في العالَمِ المنبثةِ من القوةِ الفعالة للنفسِ الكليَّةِ سبعةُ: الأحد ـ الاثنين ـ الثلاثاءُ ـ الأربعاءُ ـ الخميسُ ـ الجمعةُ ـ السبتُ ـ ولهذه الأيامِ روحانيةٌ يعرفُها العارفون، ولها أحكامٌ في الروحِ والعقلِ تنبعثُ عن القوةِ العلاّمةِ للحقِّ التي قامتْ به السماواتُ والأرضُ، وهي الكلمةُ الإلهيَّةُ. وكما أنَّ اليومَ فيها من الطولِ بحيثُ يكادُ أنْ يكونَ بلا نهايةٍ، كذلك فيها ما هو قصيرٌ حتىٰ ليكاد أن يكونَ أقلَّ من الثانيةِ، مثلُ ما بقولـه سبحانـه: ﴿كل يـوم هو في شأن[1]﴾ أي كلَّ آنٍ له شأنٌ من الشؤون مع كلِّ شيءٍ من الأشياء علىٰ اختلافِها وتناقضِها، لأنَّ كلَّ شيءٍ من الأشياءِ يتغيرُ في كلِّ لحظةٍ، وكلُّ تغيرٍ شأنٌ، واللَّهُ سبحانَه المغيِّرُ والمشئِّن، ولا يتشأنُ ولا يتغيرُ، لأنَّهم يطلقونَ اليومَ علىٰ اليومِ الحَاضرِ، فكلُّ شيءٍ مما يختصُّ بالزمانِ، ذو بدايةٍ ونهاية حتىٰ الثانية، فعندما تنتهي تكونُ نهايتُها بداية ثانية أخرىٰ، قال الأمير[2]:

له الدهرُ آنٌ والزمانُ الذي انتهىٰ إليهِ بحديهِ[3] لوصلٍ به فصلُ

ولأن ما في عالَمِ الشهادةِ ظلٌّ لما في عالَمِ الغيبِ، وعالَمُ الغيبِ أصلُه. أو عالَمُ الشهادةِ صورةٌ لعالَمِ الغيبِ، وعالَمُ الغيبِ روحه، أو ما غابَ عنَّا لا نعرفُه إلاّ بما حضَر لدينا، والحسياتُ معَابرُ للعقلياتِ. بهذه الأسبَاب التي هي واحدٌ أصلاً تكونُ هذه الأيامُ والشهورُ الزمانيَّةُ التي هاهنا صورةٌ للدهرِ. والدهرُ

(١) سورة الرحمن آية «٢٩».

(٢) الأمير هو المكزون السنجاري ـ سبق الحديث عنه.

(٣) في ب بمدته.

صورةٌ للسرمدِ، والكـلُّ ظهورُ سـيرِ شمسِ الحقيقةِ في بـروجِها الستة النزوليـة، والستـةِ الصعوديـةِ، وغروبُهـا في أُفُقِ كُـرَةِ الـطبـعِ ، وطلوعهـا منـه، وآثـارهـا وخـواصُّها ووقـائعُها في أيـامِنا هـذه غيرُ منكـورةٍ، والاثنا عشر شهـراً القمـريـة والشمسيـة رقائق للحقـائقِ، فتلك الأيامُ بمنـزلةِ الأرواحِ لأيـامِ الدنيـا، ولكلٍّ مرتبةٌ من مراتبِ الآخرةِ سعتُها وإحاطتُها بالنسبـةِ لمراتبِ الـدنيا مضـاعفةً بعشرٍ ومئةٍ وألفٍ وعشرةِ آلافٍ إلىٰ خمسين ألفاً، هذا بالنسبة لأيَامِ الدهرِ، ولكنَّ أيـامَ السرمدِ لا تحدُّ، ولأنَّهم مـالكو اليـومين: العـرضيِّ والجوهـريِّ أطالـوا اليومَ من أيَامِنا حتىٰ كانَ سنين علىٰ قومٍ ، وقصروا السنينَ علىٰ قومٍ آخرين. . .

الباب الثاني عشر

الشمس والقمر



إنّ قصّةَ القمرِ والسفينةِ الفضائيةِ[1] جرَّت علىٰ البسطاءِ من الناس بلبلةً شديدةً، وخصوصاً علىٰ بعضِ رجالِ الدين المعمَّمين[2] لخوفِهم من تضعضع مكاناتِهم، لا لشيء آخر حتىٰ صار الدفاعُ عن قدسيَّةِ القمرِ بتكذيبِ العلمين: المـاديّ والمعنويّ وتخطئةِ القديمِ والحديثِ وضربِ القرآنِ ببعضِه، والحديثِ بأخيه، مما لا يصدِّقُه عقلٌ، وتمجُّه الأخلاق السليمةُ بكلِّ جهاتِه، وغدا الذين جرّهم لهذه الهوةِ عدمُ معرفتِهم منهاجَ التدينِ، وخصوصاً النورُ المجرّد، هم والدنيا وتألقُها بوادٍ، ومعرفةُ الحقائقِ الإلهيةِ بواد، لكل هذا وجبَ أن نكتب عن النور وأقسامِه. . . إنّ كلَّ ما يُرىٰ بالعينِ من الأنوارِ أنوارٌ عرضيةٌ لا تقومُ بذواتِها، وإنّما قيامُها بالنورِ الجوهريّ المجرَّد، فنورُ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ والنارِ والكهرباء وما أشبهَ نورٌ عرضيٌّ، ترىٰ به سطوحُ الأشياءِ فقط، إنَّه يكشفُ عن الألوانِ والكيفياتِ والصورِ المحسوسةِ ولكنَّه لا بقاءَ له آنين، ولا يظهرُ إلاّ علىٰ الأبصارِ دونَ البصائر، وهذا الظهور يكونُ بعد اجتماعِه في سطحٍ كثيفٍ غليظٍ لا يقدرُ علىٰ النفوذِ منهُ لكثافتِه، والنورُ الجوهريّ، المعقولُ الذي لا يُرىٰ، هو عالَمُ الغيبِ المسمىٰ بالملائكةِ، الذي به قيامُ جميع ما يُرىٰ من نورٍ وغيره، والكلُّ قيامُه بالنورِ الإلهيّ الذاتي الظاهرِ بذاتِه المظهرِ لغيره من الأشياءِ جميعها، وبحدوثِ هذه الأنوارِ العرضيةِ عن بعضها، يعرفُ حدوثُ الأنوارِ التي لا تُرىٰ. فإذا دخل ضوءُ الشمسِ[3] من كوَّةٍ وصادفَ مرآةً علىٰ حائطٍ انعكسَ

---

(١) الإشارة هنا إلى نزول السفن الفضائية علىٰ سطح القمر.

(٢) المعمَّمين: هم الذين يرتدون العمامة، وهي من لباس الرأس. ويقصد بهم بعض رجال الدين الذين يرون تنافراً وتعادياً بين العلم والدين. «اللجنة».

(٣) في (١): قمر ـ وكما تعلم أن الضوء للشمس والنور للقمر قال تعالىٰ: ﴿هو الذي جعل الشمس =

عنها إلىٰ ما يقابلُه، وينعكسُ عما قابلَه إلىٰ ما قابَله، وهكذا. فما كانَ على المرآةِ فهو من ضوءِ الشمسِ، وما قابلَ الضوء الذي على المرآة هو نورُ المرآة، وهكذا. وكيانُ الأنوارِ المجرّدةِ بالتسلسلِ عن بعضِها إلىٰ النورِ المجرَّد.

الأديانُ القديمةُ والشمسُ والقمرُ

أجمعَ أصحابُ الاديانِ القديمةِ علىٰ وجودِ خالقٍ قديرٍ [1] واعتقدَ أكثرهُم عبادةَ الأجرامِ السماويةِ باعتبارِها مظاهرَ حركةِ القوىٰ الفاعلةِ، وعزَوْها من حيثُ الأفعالِ إلىٰ ثلاثةِ أقانيمَ: الجوهرُ والمَادةُ والحَياةُ، وأقاموا لها تماثيلَ [3] رمزاً علىٰ أسرارِهم. وهي المسماةُ بالأصنامِ، ولكن وبعد التتبعِ، لم أرَ أنَّ الأصنامَ عُبِدَتْ مطلقاً إلاَّ مِنْ قِبَلِ عامَّةِ الناسِ، كما أخبرَ اللَّهُ سبحانَه عن مدافعةِ العربِ عن عبادتِهم الأصنام﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ اللَّهِ زلفىٰ﴾ [4] وليست الأصنامُ إلا تماثيلَ أُقيمَتْ رمزاً للآلهة، كما نضعُ صورَ الأولياءِ

= ضياءً والقمر نوراً﴾سورة يونس آية «١٠» فالضوء انبعاث أشعة من جسم مضيء، والنور انعكاس الأشعة عن جسم مضاء، ومن طبيعة الضوء أن يرافقه حرارة، أما النور فلا يرافقه حرارة، لذا نقول ضوء الشمس والنجم، ونور القمر والكوكب. «اللجنة».

(١) في الإجماع علىٰ وجود إله قدير أورد اللّه سبحانه آيات بهذا المعنى: قال: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن اللّه فأنى تؤفكون﴾سورة العنكبوت الآية «٦١». -﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن اللّه قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾سورة لقمان الآية «٢٥» ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن اللّه قل أفرأيتم ما تدعون من دون اللّه إن أرادني اللّه بضر هل هنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هُنَّ ممسكات رحمته قل حسبي اللّه عليه يتوكل المتوكلون﴾سورة الزمر الآية «٣٨»﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾سورة الزخرف آية «٩».

(٢) من الأقوام الذين اعتقدوا عبادة الأجرام السماوية: الكلدان - والتدمريون، والفراعنة والفينيقيون، واليونان، وحوكم سقراط ومات بالسم نتيجة معارضته هذا الاعتقاد.

(٣) المعابد المقامة لعبادة الكواكب كثيرة كما في بعلبك وتدمر.

(٤) سورة الزمر الآية «٣١».

والقديسينَ في بيوتِنا تبركاً بهم، فالأصنامُ في كلِّ زمانٍ مشخصاتُ الشمسِ [1] وأسرتِها، وبعضُهم كانَ يزعمُ أنَّ الشمسَ والقمرَ والنجومَ الثوابتَ مأهولةٌ يسكنُها عوالمُ تتوسطُ بينهم وبين الآلهة.

قصّةُ الخليل [2]

وقصةُ خليلِ اللّهِ إبراهيمَ قصّها اللّهُ سبحانَه في القرآنِ الكريمِ، وشرحها الشراحُ، وتناولتْها كتبُ التاريخِ الدينيةِ، قالَ اللّهُ سبحانه: ﴿وكذلك نري ابراهيمَ ملكوتَ السماواتِ والأرضِ وليكونَ من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأىٰ كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفل قال: لا أحب الآفلين. فلما رأىٰ القمر بازغاً قال هذا ربي، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونَنّ من القوم الضالين. فلما رأىٰ الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[3] من قراءةِ هذه الآيات وتتبعِ شروحِها عندَ شُرّاحِ القرآنِ وغيرهِم من العلماءِ يتأكدُ خطأ من يزعمُ أنَّ القمرَ إلهٌ، لأنَّه يكونُ مكذباً القرآنَ والمعصوم، ومن خلالِ دراستي... لعددٍ من شروحِ القرآنِ الكريمِ

---

(١) من أشهر مشخصّات الشمس وأسرتها المعابد التي أقامها المصريون القدماء في معابدهم، وكان بعض ملوكهم يتسمون بأسماء تنسب إلى الشمس مثل (أخناتون) أي ابن الشمس «اللجنة».

(٢) هو نبي الله إبراهيم بن آزر عليه السلام أرسله الله لهداية قومه وعاش في الألف الثانية قبل الميلاد، وهو الذي بنىٰ الكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل عليه السلام. ويقول الدكتور محمد عزت نصرالله هو إبراهيم بن تارح (كما في التوراة) و(آزر) لقب أبيه تارح. انظر: (اليهودية والإسلام - دراسة مقارنة) حيث يقول الدكتور نصرالله: (آزر) اسم مشتق من كلمة سامية الأصل - وهي ككلمة (اوزر) السامية الأوغاريتية - بمعنى الأزر أي القوة (صفحة ١٩ - ٢٠).

(٣) سورة الأنعام الآيات من «٧٥ - ٧٩».

كمجمعِ البيان [1] وبيان السعَادة [2] وغيرهما، مع الاستقراء العميق والتتبعِ المجهدِ، علمتُ أنّه لم يكن بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقريش إلّا عبادةُ القمرِ والشمسِ، ويتضحُ ذلك جلياً لا غبارَ عليه ولا حجابَ دونه من قوله سبحانه ـ ذاكراً دفاعَ قريش عن عبَادة الأصنام، وكأنّهم يدافعون عن شرفٍ عقلي أُبيحَ، أو عن صرحٍ أخلاقيٍ انهارَ، لأنّهم اتُّهموا بعبادةِ تماثيلَ لا تضرُّ ولا تنفعُ فقالوا تخلصاً من هذا العَار: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ اللّٰه زلفىٰ﴾ [3] ونفضوا عنهم شنارَ [4] ما اتهموا به فقالوا: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه﴾ [5] فسفَّه اللّٰهُ سبحانَه رأيهم بهذه الشفاعةِ فقال: «ولم يكنْ لهم من شركائِهم شفعاءُ وكانوا بشركائهم كافرين» [6] أي أنَّ من أشركوهم باللّٰهِ من مشخصاتِ الأصنامِ الكوكبيةِ شفعاء كما زعموا، وفي بيان السعَادة يشرح قوله سبحانه في سورة فصلت: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾ [7] قال: «إنَّ المشركينَ كانوا يعبدون الشمس والقمر» [8]. ويذكر المؤرخون علىٰ اختلافِ جنسياتهم أنَّ بعضَ الشعوبِ القديمة قد عبدَت الأجرامَ السماويَّةَ، كما تذكرُ كتبُ التاريخ بأنَّ أجملَ آثار تدمرَ بقايا معبدِ الإله الشمس، وهو شكلٌ مربعٌ أُقيمَ علىٰ أربعمئةِ عمودٍ [9] وهذه الأُبَّهةُ كانت دليلاً واضحاً علىٰ مدىٰ تباهيهم في تزيين

---

(1) اسمه مجمع البيان في تفسير القرآن، ومؤلفه الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الإمامية في القرن السَادس الهجري، ويقع في عشرة أجزاء مجموع صفحاته مع الفهارس قرابة ثلاثة آلاف صفحة.

(2) سبق الحديث عنه.

(3) سورة الزمر آية «31».

(4) الشنار: العَار أو أقبح العيب.

(5) سورة يونس آية «18».

(6) الروم آية «13».

(7) سورة فصلت آية «37».

(8) بيان السعادة. مصدر سابق ج 4 ص 37.

(9) بقايا معبد الآله شمس في تدمر ما تزال قائمة حتىٰ يومنا هذا، ويستطيع السائح أن يراها بأم عينه. «اللجنة».

الأصنامِ (الآلهة). وفي تـاريخ العـرب: «والإلهُ ود المـذكورُ في سـورةِ نوح هـو القمـر» [1] وقد اعتقـد المستشرقُ «لنـدبرغ» [2] أنَّـه رأىٰ كلمـةَ «الله» في رقيمٍ معيني [3] قـديمٍ. وفي نقـوشِ صنعَـاءَ [4] وردَ هـذا الاسمُ (هـلاه) [5] قبـلَ الإسلامِ بخمسةِ قرونٍ، وهكذا فإنَّ اللّهَ كان المعبودَ القبليّ لقريشٍ (كما تغلغلتْ منذ القديم عبادةُ الأجرام الفلكيةِ في نفوسِ حضرِ الحجازِ) محاطاً بمؤثراتٍ ثقافيةٍ فكريّةٍ وماديّة تسنتْ له بواسطةِ اتصالهم بـالغساسنـةِ [6] واللخميين [7] وخـرجَ علىٰ وثنيةِ الجـزيرةِ فئـةٌ منهم: أميةُ بنُ أبي الصلتِ[8] وورقـةُ بنُ نوفـلَ[9] ومـا

---

(١) في تفسير الصافي شرح الآية «٢٣» من سورة نوح ذكر أنَّ (ود) كـان صنماً «لقبيلة كلب» ـ انـظر تفسير الصافي ـ تأليف الفيض الكاشاني ـ منشورات الأعلمي ببروت ـ ط٢ ١٩٨٢م مجلد ٥ ص ٢٣٢.

(٢) كـارلو لنـدبرغ المستشرق السـويدي الـذي لقب نفسـه بـالشيـخ عمر السـويـدي لـه فهـرست المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة بريل في ليدن.

(٣) الرقيم لوحٌ من طين يُكتَبُ عليه، ومعين دولةٌ حكمت اليمنَ قديماً.

(٤) صنعاء: مدينةٌ في اليمن اشتُهرتْ قبلَ الإسلام كمركزٍ تجاري هام، وفيها قصور تاريخية مشهـورةٌ أشهرُها قصرُ غمدان الذي كان يعد من عجائب الأرض، خربه الأحباش عام (٥٢٥م).

(٥) هلاه: بعض اللغات السَامية يستخدم الحرف (هـ) بدلاً من أل التعريف في العـربية (كـالعبرية مثلاً) وبذلك يكونُ الاسمُ هذا «الله».

(٦) الغسـاسنةُ سـلالةٌ عـربيةٌ يمنيـةُ الأصلِ استـوطنتْ حورانَ وشرقي الأردن وفلسـطين وذلك قبـلَ الإسـلام. من أشهرِ ملوكِهم الحـارثُ بنُ جبلةَ الذي حـاربَ المنذرَ مَلِكَ الحيـرةِ اللخميّ وغلبَه سنة ٥٢٨م.

(٧) اللخميون: أو المناذرةُ قبيلةٌ عربية من أصلٍ يمنيّ رحلَ بعضهُم إلىٰ شمالِ العراق حيث أسسـوا الدولَة اللخميةَ في الحيرة وتحالفوا مع الفرس، وكانتْ لهم مع الغساسنةِ وقائعُ مشهـورةٌ، أسلموا بعد الفتحِ الإسلامي «اللجنة».

(٨) أميةُ بنُ أبي الصلتِ لا يُحَدَّدُ له تاريخُ ميلادٍ دقيق، أما وفاتُه فقرابةُ(٦٣٠)م وهو شاعرٌ عـربيٌ من رؤساءِ ثقيف وفصحائهم، كان من النساكِ فنبذَ الأصنامَ وقال بالتوحيد ووصف الكمالات الإلهية وأشادَ بدين الحنيفيةِ (دين إبراهيم) له ديوانُ شعـر مطبـوع. وكان أميـةُ المتنصر العربي كثيـراً ما يقول: إني لأجد في الكتب صفة نبي يُبعثُ في بلادنا.

(٩) ورقة بن نوفـل هو ابنُ عم السيـدة خديجـة زوجةِ الـرسول صـلى الله عليه وآلـه وسلم كان من الأحناف. جاءتْ إليه خديجةُ تسـألهُ عن حالِ الرسول بعد أن زاره جبريلُ في الغار وأوجس منه، فقال لها ورقة إنَّه الناموسُ وقد توفي قبل انتشارِ الإسلام.

تسميتهم بعبدِ شمسٍ وعبد منافٍ وعبد العزىٰ (١) وعبد مناة (٢) وعبد اللات(٣) وعبد يغوث (٤) إلاَّ دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّ هذه الأصنام التي هم عبيدُها مشخصاتُ كواكب. أليست هي آلهةٌ عند قومٍ بسطاءَ منهم ووسَائطُ عند ذوي العقولِ الراجحة؟ ولعل الذي جعلَ الحجازَ ينصاعُ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويطلبُ هجرتَه إليه فيمنعُه مما يمنعُ منه نساءه وأبناءه وأمواله هو ما كان عليه الحجاز من الثقافة الفكرية، فعرفَ أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلىٰ الحقائقِ ولا أحد يقوىٰ علىٰ مغالبتها. ولم يمنع زعماء قريش من إظهارِ تصديقه إلا العنجهية الجَاهليةِ، لأنَّك ترىٰ بمجالسهم الخاصة إكبار محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما ينزل عليه بأقصىٰ ما يكون من بالغِ الإكبار والإعجابِ، وأروعُ ما يروعُك منهم بالغُ معرفتِهم بإعجازِ القرآنِ وخوفهُم الشديدُ منه. اجتمعوا مرةً بدار الندوة (٥) وأرسلوا واحداً منهم (٦) إلىٰ الرسول

---

(١) العُزّىٰ: وهي أكبر صنم لقريش وكان هيكلُها ببطنِ نخلةٍ، أرسلَ الرسولُ خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً لهدمِ هيكل العزىٰ فتوجه إليها خَالدُ وهدمها. انظر شرح نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ـ تأليف المرحوم الشيخ محمد الخضري، تقديم وتحقيق صفوة السقا ـ نشر وتوزيع مكتبة ربيع ـ حلب ط١ سنة ١٣٨٢هـ ص «١٩٨».

(٢) مناة: وهي صنم لكلب وخزاعةَ، وهيكلُها بالمشللِ وهو جبلٌ علىٰ ساحل البحر، هدمها سعدُ بن زيد الأشهليّ ومعه عشرون فارساً وذلك بأمرٍ من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انظر شرح نور اليقين ـ مصدر سَابق ص «١٩٨».

(٣) اللات: صنم ثقيف بالطائف، هدمه أبو سفيان والمغيرة بن شعبة الثقفي بأمرٍ من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انظر شرح نور اليقين ـ مصدر سَابق ص «٢٢١».

(٤) يغوث: اسم صنم من أصنام قوم نوح، وقيل إن اسمه يغوث ويعوق أي أنه يغيث مرة ويعيق أخرىٰ.

(٥) دار الندوة: الندوة وهي الشورىٰ، ودار الندوة هي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، وفيها كانوا يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خافوه ـ انظر شرح نور اليقين ـ مصدر سَابق ص «٦٥».

(٦) هو عتبةُ بن ربيعةَ العبشمي من بني عبد شمس، وهو أحدُ أشرافِ قريش وساداتِها في الجاهلية قُتِلَ في موقعةِ بدر وكان في مصافِ القرشيين بينما كانَ ابنهُ أبو حذيفةَ يقاتلُ في مصافِ المسلمين =

يطلب إليه الإعراضَ عن تسفيهِ أحلامِهم وسبِّ آلهتهم فيكون له من قريش ما يريدُ حتىٰ التاج، فكان جوابُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن قرأ من سورة فصلت: [1] بسم الله الرحمن الرحيم: حم. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته[2]﴾، وعتبة يسمع بكل هدوء وتَبَصُّرٍ إلىٰ أنْ وصل صلى الله عليه وآله وسلم إلى قوله سبحانه: «فإن أعرضوا فقل أنذرتُكم»[3] فوضعَ عتبةُ يدهُ علىٰ فمِ الرسول وقال له: «ناشدتُك اللَّهَ والرحمَ» فسكت صلى الله عليه وآله وسلم فذهب عتبةُ وقصَّ علىٰ القرشيين ما جرىٰ وقال: «وتالله لو أتمَّها لنزلتْ بنا صاعقةُ عادٍ وثمودَ[4]». وإذا نظرت في التاريخ متدبراً تعطيك نظرتُك هذه أنَّ الحكماءَ في كلِّ القبائِل العربيةِ كثيرون، وخاصةً في قريش ففيهم بنو هاشم وبنو مخزوم وغيرهم. وفي مرة أخرىٰ طلبَ القرشيون من عمه أبي طالبٍ أنْ يفاوضَه لتركِ ما هو فيه، فكان جوابُه: «يا عم والله لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمر في يَساري علىٰ أنْ أتركَ هذا الأمرَ ما تركتُه حتىٰ يظهره اللَّهُ أو أهلك دونه[5]» وكأني بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

= وذلك سنة ٢ للهجرة الموافق ٦٢٤م. انظر حكايته مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شرح نور اليقين ـ مصدر سَابق ص «٤٠ـ ٤١». وانظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد ـ منشورات دار القلم ـ بيروت ـ ط١ سنة ١٩٧٤م ص «٤٢».

(١) انظر في شرح نور اليقين ـ مصدر سابق ص «٤٠» وذكر غيره أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قرأ سورة: «السجدة». انظر سيرة الرسول عن طبقات بن سعد ـ مصدر سَابق ص «٤٢».

(٢) سورة فصلت الآيات (١ ـ ٣).

(٣) انظر شرح نور اليقين ـ مصدر سَابق ص «٣١» وانظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد ـ مصدر سَابق ص «٤٢» والآية هي: الآية ١٣ من سورة فصلت.

(٤) عاد وثمود قبيلتان عربيتان بائدتان، ورد ذكرهما في القرآن الكريم في آيات عدة وكان نبي ثمود النبي صالح قال تعَالىٰ: ﴿وإلىٰ ثمود أخاهم صالحاً﴾سورة الأعراف آية «٧٣» وكان نبي عاد (هود)، قال تعالىٰ: ﴿وإلىٰ عاد أخاهم هوداً﴾سورة الأعراف آية «٦٥».

(٥) انظر شرح نور اليقين ـ مصدر سَابق ص «٣١» وانظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سَعد ـ مصدر سابق ص «٤٢»

«لو أعطوني إلهيهم الشمس والقمر علاوةً عما عرضوه عليَّ، ما تركتُ هـذا الأمرَ أو يـظهـرَهُ الله». وفي كتـابِ الجـوهـرة[1] قـال يشرح أصـول عبـادة الأصنـام: «اجتمع رجلان عالمان، فـاستغربَ كِـلاهما من صـاحبِه ـ مـع سعةِ علمـه ـ أنْ يكونَ علىٰ هذا المذهب الذي هو عليـه، فقال المسلم لعَـابد الصنم: رجـلٌ عالمٌ مثلك كيف يعبدُ إلهاً هو أنشأهُ؟ قال عابد الصنم: إنَّا وجـدنا آبـاءَنا يعبـدونَه عن بيِّنَـةٍ لا يجوزُ أنْ أذكـرَها لـك إلاَّ بعد عهـدٍ وثيقٍ بأنْ لا تحـادثَ بهـا إلاَّ من تثقُ بفضلِه، فأعطاهُ المسلمُ عهداً علىٰ ذلك فقال عابد الصنم: ظهـرَ شخصٌ عندنـا دعا الأمةَ إلىٰ نفسِه فأجابه قومٌ، ولكن بعد إظهارِه القدرةَ وعلمَ الغيبِ. وأنكَـرَهُ آخرون رغم ثبوتِ معاجزِه الخارقة وتحقيقِ علمِه بالغيبِ، ثم بنىٰ بيتـاً سمَّاه بيتَ الحكمةِ ورتَّبَ المؤمنين به رتباً، كل رتبة تقرأ علىٰ من دونها، فإذا فرغوا سجدَ لـه الجميعُ ثم يجلسُ للناسِ مجلساً عاماً فيشفي جميعَ المـرضىٰ، وينبىءُ عن السارقِ والزاني بما يثبتُ ما يقولُه، فقال المشركون به: إنَّه ساحـرٌ، فتواعدوا لإهلاكِـهِ في يومِ موسمٍ فلما انفضَّ الناسُ وثبوا عليه بالسيوف والخناجر، فنفخَ عليهم نفخةً صارتْ ناراً أحرقتْهم بها[2] ثم رجعتْ نوراً طوَّقَتْ رقاب أوليائِـه، فجمعَ الناسَ وأراهم مصـارعَ القـومِ فقـال: هـذا فعـلي بمن عصـاني، وأطـوِّقُ بـالنـور من استجـابَ لي» ثم غابَ هـو وتلاميـذُه في بيوتِ الحكمـة، فانقسمَ أتبـاعُه ثـلاثَة أقسامٍ: طائفةٌ عبدَتْ النارَ باعتبارِها قـدرةٌ، وطائفـةٌ عبدتِ النـورَ الذي طـوَّقَ رقابَ الأولياءِ تنويهاً بكرامتهم، وطائفةٌ عبدتِ الصورةَ وهو مصوِّرُ الصورِ وليس كما رأينا». وعن الشيخ[3] بإيجاز: «يجب علىٰ العـارف أن يأخـذَ علومَ الله حيث وجدَها، فإن خزائن الله عند أوليائـه وعند أعـدائِه، وإن الله عـزَّ وجل لم يـدعِ البَاطنَ في معدنٍ واحدٍ بل جعلَه عنـد الجميع».ثم إن عـابدَ الصنم سـأل المسلم

(١) الجوهرة الطالقانية: أبو الطاهر سابور (مخطوط خاص)
(٢) سقطت من ب.
(٣) يريد به الحسين بن حمدان الخصيبي/ سبق الحديث عنه.

مستغرباً، كما سألَهُ المسلمُ، سأله عن استقبالِ البيتِ الحرام وهل لله بيتٌ يحويه؟ فشرح له المسلم مطولاً أصولَ الإسلام بالإجادةِ البَارعة بعلمٍ وأسلوبٍ متناهيين، وبعد السؤال والتساؤل المكررين، قالَ عابدُ الصنم: أشهدُ أن هذا الرجلَ الذي تقولُ عنهُ[1] هو الذي كانَ ظاهراً عندنا[2].

(١) سقطت من ب.

(٢) أثناء المحاورة بين المسلم وعابد الصنم ذكر المسلم صفات علي بن أبي طالب عليه السلام،وقيل بل صفات محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي كسّر الأصنام ودك عرش دولة الكفر، فتذكر عابد الصنم صفاتِ الرجل الذي تحدث عنه في بداية حديثه، والذي كان قد أنشأ بيت الحكمة الذي يقدسه عابد الصنم وأصحابه فقال: هذا هو الرجل الذي يحدثوننا أنه كان ظاهراً عندنا.

الباب الثالث عشر

وحدة الوجود



لم يـزلْ قليلُ العلمِ والمعـرفة عـدواً فاتكـاً لعميقِ الحقيقة، منـابذاً العلمَ الصحيـحَ، وقـد لاقتِ الـوحـدة[1] في أدوارِهـا من الجهـلِ العلميِّ والشكـلِ الوهمي، ومن نتنِ المنابـذاتِ وجافِّ المنـافراتِ الشيءَ المحـيِّرَ المقلِقَ. إنَّ الحقائقَ تجـدُها في كـلِّ شيءٍ ومعَ كـلِّ شيءٍ، والعلمُ والعلماءُ دائماً في كـلِّ زمانٍ ومكـان معرّضونَ[2] لقوارصِ الجهلاءِ. ولا عجبَ، فـوحدةُ الـوجودِ من أهم القضـايا الفلسفيــةِ الإلهيـةِ، لأنَّها خصيصــةٌ في بحثِهَـا عن الــوجـود[3] والمــوجـودِ[4] والـواجبِ[5] والممكنِ[6] والعلة[7] والمعلولِ[8]، والـذين اعـترضـوهــا في كـلِّ

---

(١) يراد بها وحدةُ الوجود ومن أشهرِ القائلينَ بها الشيخ الأكبرُ ابن عربي، وهي عند المكزون واضحةٌ جليةٌ ومبثوثةٌ هنا وهناك في ديوانِه كقوله:

لا غـيرَ مـن لا غـيرُه لي إلـه ... إذ مـا لـموجـودِ وجـودٌ سـواه

ومن المعلوم أنَّ هناك وحدةَ وجودٍ ووحدةَ شهود، والفرقُ بينهما:
أنَّ صاحبَ وحدةِ الشهودِ يقول، في حالة من حالات جذبه: ما شـاهدتُ إلا الله أو يقـول: أنا الحقُّ، أنا هو. الخ. أمّا صاحبُ وحدة الوجودِ فيقول ما يقولُ في صحـوه، كقول ابن عـربي: «الوجودُ كلُه واحدٌ» «ما في الوجودِ إلا اللّه»، و«ما ثمَّةَ إلا الله» الخ. فالمـوجوداتُ عنـده كثيرةٌ والوجودُ واحدٌ، أي عندَهُ كثرةُ شهودٍ ووحدةُ وجود» «اللجنة».
للتوسع راجع المعجم الصوفي ـ مصدر سابق من ص «١١٤٥ - ١١٥١»

(٢) في ب مستعرضون.

(٣) الـوجودُ: فقـدانُ العبدِ بمحـاق أوصافِ البشريـة ووجودُ الحق لأنـه لا بقاءَ للبشريـةِ عند ظهـورِ سلطانِ الحقيقة، وهذا معنىٰ قول أبي الحسين النوري: أنامنذ عشرين سنةً بين الوجدِ والفقد إذا وجدتُ ربي فقدتُ قلبي. وهذا معنى قول الجنيد: علمُ التوحيد مباين لوجوده، ووجود التوحيد مباين لعلمه، فالتوحيـد بدايـة، والوجـود نهاية، والـوجد الـواسطة بينهـا ـ كتاب التعـريفات ـ مصدر سابق ص «٢٧٠».

(٤) هو مبدأ الآثارِ ومظهر الأحكامِ في الخـارج،وتحديـدُ الحكماءِ (المـوجود) بـأنَّه الـذي يمكنُ أنْ يخبرَ عنه، والمعدوم بنقيضِه وهو لا يمكنُ أن يخبرَ عنه. كتاب التعريفات ـ مصدر سابق ص «٢٥٥»

(٥) الـواجبُ: ما تقتضي ذاتـه وجودَه اقتضـاءً تاماً أو ما يـستغني في وجـودِه الفعلي عن غـيره، وهـو =

الأزمنةِ نرىٰ على كلامِهم شيئاً من صور العلمِ العقليّ والنقليّ، بخلافِ مَنْ عارضَها في عصرِنا. إنَّ الخلافَ بالغُ حدّيه بين الفلاسفةِ والحكماءِ حولَ: هل المتحققُ الأصيلُ في الوجود هو الماهيات المرئيةُ المحدودةُ[1] والوجودُ مفهومٌ اعتباري؟ أم المتحققُ هو الوجودُ، والماهيةُ لها المفهومُ الاعتباري؟

فأصالةُ الوجودِ هي المتحققُ وجودُها عند الفلاسفةِ، والماهيةُ وجودُها اعتباري يُنْتَزَعُ وجودُها من حدودِ الوجودِ المطلَقِ، لإنَّ الوجودَ لا ماهيةَ له بل ماهيتُه ذاتُه. وباختلافِ جهتي الوجودِ الذهني الداخلي، والمحسوسِ الخارجي، تعرفُ أصالةُ الوجودِ، فالنارُ مثلاً بوجودِها الداخلي لا يترتبُ عليها شيءُ من الإحراقِ كالوجودِ الخارجي، وبذلك عُرِفَ أنَّها غيرُ متأصلة في كلا الوجودين الداخلي والخارجي، وإلا لظهرَ الإحراقُ والضوءُ، ويستحيلُ على شيءٍ أنْ يثنّىٰ[2] أو يتكرَر ذهناً، لا خارجاً ولا وهماً ولا فرضاً، وعلىٰ هذا التحقيقِ يستحيلُ أن يُفْرَض[3] لواجبِ الوجود ثانٍ، فهو الوجودُ المطلَقُ، وإطلاقُ

= مرادفٌ للضروري،إلاَّ أنَّه يطلقُ في بعضِ الأحيان علىٰ ما هو أخصّ من الضروري. المعجم الفلسفي ـ جميل صليبا ـ دار الكتاب اللبناني ـ ج٢ سنة ١٩٨٢م ص «٥٤١».

وواجب الوجود: هو الذي يكونُ وجودُه من ذاتِه ولا يحتاجُ إلىٰ شيءٍ أصلاً. كتاب التعريفات ـ مصدر سابق ص «٢٦٩».

(٦) الممكنُ: هو الذي يتساوىٰ فيه الوجودُ والعدمُ، وهو إحدى مقولاتِ الجهةِ،ويقابلُه الممتنعُ والضروريّ. المعجم الفلسفي ـ مصد سابق ج ٢ ص «٤٢٤»

(٧) العلَّةُ: هي ما يتوقفُ عليه وجودُ الشيء ويكونُ خارجاً مؤثراً فيه ـ كتاب التعريفات ـ مصدر سَابق ص «١٦٠» والعلّة ترادفُ السببَ عند علماءِ الكلامِ والغزالي ـ للتوسع يراجع المعجم الفلسفي مصدر سَابق ج ٢ ص ٩٥ وما بعدها.

(٨) المعلولُ: كلُّ شيءٍ وجد بالفعلِ عن شيءٍ آخرَ فالمعلولُ هو الأثرُ وهو ما يحدثُ عن علَّةٍ أو سببٍ معينٍ وهو أحدُ طرفي العلاقةِ السببية. للتوسع راجع المعجم الفلسفي ـ ج ٢ ص «٩٦ - ٩٧»

(١) في ا المحدّدة.

(٢) في ب يتشيأ.

(٣) في ب (يعرض).

الوجود علىٰ الموجوداتِ من بابِ المشتركِ اللفظي وهم لا يستندُ على شيءٍ، وقد أسندَ القول به إلى المشائين[1] أو لأكثرِهم، وهو غريبٌ لأنَّ لهم شأنَهم، فكلُّ حقيقةٍ من الحقائقِ وماهيةٍ من الماهياتِ يستحيلُ تعددُها بذاتِها، ولا تتعدَدُ إلا إذا أضيفَ إليها غيرُها فتتكثرُ بأفرادها العينيةِ، كالإنسان مثلاً فإنما كثُر بأفراده وذواتِه الخارجية. وسببُ تكثرِ الماهيةِ إلىٰ منوّع النباتِ والأحجَارِ هو الوجودُ الذي به قيامُ الموجوداتِ كلِّها، فهو معَ كلِّ شيءٍ بصورة ذلك الشيء ولا صورةَ له، ووجودُه مع الأشياءِ وقيامُ الأشياءِ به لا يقتضي بأن يكونَ منوَّعاً أو متعدداً فيتعددُ الوجودُ وتتكثَّرُ الأحديَّةُ، ولكنَّ الوجودَ تكثَّرَ ظاهراً بالأشياءِ مع شدَّةِ التوحدِ، وتكثَّرتْ به الأشياءُ منوّعة، وما به امتيازُ هذه الماهياتِ عن بعضها هو ذاتُ ما به اشتراكُها، وهو الوجودُ المطلق. فتطلع إلىٰ هذا الكونِ المادي تجده من حيثُ ذاته كلَّه أعداماً إضافيةً كانت بالوجودِ الإلهي، فمن وقفَ عند ظاهِرها حجبَ عن الوجود المتجلي فيها فهي آثارُه ومؤثراتُه، وذاكَ أنَّ الأحديةَ المطلقةَ اقتضتْ تكوينَ الروحِ[2] الأعظمِ «الحقيقةُ المحمديةُ» روحاً لما سيكونُ بأجمعِه، وأودَعَ اللَّهُ بها حقائقَ جميعِ الأشياءِ وصورِها بوجهٍ كليّ. فهو الوجودُ بهويّةِ الوجودِ، وخَلَقَ الله له منه وسَائطَ للتكوينِ يفيضُ عليها من نوره المفاضِ من مكوِّنه، وجعلَها مؤثرةً بما دونها من العوالمِ، وحقائقُها الإمكانيةُ مرسومةٌ

---

(١) الطريقةُ المشائيَّة: هي النظريةُ التي تبناها أرسطو بكل ما أوتيَ من جهد، ثم تبعَه تلاميذُه حتىٰ اشتهروا بالمشائين، وتبعَ أرسطو في هذه النظرية من العلماء الإسلاميين الفارابي وابن سينا، وخلاصة النظرية: إن المعرفة يجب أن ترتكز علىٰ دعائم العقل والبرهان والتجربة ـ انظر من السهروردي إلىٰ الشيرازي ـ تأليف الدكتور موسىٰ الموسوي ـ دار المسيرة ـ ط ١ بيروت سنة ١٩٧٩م ص «١٢٤». وسُمي المشاؤون بهذا الإسم لأنَّ أرسطو كانَ يلقي دروسَه على تلامذتِه وهو يتمشى وهم يسيرون خلفَه «اللجنة» ويقابلُ الطريقةَ المشائية، الطريقة الإشراقيةُ التي تعتمدُ في المعرفةِ على الإشراقات القلبية والفيض على الأنفس من عالمِ العقولِ والتي هي خارجةٌ عن نطاقِ التجربةِ والبرهانِ العملي من السهروردي إلى الشيرازي ـ مصدر سابق ص «١٢٥».

(٢) في ا الرحم

بهذه الوسائط بأعيانِها وكمالاتِها، حتىٰ أنَّ كلَّ ما تراهُ العينُ من هذه الكراتِ المتحركةِ، وما وصل إليهِ العلمُ الحديثُ من اكتشافِ الفضاءِ، وما عجز عنه من كواكب وشموسٍ وأقمار ونجومٍ تتحرَّكُ بقوىً غير محسوسةٍ من عوالِم ما وراءَ الشهادةِ،وهذه القوى لا تُرىٰ لغاية الصفاءِ[1] بل تُكَتَبُ الصورُ الجزئيةُ في ألواحِ النفوسِ كما ترتسمُ في قوانا الخياليةِ صورٌ شخصية من معلوماتنا الجزئيةِ، والمثلُ الجليلُ الذي يعطينا معلومَ هذه القوىٰ واضحاً هو التركيبُ الإنسانيُّ، فهو مجموعُ المكونَاتِ، ومراتبُ أفعالِه أربعٌ:

الأولى: اختفاءُ قوىٰ أفعالِه في روحِه اختفاءً لا يعرف، مثل اختفاءَ الأشياءِ في علمِ اللَّه.

الثانيةُ: انتقالُ صورِ أفعالِه من روحِه إلىٰ قلبِه، كتنزلِ صورِ الأشياءِ من علمِ اللَّهِ إلىٰ العقلِ الأول.

الثالثةُ: تنزلُ مفاعيلهِ إلىٰ مخزنِ قلبِه، كتنزلِ الأشياءِ إلىٰ عالَمِ الملكوت.

الرابعة: ظهورُ أفعالِه بالفعل إلىٰ الخارجِ، كظهورِ الأشياءِ في عالَمِ الشهادةِ.

وأحسنُ مثلٍ لِتطابقِ العالمين وارتباط المحسوس بالمعقول ما ملخصهُ: أنَّ امرأً رأىٰ صفحةَ ورقةٍ بيضاءَ مشرقةً، وبعد قليل امتلأتْ خطوطاً مبرقشةً بسوادٍ وبياض، فسألَها معاتباً كيف شُوِّهتِ؟ فأجابتْ: لم أشعرْ إلاّ والمدادُ يتناثرُ عليَّ ويشوِّه وجهي فاسألْه، فسأل المداد: فأجاب: كنتُ مجموعَ الشمل في الدواةِ فلم أشعْر إلاّ والقلمُ يأخذني وينثرني علىٰ هذه الورقة البيضاءِ، فسألَ القلم فأجاب: إنما فعلتُ هذا علىٰ غير إرادتي، كنت علىٰ شاطئ هذا النهرِ منعماً بمداعبةِ الهواءِ الرقيقِ، وأغاني العصافير، وانسيابِ الماءِ من حولي بعذوبتِه اللذيذةِ، فلم أشعرْ إلاّ والسكينُ هوتْ عليَّ بحدِّها المرهفِ فقطعتني وبرتني

(١) يراد لشدة صفائها.

قلماً، فلما سألَ السكينَ أجابتْ:كنتُ قطعةَ حديدٍ فحماني الحدادُ حتىٰ كنتُ كالجمرِ وهوىٰ عليَّ بالمطرقةِ، وما زلتُ بين يديه من النارِ إلىٰ المطرقةِ ومن المطرقة إلىٰ النارِ حتىٰ صنعَني سكيناً مرهفةَ الحدِّ، فاستعملتني الأصابعُ لقطعِ هذه القصبة فاسأل الأصابعَ، فأجابتْ لا أقدرُ على قطعٍ ولا علىٰ وصلٍ فاسألِ الرباطات، فسألها فأجابت: يأتيني أمرٌ من القلبِ غيرُ منظورٍ، وهو ما يسمىٰ بالإرادةِ فاسأل الإرادةَ (فسأل الإرادة)[1] فأخذتْه إلىٰ القلبِ وقالتْ: تطلَّعْ هل مِنْ كتابةٍ علىٰ القلب؟ قال: لا، قالتْ له: حدّقْ ما استطعتَ، فأعاد التحديقَ محملقاً، فرأى شبهَ رسومٍ وخطوطٍ فقالتْ: أعدِ التحديقَ، فقال: رأيتُ بحراً وبهِ سفينة تتجهُ إلينا.وبعد حين قال: رستِ السفينةُ، فقالتْ:سَافِرْ بها. فسَافرَ ووصلَ الشاطىءَ الثاني فرأىٰ الورقةَ البيضاءَ نفسَها ذاتَ الوجهِ المشرقِ، وأعيدتِ العمليةُ إلىٰ [أنْ وصل إلىٰ الإرادةِ][2] وأراد التعمقَ فسمعَ قائلاً يقول: ﴿لا يسألُ عما يفعلُ وهم يُسألون﴾[3]. لقد عبَّر هذا المثل عن جميع ما أتىٰ من الكلمِ لجميع معاني التكوينِ مثل: كلُّ ما في عالَمِ الغيب، له مثال في عالَم الشهادة، وبالعكس كلُّ ما في عالَمِ الشهادةِ له مثالٌ في عالَمِ الغيب فسريانُ السر الإلهيّ المسمىٰ بالقوةِ الإلهيةِ، والحقيقةِ المحمدّيةِ، أو الفيوضاتِ، أو ما شئتَ مما أتىٰ من الأسماء المعبّرة عن مفاعيل هذا السر باللّهِ لا بذاتِه، لأنّه القوةُ المدبرةُ للكلِّ بلا حلولٍ ولا اتحادٍ، ولا ولا، فإنْ لَمْ تَقدِر علىٰ هَضمِ هذهِ المعاني وأضرابها فانكمشْ علىٰ ذاتِكَ، لا تتعرَّضْ لها بسوءٍ فيحيقُ بك الوبالُ، أو فاتَّبعْ مَنْ هَضَمها وتمثَّلَها من فلاسفة الدين، بل مَنْ كساها حُللاً زادْتها جمالاً وجلالاً فتظفرْ. وأرى أنّ أحسنَ من أبرزها واضحةً جلية هو شرحُ الشيخِ[4] للصفاتِ

(١) العبارة سقطت من أ و ب.

(٢) العبارة في ب (إلىٰ وصل للإرادة).

(٣) سورة الأنبياء الآية «٢٣».

(٤) هو الحسين بن حمدان الخصيبي - سبق الحديث عنه. والكلام مأخوذ من رسالته (مخطوط خاص).

الأربعِ والقدراتِ الأربعِ، وهي علىٰ مفهومِها المـواتي غايـةٌ في العمق، ونجملُ لك كلماتِها فيما يلي:

صفاتُ اللَّه سبحانَه أربعٌ:

الأولى: صفةٌ خالقـةٌ لا مخلوقة، وهي علم البَـاري وقدرتُـه التي كان بهـا الكونُ والحدوث من حيثُ لا حدَّ ولا نهاية.

الثانية: صفةٌ لا خالقةٌ ولا مخلوقةٌ، وهي ذاتُ الحقيقةِ المحمديَّةِ، فهي لا خـالقةٌ لكـون ذاتِها ولا مخلوقـةٌ كخلقِ الحدوث، لأنَّ بـين كلِّ فـاعلٍ ومفعـولٍ واسطةٌ هي الفعل، فالحقيقةُ المحمديَّةُ فعـلُ اللَّه الذي فعـلَ به المكـوِّناتِ، وهـو قدرةُ اللَّه وإرادةُ اللَّه ومشيئةُ اللَّه وهكذا ـ فاللَّه لا يجـوزُ أنْ يكونَ مُـريداً وإرادةً إذ لا بدَّ من توسُّطِ شيءٍ بينَ المريدِ والمرادِ وهو الإرادة[1].

الثالثة: صفةٌ مخلوقةٌ خـالِقَةٌ، وهي التي خلقتْ بـإذنِه تعـالى كما في قصـةِ المسيـح ﴿أخلقُ لكم من الطينِ كهيئـةِ الطير﴾[2] فيصير طيراً بـإذن اللَّه، وإحياء إبراهيم الأطيارَ[3] ومعَاجزُ النبي[4] صلى الله عليه وآله وسلم. وما أشبه.

الـرابعة: صفـةٌ مخلوقةٌ لا خـالِقةٌ، وهي السـماواتُ والأرضُ والجبَالُ ومـا جـرىٰ مجراهـا. فهذه الصفـاتُ الأربعُ تضم المكـوَّناتِ جميعَهـا، وكلُّها صفـاتُ اللَّهِ، أي أنَّ مراتبَ الوجودِ جميعَها وما بها من مفاعيلَ وقـدراتٍ وعلمٍ فهي للَّه سبحانَه باعتبارِ لا فاعلَ إلاّ هو، ولا عالِمَ إلاّ هو، ولا قادرَ إلاّ هو. وإذا ظهرتْ

---

(١) وهذا التوسط بين المريد والمراد تسميه الفلسفة (التعلق) بـين العلة ومعلولها، ومنهم من يسميـه (العلاقة). «اللجنة».

(٢) سورة آل عمران آية «٤٩».

(٣) إشارة إلى قوله تعَالى ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتىٰ . . .﴾ البقرة آية «٢٦٠».

(٤) معَاجزُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرةٌ منها: إشباعُ الخلقِ الكثيرِ من الطعَامِ القليل ونبـعُ الماءِ من بين أصابعه.

انظر شرح نور اليقين ـ مصدر سابق من ص ـ ٢٦٣ - ٢٧٤ - وانظر سيرة الرسـول عن طبقات ابن سعد ـ مصدر سابق من ص «١٤ - ٢٣».

القوىٰ من غيرهِ فهي لَه ومِنه. ومن عرف القِدراتِ الأربعَ، والصفات الأربعَ، كما شرحها الشيخُ، عَلِمَ أنَّ كلَّ حركةٍ في الكونِ وكلَّ صفةٍ تَمُتُّ للخيرَ بصلةٍ هي لله ومنه، ومما لا يمتُّ للخير بصلةٍ تكونُ حركتُه أحيلَتْ بخبثِ الاستعدادِ إلىٰ شرٍ لا بذات الفعل، بل بخبثِ الفاعِل. من عرف هذا وعملَ لهُ كان طريق عملهُ إلى اللّه سبحانَه، وإذا استمرَّ عملُه على هذه الطريق، كان سيرُه سفراً إلى الحقِّ من الخلقِ، وإذا وصلَ إلى هذه الطريقِ وعملَ بها كانَ سفرُه من الحقِّ إلىٰ الحقِّ بالحقِّ وهو السيرُ بالفيوضاتِ الإشراقيةِ، وإذا فنيَ عن صفاتِه وأفعَالِه كان سفرُه بالحقِّ في الحقِّ، فحينئذٍ يتغنىٰ مع المكزون:

لا غيرَ من لا غيرُه لي إلـه إذ ما لموجود وجودٌ سواه

ويصح له التكلم بلسان الحَال[١] والقول مع المكزون:

أصبحتُ في الكونِ بلا حيِّزِ وكل ما في الكون في حيزي
وخارجُ العالَمِ في داخلي وقدرةُ القادِرِ في معجزي
وصرتُ من دائرةِ الكلِّ وفي جمعِ مقامي نقطةُ المركز[٢]

فإذا عرفتَ تنزلَ الوجودِ أربعاً فأربعاً عرفتَ ما تقدم، وإلاَّ فاتَّهم نفسَك. وجميعَ ما ذكرناه من تحقيقِ الوحدةِ هو تعبيرٌ عن الجملةِ الجَامعةِ: «بأنَّ الوجودَ عبارةٌ عن شخصٍ واحدٍ في الخارج به يكونُ الشيءُ هو ما هو لذاتِه فلا هو هو ولا هو ما هو أي النفس»[٣] ولا بدَّ عندَها من أنْ يتغنَّى المرءُ مع الشيرازي:

---

(١) لسان الحال كقول المعري:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

ولسان الحال الذي ذكره شيخنا العلامة هو المسمىٰ لسان الجمع عند السّادة الصوفيين.

(٢) يورد الدكتور أسعد علي مع البيتين الأولين هذا البيت:

فأين أهل الأين في دارتي والفلك الأطلس في مركزي

المكزون ج٢ ص ١٢٩

(٣) العبارة والبيت من كتاب التنبيه بشرح شيخنا العلامة (مخطوط خاص).

فعينُ ذاتِك عينُ اللَّهِ فيك ترىٰ   أنموذجَ الأمرِ فافهم أيّها اللاّهي [1]

والخلاصةُ: أرىٰ لمطالِعِ أمثالِ هذه المعَاني العليا التأني والمتابعة لا أنْ يردَّها ردّ الجاهل، بل يقولُ: اللَّه ورسولُه أعلَم لأنَّه وردَ عن رسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «الناسُ في سعةٍ ما لم يعلموا»[2] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس علىٰ العبَاد أن يعلموا حتىٰ يعلمهم الله»[3].

---

(١) البيت سقط من ب.

(٢) لم نعثر علىٰ هذا الحديث وربما كان من المأثور،فقد نقل عن بعض أهل العلم: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد» انظر عيون الأخبار مصدر سابق ـ كتاب العلم والبيان ج١ ص ١٢٥ ونقل عن أبي الدرداء قوله: «من يزدد علماً يزدد وجعاً» المصدر السابق نفسه ص ١٢٦

(٣) لم نعثر علىٰ هذا الحديث،وربما كان من المأثور المتناقل شفوياً.

الباب الرابع عشر

الباطن والظاهر

الباطنُ والظاهر [1] هما ركنا كلِّ دينٍ من الأديانِ، وأكثرُ ما يكون أمرُهما تبعاً للاستعدادِ والقبولِ، فيُعطى الطالبُ المستعدُ أمراً من أمورِ التدينِ، بينما يحرمُ منه [2] الذي لا يقدِرُ علىٰ قبولِه، فيكون هذا الأمرُ ظاهراً عند هذا، باطناً عند ذاك. هذا من جهةِ الأسرارِ العلميَّةِ، وأما من جهةِ الشرعِ وعند الصوفيين - وهو من أعلىٰ الكلامِ وأجلِّه - فإنَّ المفترضاتِ الشرعيةَ صورٌ للأسرارِ البَاطنةِ وظلالٌ لها، والمحسوسُ مرتبط بالمعقول، والمعقولُ لا يُعَرفُ إلا بواسطةِ المحسوسِ [3] ولذلك يتردَّدُ كثيراً علىٰ ألسنةِ الصوفيين... أقوالٌ مثلُ: (منتهىٰ

---

(١) إن العلم ظاهرٌ وباطن: فالظاهرُ هو أعمالُ الجوارحِ الظاهرةِ كالأحكامِ (البيع والشراء)، والعبَاداتِ (الصلاة والزكاة) والبَاطنُ هو أعمالُ القلوب (الإيمانِ والإخلاصِ والصدقِ...) انظر اللمع مصدر سابق ص «٤٣- ٤٤». والظاهرُ بلا باطن كالجسدِ بلا روحٍ، والدنيا بلا آخرةٍ كالصورة بلا معنىٰ، انظر شرح دعاء السحر.مصدر سَابق ص «٧٤- ٧٥».

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم» صدق رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وقد لاحظ الصحابةُ والتابعونَ أحوالَ طلابهم ملاحظةً دقيقةً فكانوا لا يحدثونَهم إلا بما يناسبُ مداركهم. - انظرْ الوجيزَ في علم الحديث ونصوصه - الدكتور محمد عجاج الخطيب (كتاب جامعي) منشورات جامعة دمشق سنة ١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ ص «٩٩»- «١٠٠»- وقد عمدَ رجال العلم الإلهيِّ في القديم والحديث إلىٰ توخي الحرصِ في إذاعةِ الأسرار الإلهيةِ لغير أهلِها ورسموا لذلك أساليب وطقوس يجب علىٰ المريد أن يسلكها لكي تعطىٰ له الحقائق. قال الخميني: «إيَاك أيها الصديق الروحاني ثم إيَاك ... أن تكشف هذه الأسرارَ لغيرِ أهلِها ولا تضننْ بها علىٰ مستحقيها».
انظر مصبَاح الهدَاية الىٰ الخلافة والولاية - مصدر سَابق ص «١٥٤».

(٣) ذكر الإمام الخميني في كتاب مصبَاح الهداية: إنَّ الحواسَ الظاهرةَ مرقاةً للمعَاني العقليةِ والحقائقِ الكليةِ النوريةِ.
انظر مصبَاح الهداية - مصدر سابق ص «٢٥».

الكمالِ مبدأُ الشرائع) [١] (نهايةُ السالكين [٢] بـدايةُ المجـذوبين)[٣]. (عـلامَة النجح في النهايات الرجوع إلىٰ اللّٰه في البدايات) [٤].

و(الظاهرُ هو البَاطن) [٥]، فما ظهرَ في عالَمِ الشهادة، هـو الذي بـطن في عـالَمِ الغيب. وما بـطن في عالم الغيب هـو الذي ظهـر في عالم الشهـادة. وأنوارُ

---

(١) الكمالُ ظاهرٌ وباطنٌ، فالظاهرُ هو اجتمـاعُ محاسنِ صفـاتِ الأجسام الـلائقةِ بهـا، والباطنُ هـو اجتماعُ الصفاتِ الفـاضلة في الإنسان علىٰ اعتدالهـا وتطبعـه بها، واعتـدالها بكـونها تجري علىٰ قوانينِ الشرعِ المؤيدِ لقضايا العقلِ، فبالشرع تكمنُ محـاسنُ الأخلاق قـال صلى الله عليـه وآله وسلم: «إنما بعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاقِ» ومن هنا نرىٰ أن منتهىٰ الكمالِ هو العملُ بـالشريعة ظاهرِها وباطِنها. «اللجنة» وانظر إيقاظ الهمم مصدر سابق ج١ ص٣٨.
للتوسع انظر مشارق أنوار القلوب مصدر سَابق من ص «٣٩- ٤٢».

(٢) السالك. هو الذي مشىٰ علىٰ المقاماتِ بحالِه لا بعلمِه، أقسَامُ السَالكين أربعة: السَـالكُ بنفسِه، السـالكُ بربهِ، السـالكُ بالمجموعِ، السالكُ لا سالك وهو نهايةُ السَالكين، وصَاحبُ هذه المرتبةِ من لا يرىٰ نفسَه تستقلُّ بالسلوكِ ما لم يكن الحقُّ صفةً لها ولا تستقلُّ الصفةُ بالسلوكِ مـا لم تكنْ نفسُ المكلف موجودةً ويكون كالمحل لها فيبدو أنّه سالكٌ في المجموع، فإذا تبين له أنَّ بـالمجموع ظهر السلوك بَانَ له أن المظهـر لا وجود لـه عيناً وأن الـظاهر تقيـد بحكم استعداد المـظهر ورأىٰ الحق يقول: ﴿وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمىٰ﴾سورة الأنفال آية ١٧ ـ انظر المعجم الصـوفي ـ مصدر سَابق ص «٥٨٤- ٥٨٧»

(٣) بدايةُ المجذوبين: المجذوبُ هو من اصطفاهُ الحقُّ لنفسِه واصطفاهُ بحضرةِ أنسِـه وأطلقَه بجنـابِ قدسه ففازَ بجميع المقَاماتِ والمراتبِ بلا كلفةِ المكاسبِ والمتاعب. كتاب التعريفات مصدر سَابق ص «٢١٣».
وبحسب ما قدمنا يكون: «نهاية السالكين بداية المجذوبين» «اللجنة»

(٤) النجحُ في الشيء هو بلوغُ القصدِ والمرادِ فيه، ونجحتْ مطالبُـه إذا قُضِيَتْ وبلغَ منها مـا أحبَّ، ونهايةُ الشيء تمامُه وبدايتُه أولُه.
إيقاظ الهمم في شرح الحكم ـ مصدر سَابق ج ١ ص «٥٩».

(٥) لقد أكثر العارفون من الحديث عن الظاهر والباطن وسَـاقوا الأدلـة علىٰ أن الـظاهر هـو الباطن. جـاء عن الإمام الحسـين بن علي عليـه السـلام: «متىٰ غبتَ حتىٰ تحتـاجَ إلى دليل يـدل عليك»؟ وقال آية اللّٰه الخميني: هـو الظاهـر في عين البـطون، والباطن في عـين الظهـور ـ انظر مصبـاح الهـداية مصـدر سَابق ص «٨٨» وص «٢٣- ٢٤». ويقـول أمير المؤمنـين (عليه السـلام): ظهر فبطن، وبطن فعلن. . ». انظر خطبه في التنزيه ـ نهج البلاغة.

الملكوت متدفقةٌ في حياض الجبروت. [1] وامتثالُ أمرِ اللَّه في الظاهـرِ يدلُّ عـلىٰ كمالِ شريعتِه، وتحقيقُ العبوديةِ والاستسلامُ للقهرِ في البَـاطن يدلُّ عـلىٰ كمالِ الطريقةِ ونهايـةِ الحقيقة. والجمـعُ بينهما غـايةُ الكـمال و (الصلاةُ القـالبيةُ بـدون معرفةِ مراتبها البـاطنةِ جيفـةٌ عفنة مؤذيـة) [2]. قيل للجنيـد: [3]: «إنَّ جماعـةً يـزعمون أنَّهم يصلونَ إلىٰ حـالةٍ يسقط معهـا التكليف قـال: «وصلوا ولكن إلىٰ سقر». إنَّ هذا قول قومٍ تكلموا بإسقاطِ الأعمالِ وهـو عندي عـظيمةٌ والـذي يسرق ويزني أحسنُ حالاً من الذي يقول هذا، فإن العَارفين باللَّه تعَالىٰ أخذوا الأعمـالَ عن اللَّه وإليهِ رجعـوا فيهـا) [4]. وعنـد الصـوفيـين ونعمَ الـرأي مـا يقولون: «إذا أرادَ اللَّهُ أنْ يوصلَ عبداً إليه تـوجَّه إليـهِ أولاً بنورِ حـلاوةِ العملِ الظاهرِ، فيعملُ إلىٰ أنْ يستوجبَ المددَ بنورِ حـلاوةِ العملِ البَـاطن، فيعمل إلىٰ أنْ يتـوجَّه إليـهِ بنورِ المشـاهدةِ، فيصـيرُ حينئذٍ عبـداً للَّه حراً مما سواه، ظـاهرُه عبوديةٌ بعمل الظاهرِ، وباطنُه حرية بسيرهِ بالأنوار البـاطنةِ»[5]. إنَّ هـذا الكلام وما كانَ علىٰ شاكلتِه هو الـذي رمىٰ إليه المـوالي عليهم السلام بتحـريضهم علىٰ

---

(١) العوالم أربعة: ملك وملكوت وجبروت ولاهوت ـ والجبروت هو مقام العزة فهو للحضرة الإلهيـة التي هي عين الحيَاة ـ النصـوص في مصطلحـات التصوف ـ مصـدر سَابق ص «٧٦» وعنـد أبي طالب المكي الجبروت عالم العظمة وأريد به عالم الأسـماء والصفات الإلهيـة وعند الأكثرين العالم الأوسط:وهو البرزخ المحيط بالأمريات الجمة ـ كتاب التعريفات ـ مصدر سَابق ص «٧٧» وانظر إيقاظ الهمم في شرح الحكم ج١ ص «٤٣».

(٢) انظر بيَان السعَادة مجلدا مصدر سَابق ص «٥١»

(٣) الجنيد هو سيد الطائفة عراقي المولد والمنشأكان فقيهاً أفتىٰ وهو ابن عشرين صحب خـاله السـري السقطي، توفي سنة ٢٩٧هـ وقبره مزارٌ في بغداد ويعرف بالقواريري، انظر الرسـالة القشـيرية ـ مصدر سَابق ص «١٨» والطبقات الكبرىٰ تأليف أبي المـواهب عبد الـوهاب بن عـلي الأنصاري المعروف بالشعراني ـ منشورات دار الفكر ج١ ص «٨٤» وما بعدها. . .

(٤) وردت هذه الحكاية في كتبٍ عدة بألفاظٍ مختلفة.
انظر الرسَالة القشـيرية ـ مصـدر سَابق ص «١٩» وانـظر التعرف لمـذهب أهل التصـوف مصدر سَابق ـ حاشية الصفحة «٦٠».

(٥) ذكر النص بلفظ آخر في إيقاظ الهمم في شرح الحكم ـ مصدر سَابق ج١ ص «٦٣».

إقامةِ الظاهر ومعرفةِ البَاطن، ذلك لأن لا غرضَ لهم إلاَّ تحريرَ النفوس المبتئسة في هذه الحيَاة ولا شكّ، كما يشعرُ بذلك كلُّ إنسانٍ بما هو إنسان ـ أن حريَّة النفوس لا تثبتُ إلا بظلِّ عبوديةِ تلك الحريةِ، ولا شكَّ أن أمثالَ هذه الأنوارِ التي وراء هذه الألفاظ مقتبسةٌ منهم وعنهم. يقول الإمَام جعفر الصَادق عليه السلام: «إنَّ في هذه العصابة قوماً يدخلون فيها ليسقطوا عن أنفسِهم العزائم ويستخفوا بحملِ الفرائض، فهؤلاء ليسوا مني ولا أنا منهم، إن أولئك هم وقود النَار. فما عملناه فاعملوه، وما رفضناه فارفضوه وكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً» [1] ومثل هذا كثير وكثير في كتبِ الدينِ. وبالجملة، فإنَّ من حَمَلَ القولَ علىٰ الظاهر المحض فهو حشويّ، ومن تمسَّكَ بالبَاطن المحض فهو ملحدٌ [2]، ومَنْ جَمَعَ بين البَاطن والظاهر أي أَخَذَ بالتقيّةِ والتقوىٰ والإيمانِ كان مؤمناً موحداً عارفاً محققاً، إذ الإيمَانُ والتقوىٰ بابُ كلِّ خيرٍ وبركةٍ ورزقٍ صوريّ ومعنويّ، كما قالَ تعَالىٰ: ﴿ولو أن أهل القرىٰ آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السَماء والأرض﴾ [3] وقال سبحانه: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ [4] أي يجعلُ لهم العلمَ الإلهيَّ الوهبيَّ اللدنيَّ الباطنَ والعلمَ الكونيَّ الكسبيَّ الظاهر جميعاً، ومهما تغذَّتِ الأنفسُ من كسبِ يدها، فإنَّها لا تجدُ حلاوةَ الجودِ، وتكونُ قد أكلَتْ من تحت رجليها، أما الكاملُ فيأكلُ من فوقه، ولا يكون معلمه فقيراً [5] ولا

---

(١) انظر مشارق أنوار اليقين مصدر سابق ص ٦٩.

(٢) الملحد: العَادل عن الحق المدخِلُ فيه ما ليس فيه، وألحدَ في الدين ولحد أي حاد عنه. لسَان العرب مادة لحد. ولما كان منتهىٰ الكمال هو الأخذ بالشرع ظاهره وبَاطنه فإن الملحد بتركه الظاهر يكون قد عدل عن الحق وحَاد عنه.

(٣) سورة الأعراف الآية «٩٦»

(٤) سورة المَائدة الآية «٦٦».

(٥) الفقيرُ هو المعدَمُ في الأصل وقيل إن اشتقاق الفقر مأخوذ من فقار الظهر، والفقار هو العظم الذي به قوام الظهر فإذا انكسر وضعف واحتاج إلى غيره مما يقيمه سُمي فقيراً للضعف =

مؤنثاً[1]. علىٰ أنني لم أرَ ظاهراً ولا باطناً في كلِّ ما رأيتُ إلا بالمفاهيمِ الشرعيَّة من محسوسِها ومعقولِها، فإنَّ كلَّ ظاهرٍ منها له بَاطنٌ، وكلَّ باطنٍ لهُ ظاهرٌ، والباطنُ منها لا يُعَرفُ إلا بظاهرِه، والظاهرُ لا يقومُ إلا بباطنِه، وأما الأسرارُ الإلهيةُ ذاتُ الظواهرِ والبواطنِ فلم أرَ لها ظاهراً إلا بالنسبةِ، ولا باطناً إلا بالنسبةِ، وتلك النسبةُ باختلاف الاستعداد مع المستعدينَ، فالمعَارفُ الإلهيةُ من الاستعداداتِ كالأطعمة من المعدِ، فقد تختلفُ الأطعمة بقبولِ المعد لها، فتقبلُ ما يضرُّها، وربما تجاوزتْ فكان هلاكُها، ولذلك كانَ الحكماءُ والفلاسفةُ الإلهيون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ يُعطون تعَاليمَهم بحسبِ استعدادِ الطالبين، فيعطون الخاصَّةَ ما يمنعونَهُ عن عامَّةِ الناس رعايةً لهؤلاء لا بغضاً لهم، فيسمىٰ ما يعطونه للخاصَّة باطناً وما يعطونه للعَامَّةِ ظاهراً، هكذا كان الحكماءُ في سَائرِ العصور والأزمنة من عهد آدمَ إلىٰ نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ وقتنا هذا، فإذا تدرجَ صَاعداً مَنْ مُنِع معرفة البَاطن أعطَوْهُ ما منعوه فصار ما كان باطناً عنه ظاهراً له، ولذلك رأيتُ أنَّ لا باطنَ إلا بالنسبةِ، ولا ظاهرَ إلا بالنسبة، ولذلك كان الظاهرُ هو البَاطن والبَاطنُ هو الظاهر، وكانَ باطناً وباطناً إلىٰ سبعة أبطن، وطبعاً فإن لكل بَاطنٍ ظاهراً، ولهذا كان سراً مستسراً. وقد رأيتُ من الحسَنِ أن أختمَ هذا البَابَ بأقوالٍ مأثورة لبعض الحكماءِ الإلهيين المشهودِ لهم بالتقدم على أهل صنعتهم. أورد الشيرازي[2] قدَّس اللَّه العلي سرَّه في كتابهِ «التنبيه» حديثاً مطولاً عن وجوبِ إقامةِ الظاهر مع البَاطن، ومما جاء

= والحَاجة. والفقيرهنا هو ناقص المعرفة الـذي يحتاج إلىٰ غيره لإتمام معرفته فلا يجوز أن يكون معلماً. «اللجنة».

(١) المؤنث: تُجمعُ كتب الدين علىٰ تفضيل مرتبة الذكورة علىٰ الأنوثة، قال تعَالىٰ: ﴿الرجَال قوامون عَلىٰ النسَاء بما فضل الله بعضهم علىٰ بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ سورة النسَاء آية «٣٤» والكاملُ لا يأكلُ إلا من فوقه فلا يجوزُ أن يكون معلمه أدنىٰ منه مرتبة «اللجنة».

(٢) الشيرازي: هو حسن بن حمزة الشيرازي متصوف مشهور من متصوفي القرن السابع الهجري، وقد سبق الحديث عنه.

فيه: «فلا يتوهمُ الجاهلُ لنفسه، التاركُ هذه الأخبار المشروعة، والشرائع المتبوعة، أنَّه بتركِها أصابَ الصوابَ، ودخل بيتَ الحكمةِ من الباب، لا والذي عندَهُ عِلمُ الكتاب، بل ما عرفَهُ من الحقِّ حجةٌ عليه لا لـه، كما ورد ويـلٌ لمن لا يعلَمُ وألف ويـلٍ لمن يعلمُ ولا يعمـلُ، أمـا يعلمُ المغـرورُ بلقلقـةِ اللسـان المتقمصِ بثوبِ الإيمان، المنهمكِ بالشهوات البهيمية واللذات الجسمانية أنَّه قد أشبهَ بفعلِه الحيوان وتركَ التشبُّه بملائكةِ الرحمن. . . ولقد عدل هذا الحيوانُ عن طريقِ أهل الإيمَان، وأضاعَ الصلواتِ واتبعَ الشهواتِ.ومن عـدلَ عن سنَّتِهم ولم يعملْ بها، كان مبتدِعاً في مقالِه، غيرَ مـوفَّقٍ في أفعالِه لعدولـه عن الصواب، ولـدخول البيت من غـير البَاب».(١) وهـذا مما يـوجـلُ قلبَ المؤمن، ويقف شعر الرأس عند قراءته.

وأوردَ عبـد الكريم الخـطيب في كتابـه (قضية الألـوهية) قـال: « ويـذكـر الكتابُ المقدَّسُ أنَّ هناكَ أسراراً لم يستطعْ السيـدُ المسيحُ الكشفَ عنهـا إلَّا لنفرٍ قليلٍ. قال: «فليسمعْ من له أذنان تستطيعان السمعَ» (٢) ولكنْ حين كان علىٰ انفـرادٍ سألَـهُ حواريـوه الاثنا عشر عن أمـور تتعلق بالمقـابلات والمشـابهات التي أوردهـا فقال لهم: لقد كُشِفَ لكم عن سر ملكوت اللّه. . لكن بالنسبةِ لمن هم خارج هذه الحلقة، لا يعدو كلُّ شيءٍ أن يكونَ من قبيلِ التشبيهات الحسيـة. وليس أبلغُ من قولة المسيح هذه في أنَّ ما في ملكوت السماءِ ليس من شأنِ الحس أنْ يتعاملَ معه، لأنَّ كلَّ مـا هنالـك غيرُ محسـوس. . . والإنسانُ من حيثُ هـو جسدٌ وروحٌ لا يمكنُ أنْ يدركَ تلك الحقائقَ السماويةَ إلا إذا صُوِّرَتْ له في صُوَرٍ محسَّةٍ مُجسدةٍ» (٣)

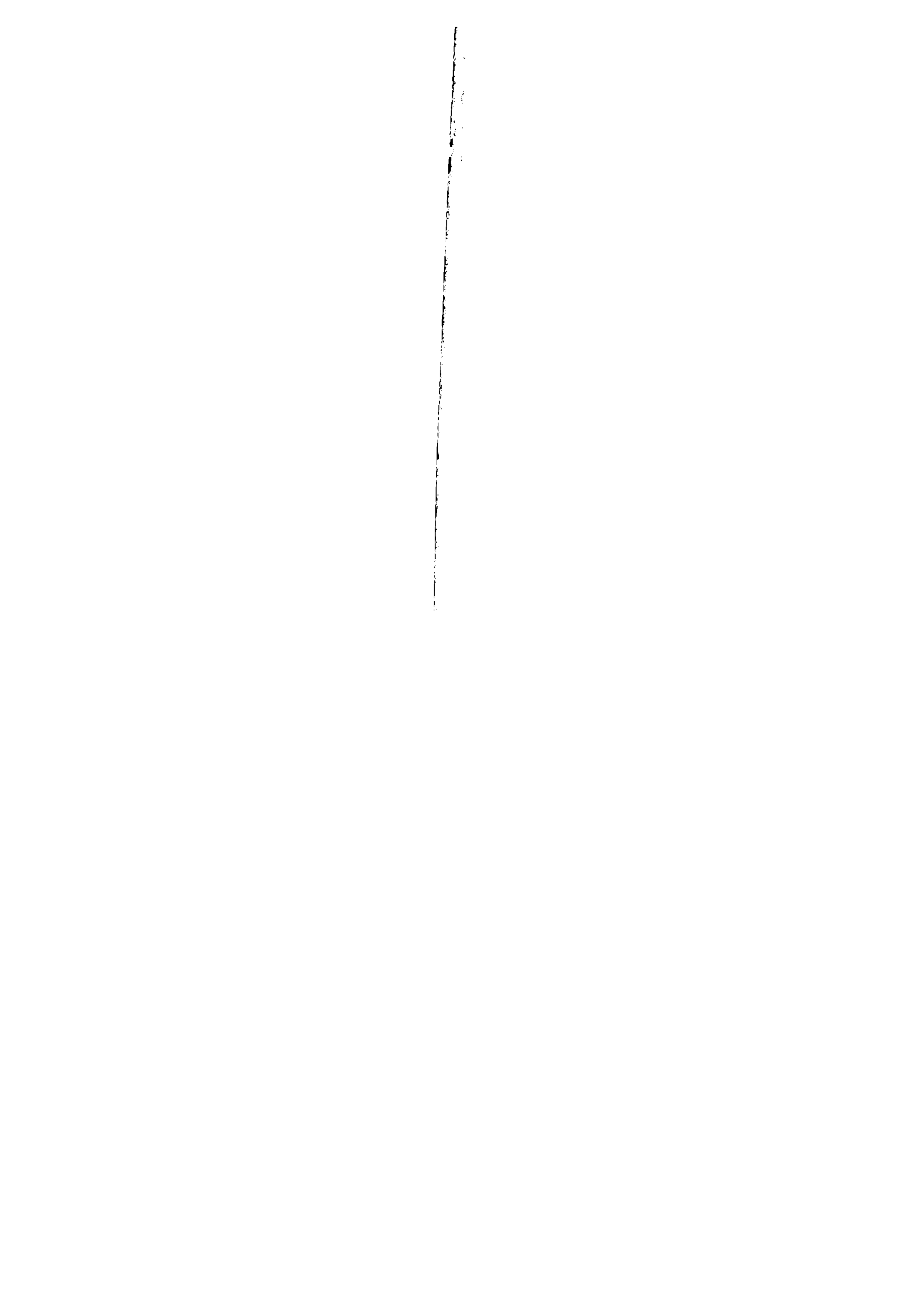
---

(١) التنبيه مخطوط خاص.

(٢) إنجيل مرقس الإصحاح الرابع.

(٣) قضية الألوهية بين الفلسفـة والدين (الله ذاتـاً وموضـوعاً)، عبـد الكريم الخـطيب ، دار الفكر العربي القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ج٢ ص ٣٧٢ - ٣٧٣

فهارس الآيات والأحاديث
وشواهد الشعر



(أ) مسرد الآيات القرآنية الكريمة

نثبت فيما يلي نصوص الآيات الكريمة - وأجزاءها - حسب تسلسل مجيئها في الكتاب.

صفحة

صفحة

صفحـــة

(ب) مسرد الأحاديث النبوية الشريفة

نثبت فيما يلي نصوص الأحاديث الشريفة ـ وأجزاءها ـ حسب تسلسل مجيئها في الكتاب :

(ج) شواهد الشعر

نثبت فيما يلي أبيات الشعر التي جاءت في هذا الكتاب حسب تسلسل مجيئها فيه :

١ - صهباء كانت ونون الكاف ما برزت ... والشيء مندمج في علم باريه

«المنتجب ـ صفحة ٢٨»

٢ - الكل فيه وعنه كان وعنده ... تفنى الدهور ولم تزل أزمانه

فالخلق تحت سما علاه كخردلٍ ... والأمر يبرمه هناك لسانه

والكون أجمعه لديه كخاتمٍ ... في أصبع منه أجل أكوانه

والملك والملكوت في تياره... ... كالقطر بل من فوق ذاك مكانه

وتطيعه الأفلاك من فوق السما ... واللوح ينفذ ما قضاه بنانه

«عبد الكريم الجيلي ـ صفحة ٣٢»

٣ - دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت فضلا فيه واحتكم

«البوصيري - صفحة ٣٢»

٤ - فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

«البوصيري ـ صفحة ٣٢»

٥ - أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

«البوصيري ـ صفحة ٣٢»

٦ - ريم على القاع بين البان والعلم ... أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

«أحمد شوقي» هامش صفحة ٣٢»

٧ - عرفت الخلق والأمر ... ومعنى الكل في الكل

فجمعت بلا وصلٍ ... وفرقت بلا فصل

فوحدت ولا توحيد إلا لفتىً مثلي

«المكزون ـ هامش صفحة ٣٤»

٨ - وها دحية وافىٰ الأمين نبينا بصورته في بدء وحي النبوة
أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا لمهدي الهدىٰ في هيئة بشرية
وفي علمه عن حاضريه مزية بماهية المرئي من غير مرية
يرىٰ ملكاً يوحي إليه وغيره رأىٰ رجلاً يرعىٰ لديه لصحبة

«ابن الفارض ـ هامش صفحة ٤١»

٩ - الشوق أكبر من أن يحويه مني كتاب
والحب أكبر من أن يخفيه عني حجاب

«المكزون ـ هامش صفحة ٤٦»

١٠ - دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوىٰ العالم الأكبر

«أمير المؤمنين عليه السلام ـ صفحة ٥٦»

١١ - وتنسب الأفعال للفعل الذي عنه صدر

«المكزون ـ صفحة ٥٩»

١٢ - سرخفي جليل لا يحاط به ولا يقاس بتمثيل وتحديد

«المنتجب ـ هامش صفحة ٦١»

١٣ - لا يكتم السر إلا كل ذي ثقةٍ فالسر عند خيار الناس مكتوم
١٤ - وفي السر أسرار **دقاقٌ** لطيفة تراق دمانا جهرة لو بها بحنا

«أبو مدين ـ هامش صفحة ٦١»

١٥ - كل يراك كعينه إذ كنت مرآة الوجود

«المكزون ـ صفحة ٧٨»

١٦ - إليكم وإلا لا تشدّ الركائب ومنكم وإلا لا تنال الرغائب
وعنكم وإلا فالحديث مشوش وفيكم وإلا فالمحدث كاذب
....
١٧ - أحوته أرض وأرض تخلت منه حتىٰ مشىٰ بها فطواها

هو في الشرق مثل ما هو في الغرب — وفي الأرض مثل ما في سماها

«محمد كاظم الأزري البغدادي ـ صفحة ٨٥»

١٨ - إن التشكل في الصور — نعت المهيمن في الخبر

وبذاك أنزل كتبه — فيها تلاه من السور

ولقد رأيت مثاله — بمطول وبمختصر

«الشبلي وقيل الحلاج ـ صفحة ٩٠»

١٩ - فبالقصور اعترافي فيك معرفتي — فالعجز عن درك الدراك إدراك

«محي الدين بن عربي ـ صفحة ٩٥»

العجز عن درك الدراك إدراك — والبحث عن كنه ذات الله إشراك

٢٠ - على كل عين من الخلق عين — من الحق فهي بها تبصر

وفي نطق كل لسان له — لسان مخاطبة تبصر

«المكزون ـ صفحة ٩٧»

٢١ - وعين ذاتك عين الله فيك ترىٰ — أنموذج الأمر فافهم أيها اللاهي

«الشيرازي ـ صفحة ٩٨ و ١٨٢»

ونور عقلك نور الله يظهر ما — حملته عجباً من قدرة الله

«الشيرازي ـ صفحة٩٨»

٢٢ - خمسٌ ولكنهم بالفعل أربعة — كل بصاحبه بالمزج منعقد

وبافتراق تراهم غير ذي جسدٍ — وباجتماع تراهم كلهم جسد

«الناسخ البغدادي ـ صفحة ١٣٢»

٢٣ - ما كل ماء يروي القلب من ظمأٍ — البحر ماء ولكن شربه نكد

«الناسخ البغدادي ـ هامش صفحة١٣٢»

٢٤ - الكون جسم وهي فيه روح — نص عليها آدم ونوح

«المنتجب ـ هامش صفحة ١٣٣»

٢٥ - فكل قبيح إن نسبت لفعله — أتتك معاني الحسن فيه تسارع

يكمل نقصان القبيح جماله — فما ثم نقصان ولا ثم واضع

ويرفع مقدار الوضيع جلاله — إذا لاح فيه فهو للوضع رافع

«عبد الكريم الجيلي ـ صفحة ١٣٨»

٢٦ - أشرقت منك لمحة نشأ العالم ... منها وكون التكوين
فجميع الأكوان ما هن مهما ... كن إلا كتابك المستبين

«محمد الحسين آل كاشف الغطاء - صفحة ١٤٩»

٢٧ - فناؤنا مع ثبوت واهبنا ... يقضي بعودِ الجواد في هبته
وذاك بخلٌ وجل خالقنا ... من أن يكون الإكداء من صفته

«المكزون - صفحة ١٥٦»

وهو محال على الاله لدىٰ ... كل لبيب زكا بمعرفته

«المكزون - هامش صفحة ١٥٦»

٢٨ - له الدهرُ آنٌ والزمان الذي انتهى ... إليه بحديه لوصل به فصل

«المكزون - صفحة ١٥٩»

٢٩ - لا غير من لا غيره لي إله ... إذ ما لموجود وجودٌ سواه

«المكزون - هامش صفحة ٠٧٥»

٣٠ - أصبحت في الكون بلا حيز ... وكل ما في الكون في حيزي
وخارج العالم في داخلي ... وقدرة القادر في معجزي
وصرت في دائرة الكل ... وفي جمع مقامي نقطة المركز

«المكزون - صفحة ١٨١»

٣١ - هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشي وفتكي

«المعري - هامش صفحة ١٨١»

٣٢ - فأين أهل الأين في دارتي ... والفلك الأطلس في مركزي

«المكزون - هامش صفحة ١٨١»

مصادر ومراجع تحقيق الكتاب



أ - الكتب السماوية :

١ - القرآن الكريم .

٢ - الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والجديد) إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي.

ب - المعاجم اللغوية :

١ - تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضىٰ الحسيني الزبيدي، إصدار وزارة الإعلام، الكويت عام ١٩٦٥م وصدر منه حتىٰ الآن الجزء الثاني والعشرون.

٢ - لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الإفريقي ثم المصري) إعداد وتصنيف: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب ـ بيروت المطبعة الأولى ط٢، ١٩٧٠م.

٣ - مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٩٧٩م.

٤ - المنجد في اللغة والأدب والعلوم، الأب لويس المعلوف، المكتبة الشرقية بيروت الطبعة ١٩ - ١٩٦٦م.

٥ ـ معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت الطبعة الأولى ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨م.

ج - المصادر المطبوعة، «مرتبة بترتيب أسماء مؤلفيها».

١ - ابن أبي الحديد (عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة المدائني) شرح نهج

البلاغة بتحقيق الشيخ حسن تميم. دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤م.
٢ - ابن الدباغ (عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) مشارق أنوار القلوب. تحقيق هـ. ريتر، دار صادر - دار بيروت ١٩٥٩م.
٣ - ابن سعد (محمَّد الزهري) الطبقات الكبرى طبعة ليدن ١٩٢٨م.
٤ - ابن عربي (الشيخ الأكبر محيي الدين)
- تفسير القرآن، تحقيق الدكتور مصطفىٰ غالب دار الأندلس - بيروت - طبعة ٣ - ١٩٨١م.
- الفتوحات المكية، تحقيق الدكتور عثمان يحيىٰ - الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة أولىٰ بدأت إصداره عام ١٩٧٢م وصدر منه حتىٰ الآن ثمانية أسفار.
- فصوص الحكم، تحقيق وتعليق أبو العلا عفيفي - دار الكتاب العربي - بيروت ط٢ ١٩٨٠م.
٥ - ابن قتيبة (أبو عبد الله محمد بن مسلم الدينوري) عيون الأخبار الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٢٥م.
٦ - أبو البقاء (أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفوي) الكليات - مطبعة بولاق بمصر - ط٢ - ١٢٨١هـ.
٧ - الباجوري (الشيخ إبراهيم) جوهرة التوحيد، مراجعة وتقديم عبد الكريم الرفاعي مكتبة الغزالي، حماه - ١٩٧٢م.
٨ - بدوي (د. عبد الرحمن).
- الأفلاطونية المحدثة عند العرب، إصدار دار النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٥م.
- الزمان الوجودي، إصدار دار النهضة المصرية القاهرة الطبعة الثانية «بدون تاريخ».

٩ - البرسي (الحافظ رجب) مشارق أنوار اليقين. . . مؤسسة الأعلمي بيروت ط١٠ «بدون تاريخ».
١٠ - بروكلمان (كارل) تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر ط٢ ١٩٦٩م.
١١ - البوطي (د. محمد سعيد رمضان) روائع القرآن، مكتبة الفارابي دمشق ط٥ ١٣٩٧هـ.
١٢ - بيضون (لبيب وجيه) تصنيف نهج البلاغة، منشورات أسامة كرم دمشق ط١ ١٩٧٨م.
١٣ - التبريزي (ميرزا محمد تقي) صحيفة الأبرار، دار الصراط ط٤ ١٩٨٦م.
١٤ - الجرجاني (علي بن محمد) كتاب التعريفات، مكتبة لبنان ١٩٧٨م.
١٥ - الجنابذي (الحاج سلطان محمد) بيان السعادة. . .، مطبعة دانكاه طهران ط٢
١٦ - الجيلاني (عبد الكريم بن إبراهيم) الإنسان الكامل. . . .، مطبعة حجازي مصر ١٩٤٩م.
١٧ - حسن (حامد) المكزون السنجاري، دار مجلة الثقافة دمشق بدأ إصداره عام ١٩٧٠ وصدر الجزء الثاني عَام ١٩٧٢ م ولم يصدر الباقي.
١٨ - الحسني (أحمد بن محمد بن عجيبة) إيقاظ الهمم. . . مكتبة الإيمان دمشق ١٩٨٦م.
١٩ - حكيم (د. سعاد) المعجم الصوفي، دار ندرة بيروت ط١ ١٩٨١م.
٢٠ - حيدر (العلامة الشيخ أحمد محمد) ما بعد القمر، مطابع الإدارة السياسية دمشق ١٩٨٤م.
٢١ - الخضري (الشيخ محمد) تحقيق صفوة السَّقا، مكتبة ربيع حلب ط١، ١٣٨٢هـ.
٢٢ - الخطيب (عبد الكريم) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، دار الفكر

العربي القاهرة ط٢، ١٩٧١م.
٢٣ - الخطيب (د. محمد عجاج) الوجيز في علم الحديث، جامعة دمشق ١٩٧٩م.
- الخميني (سماحة الإمام آية الله).
- الآداب المعنوية للصلاة، تعريب أحمد الفهري، دار طلاس دمشق ط١، ١٩٨٤م.
- شرح دعاء السحر، تعريب أحمد الفهري، مؤسسة الوفاء بيروت ط٢، ١٩٨٤م
٢٤ - مصباح الهداية... تعريب وتقديم أحمد الفهري، مؤسسة الوفاء بيروت ط١، ١٩٨٣م
٢٥ - الرازي (الإمام فخر الدين) والخواجه نصر الدين الطوسي شرح الإشارات، المطبعة الخيرية بمصر ط١، ١٣٢٥هـ.
٢٦ - الشعراني (أبو المواهب عبد الوهاب بن علي الأنصاري) الطبقات الكبرىٰ، دار الفكر دمشق.
٢٧ - شعراوي (الشيخ محمد متولي) المنتخب من تفسير القرآن، دار العودة بيروت ١٩٨١م.
٢٨ - الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) الملل والنحل، تحقيق محمد سعيد كيلاني ١٩٨٢م.
٢٩ - شيخ الأرض (تيسير) مبادئ الفلسفة «مشكلة العمل» مطابع دار البعث دمشق، ١٩٨٤م.
٣٠ - الصالح (د. صبحي) تحقيق نهج البلاغة، قم إيران ط١، ١٣٩٥هـ.
٣١ - الصدوق (الشيخ القمّي) التوحيد، تصحيح وتعليق هاشم الحسيني الطهراني، دار المعرفة بيروت.

- من لا يحضره الفقيه (تحقيق حسن الموسوي) دار التعارف بيروت ١٩٨١م.

٣٢ - صليبا (د. جميل) المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.

٣٣ - الطباطبائي (محمد حسين) الميزان في تفسير القرآن، الحوزة العلمية قم.

٣٤ - الطبرسي (الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن) مجمع البيان في تفسير القرآن، دار مكتبة الحياة. بيروت.

٣٥ - الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تحقيق وتعليق محمد باقر الموسوي الخرساني، مؤسسة الأعلمي بيروت ط٢ ١٩٨٣).

٣٦ - الطوسي (أبو نصر السراج) اللمع، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ١٣٨٠هـ.

٣٧ - عبده (الشيخ محمد) شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي بيروت.

٣٨ - عرابي (محمد غازي) النصوص في مصطلحات التصوف، دار قتيبة دمشق ط١، ١٩٨٥م.

٣٩ - علي (د. أسعد أحمد) فن المنتجب الدين العاني وعرفانه، دار الرائد العربي ط٢، ١٩٨٠م.

- معرفة الله والمكزون السنجاري، دار الرائد العربي بيروت ط٢، ١٩٨٠م.

٤٠ - العقاد (عباس محمود) الله ـ نشأة العقيدة الإلهية.

٤١ - الفيض الكاشاني (محمد حسن)

- تفسير الصافي، منشورات الأعلمي بيروت ط٢، ١٩٨٢م.

- الحقائق «قرة العيون» دار الكاتب العربي بيروت ط٢، ١٩٧٩م.

٤٢ - القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن) الرسالة القشيرية، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٥٧م.

٤٣ - القمي (الشيخ ابن بابويه) التوحيد، دار المعرفة بيروت ط٤، ١٣٧٨ هـ.
٤٤ - كاشف الغطاء (محمد الحسين) الدين والإسلام، دار المعرفة بيروت.
٤٥ - كرم (يوسف) العقل والوجود، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.
٤٦ - الكرماني (الداعي أحمد حميد الدين) راحة العقل، تحقيق وتقديم: د. محمد كامل حسين ود. محمد مصطفىٰ حلمي، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٢م.
٤٧ - الكلاباذي (أبو بكر محمد) التعرف لمذهب أهل التصوف.
٤٨ - الكليني (أبو جعفر محمد يعقوب بن اسحق) الأصول من الكافي، تعليق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية طهران ط٣، ١٣٨٨هـ.
٤٩ - المجريطي (الحكيم) تحقيق د. جميل صليبا طبع مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٤٩م.
٥٠ - مرعشلي (نديم) ويوسف خياط، المصطلحات العلمية والفنية في لسان العرب، دار لسان العرب بيروت.
٥١ - مروة (يوسف) العلوم الطبيعية في القرآن، منشورات مروة العلمية بيروت ط١، ١٩٦٨م.
٥٢ - الموسوي (الأمام آية الله عبد الحسين شرف الدين) كلمة حول الرؤيا ١٣٧١هـ.
- المراجعات، دار إحياء العلوم ط٤، ١٩٥٨م.
٥٣ - الموسوي (د. موسىٰ) من السهروردي إلى الشيرازي، دار المسيرة ط١، بيروت ١٩٧٩م.
٥٤ ـ نصرالله (د. محمد عزت)
- اليهودية والإسلام دراسة مقارنة، المركز الفلسطيني الإسلامي للتربية والثقافة والإعلام ـ بيروت، الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

- الجنة التي أُهْبِطَ مِنْهَا آدم، دار فلسطين للتأليف والترجمة ـ بيروت الطبعة الثانية.
٥٥ - نصر (د. عاطف جودة) شعر ابن الفارض، دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الأندلس ط١، ١٩٨٢م.
٥٦ - اليازجي (ندرة) المدخل إلى المبدأ الكلي، دار الغربال دمشق ط١، ١٩٨٤م.

د - الكتب المخطوطة الخاصة: «إضافة إلى آثار الشيخ الخصيبي»

١ - الأحمد (الشيخ سليمان) شرح ديوان المكزون.
٢ - الحراني (محمد ابن شعبة) الحقائق.
٣ - الحكيم (النبي سليمان) الأسس.
٤ ـ سابور (أبو الطاهر) الجوهرة الطالقانية.
٥ ـ الشيرازي (حسن بن حمزة) التنبيه.
٦ ـ الصوفي (جلال الدين بن معمار) تقويم الأسماء.
٧ ـ العماد الغساني (أحمد بن جابر) مسائل الخرقي الجبلاوي.
٨ ـ المفضل (ابن عمر) الصراط.

محتويات الكتاب

الساحِل السوري ـ تشرين الأول ١٩٨٦م.



دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع

طرابلس لبنان : ص ب ٥٧ - تلفون ٦٢١٩٥٢